الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــــــة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية ــ قسنطينة ــ

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم اللغة العربية

رقم التسجيل:..................

الرقم التسلسلي:.................

تفسير النيسابوري
دراسة في المنهج البياني

مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في إعجاز القرآن والدراسات البيانية ــ

إعداد الطالب:
يزيد حمودي

إشراف الدكتور:
رابح دوب

لجنة المناقشــــــة

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
سامي الكناني	رئــيسًا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –
رابح دوب	مشرفًا ومقرّرًا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –
لخضر روابحي	عــضوًا	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة
صالح غريبي	عــضوًا	أستاذ محاضر	جامعة تبسة

السنة الجامعيــــة: 1431هـــ ــ 1432هــ/ 2011م ــ 2012 م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

الحمد لله ذي الإفضال والإنعام، وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، والأئمة الأعلام، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، إلهُ الأوّلين والآخرين، وأشهد أنّ محمّدًا عبدُه ورسوله، الذي اصطفاه، وجعله سيدَ ولدِ آدم أجمعين. أمّا بعد:

إنّ البحث في التّراث عملٌ جليل ولكن البحث في القرآن أجل، وكُلّما كان النظر في القرآن يكبر كان الانبهار بغيره يصغر، كُلُّ الخير في الإقبال عليه، وكلّ الشرّ في الإعراض عنه؛ فطوبى لِمن كان حُجّةً لهُ، وويلٌ لِمن كان حُجّةً عليه؛ فيهِ للمطيع أعظمُ وعدٍ وللعاصي أشدُّ وعيد.

ولقد أدرك المسلمون عِظم شأن هذا الكتاب العزيز؛ فراحُوا يتأمّلون نَظمَهُ ويستكنِهون معناه، وسلكوا في هذا الباب كلَّ طريق، وولجُوا كلّ مضيق، وركبوا كل صعب وذلول قصد الوصول إلى معرفته، وتكلمت فيه الأمم قديما وحديثا، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلاف عقائدها، وألّف فيه المؤلِّفون الكتبَ على تنوع أصنافها، فلا أحدَ إلا وهو يحدث نفسه بهذا الشأن. فنشأت بذلك تجربةٌ عربيةٌ إسلاميةٌ ثريةٌ، تجلّى فيها تعامل عميق مع لغة القرآن، تشهد له المصنفات الكثيرة على اختلاف مذاهبها ومناهجها.

تُمثِّل عمليةُ تفسير القرآن تجربةً فريدةً من نوعها في قراءة النص؛ إذ لا نظن أنه يوجد في الحضارة العربية الإسلامية من النصوص ما استقطب من الاهتمام وتعدد القراءة وتنوع الأقوال كالذي استقطبه النص القرآني، ومرد ذلك إلي أنه نص دين وتشريع، وأنه نص معجز، وأنّ فيه من الخصائص الأسلوبية ما يهيئه لاختلاف الفهم، وتعدد التأويل.

وأمدت هذه التفاسير البلاغة العربية بمادة علمية ضخمة، إذ كانت مجالا رحبا للبحث التطبيقي لمسائل البلاغة واللغة عموما

ويُعد تفسير الإمام النيسابوري المسمى "غرائبُ القرآن ورغائبُ الفرقان" من جملة المصنفات التي تجلت فيها المعرفة الواسعة بقضايا اللغة وأسرارها، وبقواعد النظم، وسنن التخاطب بين العرب.

فجاء موضوع بحثنا في إطار هذه المدونة بعنوان: **تفسير النيسابوري**: **دراسة في المنهج البياني**. تتبعنا فيه مسالكَ اللغة وارتباطها بقضايا العقيدة وعلم الكلام، وما لذلك من أثر في دراسة إعجاز القران وما يتعلق به من قضايا اللغة والبيان.

أهمية الموضوع: تنبع أهمية الموضوع من خلال النظر في ما تضمنه هذا التفسير من تفصيل لكثير من مسائل الدرس البياني، وتنبيهٍ إلى دقائقَ ولطائفَ ربما لا توجد في غيره؛ حيث يورد المفسر أقوال العلماء؛ فيناقشها ويقبل منها ويرُد، وربما خرج برأي مغاير لأراء من سبقوه، وقد عكف على مصنفات من سبقه

دراسة ونقدا وتمحيصا، ولذلك جاء تفسيره عميقا ضخما يرجع إلى أكثرَ من عالم، ويعود إلى أكثرَ من مصدر، مسترشدا بحكم أو مستأنسا برأي... فكان لمسائل اللغة حضور كثيف واعتبار كبير وتفنن في استثمارها وخصوبة في طرح قضاياها ما يدعو إلى الالتفات إليها والبحثِ في أهميتها عند أهل التفسير.

أسباب إختيار الموضوع: وكان من وراء اختيار هذا الموضوع أسبابٌ منها:

1- أنّ موضوع هذا البحث من أجَلّ ما يصرف فيه الوقت والجهد، ذلك لأنه مرتبط بكلام الله عز وجل، وهو أعظم ما صرفت فيه الأوقات، وأجل ما فنيت فيه الأعمار.

2- يقيني بأن القرآنَ خيرُ مجال لضبط أصول اللغة العربية ومعرفة أسرارها.

3- دراسة المفسرين للقرآن الكريم تمثل البلاغةَ التحليليةَ في أعلى صورها، حيث تتسع النظرة لتشمل النصَّ كاملا، فتبرز خصائص دلالاته، ومحاسن صياغته، مع بيان ما فيه من الذوق الرفيع والحس المرهف.

4- بعد القراءة لكثير من مسائل تفسير النيسابوري تجلت عنايته بعلوم اللغة، وبأدق مسائلها، مما كان له دورٌ في رسم معالم المنهج البياني عنده.

5- الرّغبة المُلِحّة في إبراز جهد أحدِ العلماء الأجلاء، لم ينل تراثهم العلمي حظَّه من العناية والدرس.

الدراسات السابقة:

لاشك أنّ هذه الدراسةَ لم تكن الأولى من نوعها من حيث الاهتمامُ بتفسير النيسابوري؛ فقد سبقتها دراساتٌ شتى مقسمةٌ بين الكتب والرسائل العلمية وهي:

- تفسير غرائبِ القرآن ورغائبِ الفرقان: دراسة وتقويم، للباحث محمد حسين الحازمي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، 1398هـ.

- النيسابوري ومنهجه في التفسير: عمر عبد حسين الطلاقة، جامعة صدام، 1997م.

- نظام الدين النيسابوري ومنهجه في التفسير: حنان مختار عبد القادر بشير، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم 2002م.

- نظام الدين النيسابوري ومنهجه في التفسير: ماجد زكي الجلاد، 1991م

وما يسجل على ما استطعنا الاطلاع عليه من هذه الدراسات، هو أنها انصرفت إلى الاهتمام بالمنهج العام للمفسر، فوقفت عند حياته الفكرية، وإبرازِ أهمية تفسيره ومكانته العلمية، دون الوقوفِ على المعالم الحقيقية للمنهج البياني والآليات المشكلة له، فأغفلت المفهوم الذي تكتسبه اللغةُ في هذه المدونة باعتبارها أداةً للتفسير، ثم للتأويل، ثم للإعجاز وهذا ما قامت لأجله هذه الدراسة.

المنهج المتبع:

أما من حيث المنهج فطبيعة البحث تملي على الباحث اعتماد الاستقراء والتحليل، ويتجلى ذلك في أمرين:

أحدهما: تتبع الأساليب البيانية واستيفاءُ الكلام في مواضع ورودها في التفسير.

والثاني : استخراجُ أقصى ما يمكن من أوجه المعنى ودور السياق في توجيه دلالات الجمل والتراكيب، ولا يخفي ما في تصنيف المادة العلمية من مشقة خصوصا إذا كانت مستخرجة من كتاب تفسير، فهي مسائلُ متفرقةٌ تحتاج إلى ترتيب، لذلك حرصت على تقسيمها وتصنيفها بشكل منطقي يستوعب جميع أجزائها.

ولوضع خطةَ البحث حرصتُ على مراعاة المسائل الآتية:

- اتّباع خطة جديدة في الكشف عن ملامح المنهج البياني بما يوافق المقصود بالبيان القرآني.
- تقسيم البحث بما يتوافق مع طبيعة المادة العلمية الموجودة.
- لا يخفى ما في تصنيف المادة العلمية من تعب ومشقّة خصوصًا إذا كانت مستخرجة من كتاب تفسير، لذلك قسّمتها بشكل منطقي يستوعب جميع أجزائها.
- مهدت لكل جزء من أجزاء البحث بتمهيد نظري، ثم ذكرت تجلياتِه من خلال تفسير النيسابوري.
- لم أركز على المنهج البياني بالمفهوم الذي استقر عليه عند المتأخرين، بل بمفهومه الواسع الشامل.
- اكتفيت في المدخل بذكر بعض الأدلة التي تبين عقيدة المفسر.
- راعيت الاختصار في ذكر ما استقرأته من تفسير النيسابوري في جميع أجزاء البحث.
- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة دون توسع.
- ترجمت لبعض الأعلام الوارد ذكرُهم في هذا البحث من كتاب الأعلام للزركلي في الغالب.
- أشرت -في الهامش- إلى معاني بعض الكلمات التي تبدو غامضة.
- وضعت فهارسَ للآيات والأحاديث والأشعار والأعلام وقائمة للمصادر والمراجع.

وحفاظًا على وحدة البحث، وتناسقِ أقسامه، وسلامةِ نتائجه وقفنا عند ملامح المنهج البياني ف هذه المدونة من خلال وجوه ثلاثة:

أولهًا: توظيفُ اللغة أداةً لتفسير القرآن وتوظيفُها ثانيا: أداةً لتأويل القرآن وتوظيفُها ثالثا: أداةً لإعجاز القرآن؛ وهذه الوجوه وإن جمع بينها خيط يوحدها وهو استخدامها للآليات اللغوية فلا بد من التمييز بين الوجوه الثلاثة، حيث تكون اللغة في خدمة النص تفسيرًا وتأويلاً وإعجازًا.

أما الجزء الأول: فقد تكفل بعرض مسائلَ تتعلق بالتفسير اللغوي، ومدى استغلال المفسر لثقافته المعجمية، والنحوية للكشف عن معاني ودلالات النّص القرآني، وكذا معرفته بأساليب العرب وطرائقهم في الخطاب. وباختصار؛ فالفصل الأول تضمن الإجابةَ عن المسائل الآتية:

إذا كان للغة حضورٌ معتبر في تفسير القرآن، فإلى أي مدى يمكن التعويل عليها للكشف عن دلالات النص القرآني؟ وإلى أي حد وُفِّقت في الإقناع بوجاهتها ؟

وأما الجزء الثاني: من هذا العمل فلغوي مثل القسم الأول، ولكنه يطرح قضيةً مغايرةً هي قضيةُ تعدد المعنى واختلافِه والتي تنشأ عادة من طبيعة النص فقد يكون في معجمه أو في تركيبه ما هو محتمل للمعنى وغيرِه دون أن تتوفر في التركيب من القرائن ما يدعو إلى الترجيح، فيتّجه المفسر أو غيرُه في فهم الكلام إلى معنى مخالف وأن يجد له في قواعد اللغة وبلاغتها ما يوهم بسلامةِ تحليله وصحةِ دعواه وهو ما يطلق عليه اسم التأويل فكان الجزء الثاني معالجا للقضايا التالية:

إلى أي حد يمكن أن تتحكم اللغةُ في تأويل النصوص وفهمِ معانيها، وماذا لو تحكّم التأويل في مسائلِ اللغة وجعل منها مسوغا لتقرير الأفكار والمعتقدات ؟

أما الجزء الثالث: فهو الآخر لغوي مثل القسمين السابقين إلا أن الاعتماد على اللغة فيه يكون لخدمة غرض قرآني نبيل وهو الاستدلال باللغة على إعجاز القرآن، فتحملت اللغة هنا مهمة التدليل على تميز النص القرآني وتفرده عن غيره من النصوص، فجاء القسم الثالث مجيبا عن العناصر التالية:

إذا كان الإعجاز لغويًّا فكيف وظّف المفسر اللغة من أجله ؟ وكيف تجلت مظاهر الإعجاز اللغوي عنده؟

وبناءً على ما سبق جاءت الدراسة على النّحو الآتي:

بدأت العمل بمدخلٍ عرّفت فيه بالنّيسابوري، وكتابِه: "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"

وجاء **الفصل الأوّل** بعنوان: **اللغة أداة للتفسير**. ضمّنته مبحثين، جاء في المبحث الأوّل جانبٌ من تطور الدرس اللغوي ، وبيانُ خصائصه في كل مرحلة، وتضمّن المبحث الثاني تجلّيات الاتّجاه اللغوي في تفسير النيسابوري، وقفنا فيه عند نزول القرآن على طرائق العرب وأساليبهم في الخطاب، ثم بيان التعدد الدلالي للكلمة القرآنية، وبعض ما يتعلق بقضايا النحو في هذه المدوّنة.

وجاء **الفصل الثاني** بعنوان: **اللغة أداة للتّأويل،** تضمّن مبحثين، تجلّى من خلاله التعامل مع اللغة وكيفية اشتغالها عند المتكلّمين، وما نتج عن ذلك من قضايا مثل: قضيتي المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، ثُم كيفية توظيف آليات اللغة لخدمة أصول المبدأ والعقيدة في تفسير النيسابوري.

أما **الفصل الثالث**: فهو بعنوان **اللغة أداة للإعجاز**، وفيه ثلاثة مباحث؛ تمثل الأوّل في العناية بمسألة المتشابه اللفظي، والثاني: عرض للتناسب بين الكلمات والآيات ثم السُّور، وفي المبحث الثالث: بيانٌ لكيفية التوجيه البياني للقراءات القرآنية عند النيسابوري.

وذيّلتُ البحث بخاتمة لخّصت فيها أهم النتائج المتوصل إليها،

وختاما هذا ما مكّني فيه ربّي، وأعانني إليه أساتذتي الكرام، وبلغ جهدي وطاقتي، فما كان فيه من صواب فمن الله عزّ وجل، ثمّ من توجيه الأستاذ المشرف، وما كان من خطأ أو تقصير فمن نفسي، ولا يكلّف الله نفسا إلا وسعها.

– وصل اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم –

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولاً: التعريف بالنيسابوري.

1-حياته ووفاته:

هو نِظَام الدّين الحسن بن محمد النيسابوري المعروف بالنَّظّام الأعرج « أصلُه وموطنُه مدينة قم[1] المحروسة، وكان منشأُهُ وموطنُه بِديّار نيسابور[2] » [3]

ولم تذكر كتبُ التّراجم والتّوريخ الشيءَ الكافي عن ميلاده، ونشأته، وكل ما يتعلق بسائر تفاصيل حياته، بل تضاربت أقوالها واختلفت فيما ذكر -على قلته- وهو الأمر الذي أضفى طابعًا إشكاليًّا على مساره العلمي، فأضحى من العسير أن يقفَ الدّارس على الخلفيات المُشَكّلة للمشهد المعرفي لديه.

ومِن دلائل ذلك ما جاء عن الإمام السيوطي، حيث ذكر اسمه واسم تفسيره، ثم أشار إلى كتابه "شرح الشافية في التصريف" مُعتمدا على خطبة التفسير، وختم بالقول: « لم أقِف له على ترجمة » [4] وجعله صاحب "روضات الجنات" من علماء المائة التاسعة، وأشار-بعد الثناء عليه-إلى بعض مصنفاته، ثم وقفةٌ مع تفسيره، وعقّبَ بقوله: « وتاريخ إنهاءات مجلدات تفسيره المذكور صادفت حدود ما بعد الثماني مئة والخمسين من الهجرة » [5]

ولم يبذل المؤرّخون كبير جهد في التنقيب عن فترة حياته- بدقة- بل انصرف جُلّ اهتمامهم إلى ذِكر أهم مصنفاته، ثم تاريخ وفاته، مع تضاربٍ في الأقوال وسعةٍ في الخلاف. وجاء في كشف الضنون أن وفاته كانت سنة 728هــ » [6]

وفي موضع آخر أنها سنة 828هــ» [7] وذكر في موضع آخر أنّه: « من علماء المائة التاسعة » [8]

---

[1] قم: مدينة واقعة بين أصبهان، وساوة الإيرانيتين، ومعظم أهلها من الشيعة الإمامية...ينظر معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي ، ت: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1990م ، ج4 ، ص: 451

[2] نيسابور: مدينة إيرانية عظيمة، وهي معدن الفضلاء ومنبع العلماء، خرج منها من أئمة العلم مالا يحصى ... ينظر: المصدر نفسه : ج5 ص: 382-383

[3] روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: محمد باقر الخوانساري. الدار الإسلامية. بيروت،ط1: 1991م.ج3ص96

[4] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر. بيروت. ،ط2: 1979م ،ج 1ص: 525

[5] روضات الجنات :ص: 97

[6] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ت ط: 1982م.ج2ص: 1195

[7] المصدر نفسه: ص:1062

[8] المصدر نفسه: ص:1763

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وحدّد صاحب "هدية العارفين" سنة وفاته بــ:728هــ » [1]. وجاء في" الأعلام" أن وفاته كانت بعد 850هــ » [2] ، وبمثل ذلك قال صاحب معجم المفسرين » [3]

إنّ أوّل ما يمكن أن يلاحظ – بعد هذا العرض – هو التّضاربُ الكبير، والخلافُ الواسع بين الدارسين؛ فبينما يُحدّد البعض تاريخ وفاته بــ 728هــ يذهب البعض الآخر إلى أنّه كان حيّا بعد سنة 850هــ؛ فهل يعقل أن تمتد مساحة الخلاف إلى ما يزيد عن القرن وربع القرن ؟

وليس غريبًا مادام الطّابع الغالب على أكثر هذه المصنّفات هو جمع ما ورد من أخبار العالم، وأحواله دون التّثبت منها والتحقيق في صحتها، أو على الأقل الإطلاع على ما جاء في مصنّفاته قبل الحديث عن تفاصيل حياته.

ولا شكّ أنّ التمييز بين جملة هذه الأقوال لا يجلّيه إلاّ ما أورده المفسّر – نفسُه – من حقائق يمكن التّعويل عليها في تحديد فترة وفاته – على وجه التقريب – حيث ذكر أنّه « وصل إلى تفسير سورة القدر في السابعة والعشرين من رمضان، سنة تسع وعشرين وسبعمائة من هجرة النبي ﷺ » [4]

ومن المعلوم أنّ " غرائب القرآن و رغائب الفرقان " هو آخر ما صُنّف من مؤلفات الإمام بناءً على إشارته إلى أنّه كتب هذا التفسير « وقد وهن من أعضائه عِظامها، وكاد يَفتُرُ من قِواه أكثرها بل تمامها » [5]

وعلى العموم فلم يصلنا عن حياة الرجل، ولا عن نشأته شيئًا يُذكر، وهو ما سيلقي بظِلاله – فيما بعد – على أبعاد كثيرة تمس مذهبه العقدي خصوصًا.

وعلى الرّغم من الاحتفاء الواضح من قبل مؤرخي الشيعة بالإمام النيسابوري؛ فإنّ النّزر القليل من المعلومات الواردة عنه لا يكاد يضيف شيئًا يُذكر حول شؤون حياته، ولِكُــلّ واحدٍ أن يتساءل عن السِّر الكامن وراء ندرة الترجمـــة له، والتجاهل الكبير الذي عومل به؟ [6]

---

[1] هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين:إسماعيل باشا البغدادي .دار إحياء التراث العربي .بيروت:1951م.ج1ص283

[2] الأعلام : ج2 ص:216.

[3] معجم المفسرين: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط3: 1988 م، مج1 ، ص: 145.

[4] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين النيسابوري، ت: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان- ط1: 1996م، مج6 ص : 537

[5] المصدر نفسه: ص: 608

[6] لعلّ الخطأ في نسبة الرّجل إلى المذهب الشيعي هو السّبب وراء هذا التجاهل الكبير الذي مسّ تفاصيل حياته، خاصة العلمية منها- فالشيعي لا يجد عنده ما يخدم أفكارَه، وأصول مذهبه، وغير الشيعي يتحرّج من نسبته لهذا المذهب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولا شك أنّه في مثل هذه الحالات التي ينعدم فيها اليقين، ويغلب عليها الظن والتخمين، لا يستطيع الباحث أن يُجزِم بصحة هذا التأريخ أو ذاك، وحينئذ لا يُقبل من الاجتهادات إلاّ بما بلغتْ من تحقيق وتدقيق واستقراء.

2: مذهبه العقدي:

إنّ أوّل ما يمكن أن يقف عليه في بطون بعض التراجم التي أشارت إلى حياة النيسابوري نسبتُه إلى التّشيّع، ومن أوائل من أشار إلى ذلك صاحب "روضات الجنات" حيث قال: « ويوجد أيضا كما بِالبال نِسبته إلى التّشيع في بعض مصنفات الأصحاب... مُعتضدًا بكونه من بلدٍ لم يُجبل إلاّ على الإمامية منذ بُنِي، وسمي بالحسن مع كون أبيه محمد بن الحسين، مضافًا إلى أنّه ذكر اسم المحقق الطوسي[1]-رحمه الله-في شرح تذكرته مع غاية التعظيم والتبجيل ووصفه فيه بالأعلم المحقق والفيلسوف المحقق أستاذ البشر وأعلم أهل البدو والحضر، نصير المِلّة والدّين ...وظاهرٌ أنّ أحدًا مِن أهل السنة لا يرضى بأن يذكر رجلا من الشيعة بهذه الأوصاف، ويدعو له بالخير ويقرر له دخول الجنة كما لا يخفى » [2].

وبناءً على هذا الزعم راح نفرٌ غير قليل من أهل التراجم والتاريخ يؤسس لعقيدةٍ ستصبح بمرور الأيام تهمةً في حق المفسر-رحمه الله- وإذا أمعنا النظر فيما ذهب إليه صاحب "روضات الجنات" نجد أنّ القرائن التي اعتمدها لا يمكن التّعويل عليها للأسباب الآتية:

1-إن اسم الشخص ومكان مولده لا يدلان بالضرورة على فكره العقدي، ثم إن المؤرخ نفسه قد ذكر-في البداية – أنّ « منشأه وموطنه بديار نيسابور » [3]. التي كان معظم أهلها على مذهب أهل السنة والجماعة.

2 – مدحه للإمام "الطوسي" ليس دليلا على كونه على نفس مذهبه.

3- تكلُّف المؤلِّف لأحكامٍ يغلب عليها الظن والتخمين أكثر من الحجة واليقين من جهة، وعدم الإطلاع على ما ورد في التفسير من جهة أخرى أوقعه في مغالطات كثيرة؛ بدءًا بفترة حياته، مُرورًا

---

[1] هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي: مفسر، نعته السبكي بفقيه الشيعة ومصنفهم. انتقل من خراسان إلى بغداد سنة 408 هـــ وأقام أربعين سنة. ورحل إلى الغري بالنجف فاستقر إلى أن توفي.460هـــ، أحرقت كتبه عدة مرات بمحضر من الناس. من تصانيفه: "الإيجاز في الفرائض" و "الجمل والعقود في العبادات" و "التبيان الجامع لعلوم القرآن" تفسير كبير، منه أجزاء مخطوطة و "الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار" ...ينظر: الأعلام: ج6 ص:84

[2] روضات الجنات: ص:97 -98

[3] المرجع نفسه: ص: 97

بانتمائه العقدي، وُصولًا إلى تاريخ وفاته. وعلى هذا النّهج سار معظم من أخذ عنه من الدارسين؛ بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حين جعله « من كبار علماء الشيعة الإمامية في عصره » [(1)]

وإذا عُرضتْ هذه التُّهمة على ما أورده المفسر من أفكار وعقائد وأقوال، لا يقف إلاّ على منهج مخالِفٍ، وفكرٍ مغاير لما رسخ في أذهان الكثير من الدارسين « ومعلومٌ أنّ أصدقَ ما يحكم به على المرء ما كان مأخوذا من كلامه ومُوَضَّحًا في مُصنّفاتِهِ » [(2)]

ولِلأدلة الموضحة لموقف النيسابوري من مذهب الشيعة حضورٌ معتبرٌ في تفسيره، ولا يتّسعُ المقام لإيرادها جميعا؛ لذلك نكتفي بذكر الأمثلة الآتية:

يقفُ المفسّر على قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة: 55] .بعد أن بيّن مجموعة الآراء التي أوردها الشيعة، ثم يعقب عليها بقول الإمام الرازي « هذه الآية من أدل الدلائل على فساد مذهب الإمامية ،لأنّ الذين اتفقوا على إمامة أبي بكر لو كانوا أنكروا نصًّا جليًّا على إمامة عليرضي الله عنه لكان كلهم مرتدين ،ثم لجاء الله بقوم تحاربهم وتردهم إلى الحق، ولّما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضد، فإنّ فرقة الشيعة مقهورون أبدًا، حصل الجزمُ بعدم النص » [(3)]

ويُؤيد ما ذهب إليه الرازي فيقول: « وأجيب بالمنع من أن الولي ههنا هو المتصرف، بل المراد به الناصر والمحب، لأنّ الوِلاية المنهي عنها –فيما قبل هذه الآية وفيما بعدها– هي بهذا المعنى، فكذا الولاية المأمور بها، وأيضا أنّ عليًّا رضي الله عنه لم يكن نافذ التصرف حال نزول الآية، وأنها تقضي ظاهرا أن تكون الولاية في الحال » [(4)]

ولا يقف النيسابوري عند هذا الحد ولكنه يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول: « إطلاق لفظ الجمع على الواحد لأجل التعظيم مجاز، والأصل في الإطلاق الحقيقة، فالمراد بالذين آمنوا عامة المؤمنين، ثم إنّ عليا بن أبي طالب رضي الله عنه كان أعرفَ النّاس بتفسير القرآن من هؤلاء الإمامية، فلو كانت الآية دالّة

---

(1) معجم المفسرين: مج1 ص: 145

(2) النيسابوري ومنهجه في التفسير: ماجد زكي الجلاد، دار الفكر، عمان، ط1: 2000 م ، ص:25

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 605، وينظر التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط1: 1981م، ج12 ص22

(4) المصدر نفسه: ص: 606

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على إمامة علي لاحتجّ بها، وهبْ أنّها دالّة على إِمامته، ونحن نقول بموجبه، ولكن بعد الشيوخ الثلاثة » (1)

ولو اكتفى المفسر بهذه الأقوال لكانت كافيةَ للتّدلِيل على براءتهِ العقديّة، وَلكنه يواصلُ جملةَ اعتراضاته على ما استقرّ عليه الشيعة في تفسير الآية بحجةٍ دامغةٍ، وبيانٍ ساطعٍ فيقول: « فالمراد بقوله :﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أنّ من كان الله ورسوله ناصرين له، فأيّ حاجةٍ به إلى طلب النّصرة والمحبة من غيره... وأيضا الزكاة اسم للواجب لا للمندوب، ومن المشهور أنّ عليا –عليه السلام– ما كان يجب عليه الزكاة، ولو سلم؛ فاللّائق بحالهِ أن يكون في الصلاة مستغرق القلب بالله، فلا يتفرغ لاستماع كلام السائل، ولا إلى دفع الخاتم إليه؛ لأنه عمل كثير» (2)

ويتابع المفسرح حملته على أهم المسائل التي تُبنى عليها أفكار الشيعة ومعتقداتهم، فيقف عند قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨ ﴾ [النساء: 58] يذكر الشروط التي حددها العلماء للحكم والقضاء، ثم يُعقّب بقوله: « وكفى بما في هذا المنصب من الخطر أنه منصب رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده؛ فَعلى المتصدي لذلك أن يتأدب بآدابهم، ويتخلّق بأخلاقهم، وإلاّ فالويل له » (3)

ثم ينتقل إلى قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: 59] ويحدد موقفه من المقصود بــ–أولي الأمر –في هذه الآية، فيقول: « أما ما زعمه الشيعة فلأنا نعلم بالضرورة أنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم ،والاستفادة منه ،فلو وجب علينا طاعته على الإطلاق لزم تكليف مالا يطاق، ولو وجب علينا طاعته إذ صرنا عارفين به، وبمذهبه صار هذا الإيجاب مشروطا ...وأيضا الإمام المعصوم – عندهم – في كل زمان واحد، ولفظ – أولي الأمر– جمع، وأيضا أنه قال:﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ وعلى هذا ينبغي أن يقال: فرُدّوه إلى الإمام » (4)

ومع كل آية –يقف عليها المفسر– تنكشف أبعادٌ تُبطل مزاعم من نسبه إلى التّشيع، فهو يورد القول، ثم يرد عليه بطريقته الخاصة، معتمدًا في ذلك على ما استقر عليه رأي الجمهور والمفسرين –

(1) المصدر السابق: ص : 606

(2) المصدر نفسه: ص: 606

(3) المصدر نفسه: ص: 433 - 434

(4) المصدر نفسه: ص: 434 - 435

من أهل السنة – فيقف عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: 124] بعد أن يذكر جملة من الأقوال، يذهب إلى أن المراد من الإمامة في الآية النبوة، فمن كفر بالله طرفة عين؛ فإنّه لا يصلح للنبوة، وكذا الفاسق حال الفسق لا يجوز عقد الإمامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين، فإنّ كلَّ عاصٍ ظالمٌ، والعبرة بالعدالة الظاهرة، فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر خلافا للشيعة؛ فإنهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا » [1]

ولعلّ حديثه عن مسألة الزيادة والنقصان في القرآن الكريم يعطي فكرة ضافية عن ملامح المشهد العقدي لديه، إذ يقول في ذلك: « من قال إنّ ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان، فقد أخرج القرآن عن كونه حُجةً، وطرق إليه التغيير والتحريف » [2].

وعموما فالأمثلة التي تبين موقف النيسابوري من مذهب الشيعة كثيرة في تفسيره، ولا يتسع المقام لعرضها جميعًا، وعلى هذا الأساس يفضي بنا النظر إلى القول بسلامة الاتجاه الفكري للمؤلف للأسباب الآتية:

1- لم ينصر المفسر مذهب الشيعة، ولم يوافق على أي رأي من آرائهم، وكل كلامه السابق ذم للإمامية وأهلها، وفي المقابل مدح للخلفاء الراشدين، وإعلاء لمنزلتهم، وبيان لأحقيتهم في الخلافة بعد الرسول ﷺ إذ لا يعقل أن يمدح واحد من كبار الشيعة الإمامية –كما يزعم البعض- مذهب غيره وينتصر له، ويذم مذهبه. ويرد على مزاعم أهله.

ثم إنّ تلميحه بعبارات مثل: " إنّ علي بن أبي طالب كان أعرف الناس بتفسير القرآن من هؤلاء الإمامية..." وكذلك قوله: "الإمام المعصوم عندهم ..." و "نحن نحكم بالظاهر، خِلافًا للشّيعة..." وهي اعتراضات تنفي ما قرّره الشيعة من جهة، وتبطل مزاعم مَن نَسبهُ إلى التّشيع من جهة أخرى.

2- إنّ خيرَ ما يُحكم به على المرء هو كلامه، ولن نجد أدل من قوله عن نفسه: « وإني لم أملِ في هذا الإملاء إلا إلى مذهب أهل السنة والجماعة؛ فبيّنتُ أصولهم، ووجوه استدلالاتهم بها، وما ورد عليها من الاعتراضات، والأجوبة عنها » [3]

---

[1] المصدر السابق: مج1 ص: 388

[2] المصدر نفسه: مج2 ص 88

[3] المصدر السابق: مج6 ص: 607

ثم إنّ المصادر التي بُني عليها تفسيره لا تمت إلى مصنفات الشيعة بصلة؛ سواءً أكانت في العقيدة، أو في علوم القرآن، أو الفقه، أو اللغة... وغيرها [1]

3– إن معظم الدارسين الذين اطلعوا على تفسيره أكّدوا سلامة مذهبه، وإلى ذلك أشار الإمام الذهبي[2] فقال: « وعلى كثرة ما قرأت في هذا التفسير، لم أقع على نص منه يدل على تشيع مؤلفه » [3]

وإلى مثل ذلك ذهب صاحب "اللآلئ الحسان في علوم القرآن" فقال: « ويتّهمُه البعضُ بالتشيع؛ والتحقيق أنّه محافظٌ على مذهب أهل السنة والجماعة » [4]

3.آثاره العلمية:

إنّ غياب المسار العلمي للإمام النيسابوري عن أذهان الدارسين ما هو إلا جزء من غياب تاريخه العام، فالمتتبع لحياة الرجل العلمية لا يقف على ما لَهُ علاقة بالأسرة العلمية التي نشأ فيها، إذ لم تحتفظ لنا تلك المدونات التي أفردته بالتصنيف بشيء عن أهم شيوخه، ولا حتى عن تلامذته؛ وإنْ كان حَرِيًّا بالرجل أن يكون له من التلامذة ما يعكس مقامه العلمي الرفيع، ويضعه في موضعه الحقيقي بين أهل العلم. ولا غرو فهو « إمام المفسرين، وعصام المتبحرين، نظام الملة والدين... وبالجملة فأمرُه في الفضل، والأدب، والتّبحر، والتّحقيق، وجودة القريحة في متأخري علماء العامة أشهر من أن يُذكر، وأبين من أن يُسطر، وكان من كبار الحفاظ والمفسرين » [5]

ولعل ما وصلنا من مؤلفات نسبت إلى الرجل كفيل بأن يعطي صورة واضحة عن مسيرته العلمية، إذ أنها جاءت في فنون متعددة؛ تكشف عن موسوعية في الطابع، واقتدار عجيب على استيعاب شتى العلوم يقول : « وإذ وفقني الله لتحريك القلم في أكثر الفنون المنقولة، والمعقولة، وكان قد رزقني الله تعالى إبّان الصِّبا، وعنفوان الشباب حفظ القرآن، وفهم معنى الفرقان » [6]

ثم إنّ مصنفاته العلمية قد شهدت رواجا بين أهل العلم، وطلبته،وقد أحصى له الدارسون المصنفات الآتية:

---

[1] ينظر المصدر نفسه: ص: 606- 607

[2] هو محمد حسين الذهبي صاحب " التفسير والمفسرون"

[3] التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7: 2000 م، ج1 ص: 233

[4] اللآلئ الحسان في علوم القرآن: موسى شاهين لاشين، دار االشروق، القاهرة، ط1: 2002م ، ص: 329

[5] روضات الجنات :ص: 97 .

[6] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 5

1-في التفسير وعلوم القرآن:

– أوقاف القرآن » [1] ، لب التأويل » [2] تفسيره المسمى: "غرائب القرآن ورغائب الفرقان "

2- في العربية وعلومها:

– الجملية في بيان أن الجمل نكرات أم لا [3]، شرح الشافية في التصريف: وهو شرح ممزوج مسهول يعرف بين الطلبة بشرح النظام [4]، شرح مفتاح العلوم [5]

3- في الرياضيات والهيئة وغيرها:

– البصائر في مختصر تنقيح المناظر » [6]، تعبير التحرير: سماه صاحب كشف الضنون: « تفسير التحبير » [7] توضيح التذكرة: وهو شرح على تذكرة الخواجة نصير الدين الطوسي في علم الهيئة » [8] الشمسية في الحساب » [9] كشف الحقائق » [10]

ثانيا : التعريف بكتاب : " غرائب القرآن ورغائب الفرقان"

1-عنوانه ومقدماته:

يُعرَف تفسير النيسابوري للقرآن بـــ"غرائب القرآن ورغائب الفرقان " وهو في الحقيقة عنوان يكشف عمّا حوى هذا السِّفر الجليل من أسرار ونكت ولطائف، ومن كل أصناف المعرفة، ما يُرغّب الباحث في اتخاذه مصدرًا هامًّا من مصادر الدرس القرآني، إذ لا يتردد القارئ لهذا التفسير في الحكم على كونه ينبئ عن التعريف بالكتاب كما يريده صاحبه. هذا إلى جانب اعتماده على تفسيرين كبيرين هما: "مفاتيح الغيب" المشهور بـــ" التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي. و"الكشاف عن حقائق غوامض التزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل" للزمخشري، مُضيفًا إليهما مما فتح الله عليه من العلم

---

(1) روضات الجنات :ص 97 ، وينظر معجم المفسرين م1 ص : 146 ، و هدية العارفين: ج1 ص: 283

(2) روضات الجنات :ص 96 ، وينظر معجم المفسرين م1 ص: 146

(3) ينظر: النيسابوري ومنهجه في التفسير: ص 34

(4) ينظر: روضات الجنات: ج: 3 ص: 96-97.

(5) ينظر: كشف الضنون: ج2 ص: 1762

(6) ينظر النيسابوري ومنهجه في التفسير: ص: 35

(7) كشف الضنون: ج2 ص: 1594 – 1595 ، و هدية العارفين: ج1 ص: 283

(8) كشف الضنون: ج1 ص: 391-392 ، وينظر روضات الجنات: ص: 97

(9) كشف الضنون: ج2 ص: 1062 ، وينظر روضات الجنات: ص: 97

(10) كشف الضنون: ج1 ص: 964

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمعرفة، وما رآه من اللطائف والفوائد في التفاسير الأخرى، وقد أوجز ذلك بقوله: « وذكرتُ طرفًا من الإشارات المقنعات، والتأويلات المُمكنات، والحكايات المبكيات، والمواعظ الرّادعة عن المنهيات، البَاعثة على أداء الواجبات، والتزمتُ إيراد لفظ القرآن أوّلاً؛ مع ترجمته على وجه بديع، وطريق منيع، مشتمل على إبراز المُقَدرات، وإظهار المضمرات، وتأويل المتشابهات، وتصريح الكنايات، وتحقيق المجازات والاستعارات ...» [1]

وقد سلك الإمام النيسابوري في تفسيره منهجية محددة فصّلها في مقدمة تفسيره؛ تمثلت فيما يلي:

أ – مهّد لتفسيره بمقدمات جليلة ركّز فيها على مصطلحات و قضايا هامة في علوم القرآن والتفسير؛ يحتاج إليها كل مفسر مثل:

1– القراءات القرآنية: حيث فصّل في فضل القراءة والقارئ، ثم ذكر القرّاء السّبعة والأئمة المختارين وجواز اختلاف القراءات.

2– الإستعاذة وما يتعلق بها من مسائل ونكت ولطائف.

3– عرض مسائل مُهِمّة عن القراءات السبع، والأحرف السبع وما يتعلق بهما.

4– بيان كيفية جمع القرآن.

5– مقدمة في معاني المصحف، والكتاب والقرآن، والسورة، والآية، والكلمة، والحرف...

6– ذكر السبع الطول، والمثاني، والمئين، والطواسيم، والحواميم، والمفصّل، والمسبّحات...

7– ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهي في الأصل واحدة.

8– أقسام الوقف.

9– تقسيمات يعرف منها اصطلاحات مهمة.

10– حديثه عن كلام الله تعالى قديم أم لا.

11– كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الألفاظ القليلة.

ب– رتّب تفسيره للقرآن وفق ترتيب السور في المصحف مُتّبِعًا الأسلوب الآتي:

1– يبدأ بالإشارة إلى اسم السورة الكريمة، ثم يبيّن المكي والمدني، وعدد حروفها وكلماتها وآياتها

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 6

2- تقسيم السورة إلى مقاطع من الآيات –حسب الموضوع - وبيان ما ورد فيها من القراءات، والوقوف، ثم يختم كل سورة بالتفسير الإشاري [1] ويجعله تحت عنوان " التأويل "

2- مناسبة تأليفه:

جاء في مقدمة التفسير أنّ الإمام النيسابوري ألّف تفسيره هذا تلبيةً لرغبة بعض العلماء الذين أشاروا عليه بذلك، فرأى أن يجمع كتابًا في علم التفسير مشتملا على المهمات، مُبيِّنًا ما وقع إليه من نقل الأثبات، وأقوال الثقات من الصحابة والتابعين، ثم من العلماء الراسخين، والفضلاء المحققين المتقدمين، والمتأخرين » [2]

وليس من اليسير أن يدرك المرء هذه الدرجة – لاسيما إذا تعلق الأمر بكتاب الله – إلاّ إذا توافرت فيه شروط تؤهله للخوض في مسائل هذا العلم، وفروعه ودقائقه، مثل الإحاطة بعلوم اللغة والبلاغة والفقه والحديث وعلوم القرآن... يقول الرجل: « ولو لم تكن العلوم الأدبية بأنواعها، والأصولية بفروعها، والحكمية بجملها وتفاصيلها وسيلة إلى فهم معاني كتاب الله العزيز، واستنباط نكتها من معادنها، واستخراج خباياها من مكامنها لكنت متأسفا على ما أزجيت من العمر في بحث تلك القواليب، وأمليتُ من الفكر في تأليف ما ألّفتُ في كل أسلوب من أولئك الأساليب » [3]

ولم يكن المفسر يقصد في تأليفه هذا مجرد جلب نفع عاجل؛ وإنما كان المقصود جمع المتفرق وضبط المنتشر، وتبيين بعض وجوه الإعجاز الحاصل في كلام رب العالمين، وحل الألفاظ في كتب بعض المفسرين ...» [4]

ولا شك أنّ وراءَ كلِّ عملٍ كبير نفسًا أبيّة وهِمّةً عِليّة، تعاف سفساف الأمور، وتميل عن زخرف الدنيا وزبرجها، فكان من معاصم المقاصد من إنشاء هذا التفسير أن يكون جليسَ الرّجُل مدة حياته، وأنيسه في وقت مماته، حين لا أنيس للمرء إلا ما أسلف من برّه ولا ينفع الإنسان إلاّ ما قدّم من خيره » [5]

---

[1] التفسير الإشاري: هو تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارة تظهر لأرباب السلوك والصفاء، مع عدم إبطال الظاهر. ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، ت: فوزي أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 1995م ج2 ص: 78

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص:5

[3] المصدر نفسه: ص:608

[4] المصدر نفسه: ص: 608

[5] المصدر نفسه: ص: 608

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- مصادر المؤلِّف في العلوم المختلفة:

إنّ الناظر في تفسير النيسابوري يلحظ تنوعا في المصادر التي تضمنها كتابُه؛ فالقرآن الكريم يُعدّ مصدرًا رئيسيا في تفسيره، والسنّة النبوية كذلك لها حضور كثيف في اهتمامات المؤلف، وأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم ممن اشتهر بالتصنيف، مُضيفًا إليها أقوال أئمة اللغة والنحو والمعاني، وكذا أقوال الحكماء والأدباء والصوفية والمتكلمين...وغيرهم.

وما وقفنا عليه أثناء الإطلاع على ما جاء في مؤلّفه هو إشارة صاحبه إلى أهم المدونات التي اعتمدها فقال: « وقد تضمن كتابي هذا حاصل" التفسير الكبير " الجامع لأكثر التفاسير، وجل كتاب "الكشاف" الذي رزق له القبول من أساتذة الأطراف والأكناف..أمّا الأحاديث فَإما من الكتب المشهورة: كجامع الأصول" [1] ، والمصابيح وغيرها، وإما من كتاب الكشاف، والتفسير الكبير ونحوهما...وأما "الوقوف" فـ للإمام السجاوندي" [2] ... وأما أسباب الترول: فمن كتاب: جامع الأصول والتفسيرين، أومن تفسير الواحدي " [3]، وما اللغة فمن "صحاح الجوهري" [4] ومن التفسيرين – كما نقلا- وأما المعاني والبيان، وسائر المسائل الأدبية، فمن التفسيرين، والمفتاح "[5] وسائر الكتب العربية، وأما الأحكام الشرعية فمنهما ومن الكتب المعتبرة في الفقه، ولا سيما شرح الوجيز للإمام الرافعي" [6] ، وأمّا التّأويل فأكثرها للشيخ المحقق ...نجم الملة الملة والدين المعروف بـــ داية " [7]

---

[1] جامع الأصول لأحاديث الرسول: لأبي السعادات مبارك المعروف بابن الأثير الجزري الشافعي (ت 606هــ)

[2] هو محمد بن طيفور الغزنوي السجاوندي، أبو عبد الله: مفسر، عالم بالقراءات(ت 560هــ). من كتبه: "التفسير" و "الإيضاح في الوقف والابتداء " و "علل القراءات". ينظر: الأعلام: ج6 ص: 179

[3] هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار أصله من ساوة (بين الري وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور سنة 468هــ.له " البسيط " و " الوسيط " و " الوجيز " كلها في التفسير، ينظر: الأعلام: ج4 ص: 255

[4] هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول الطيران، ومات في سبيله 393هــ. لغوي، من الأئمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلة. أشهر كتبه: "الصحاح". وله كتاب في "العروض" ومقدمته في "النحو" أصله من فاراب...ينظر: ج1 ص: 313

[5] اسم الكتاب: مفتاح العلوم : لأبي يعقوب سراج الدين السكاكي (ت 626هــ)

[6] هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني: فقيه، من كبار الشافعية، كان له مجلس بقزوين للتفسير والحديث، وتوفي فيها سنة 623هــ. نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي. له " التدوين في ذكره أخبار قزوين " و " الإيجاز في أخطار الحجاز " و " المحرر " فقه و " فتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي " في الفقه، و "شرح مسند الشافعي " ...ينظر: الأعلام: ج4 ص: 55

[7] التأويلات النجمية: لأبي بكر عبد الله بن محمد الصوفي المعروف ب : نجم الدين داية (ت654هــ)

ولا يعني ذلك أن المفسر قد اقتصر في نقله على المصادر المذكورة فحسب؛ بل إنّ ما لم يصرح به أكثر من أن ينضبط، وأصعب من أن يحصى؛ وشمل ذلك علوما شتى: **ففي علوم القرآن والتفسير** استقى من مصادر مثل:

- جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر بن جرير الطبري (ت: 310هـ)
- التفسير الكبير للقرآن: لأبي القاسم عبد الله بن أحمد البلخي المعروف بـ الكعبي المعتزلي (ت: 319هـ)
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأبي إسحاق أحمد بن محسن الثعلبي (ت: 428هـ)

وفي **الفقه وعلوم الحديث** استقى من مصادر لا يُستغنى عنها مثل :

- الجامع الصحيح: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)
- المسند الصحيح: لأبي الحسن مسلم (ت: 261هـ)
- السُّنن: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ)
- الموطأ: لأبي عبد الله مالك بن أنس (ت: 179هـ)
- الأم: لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت: 204هـ)

هذا وقد حفل تفسير النيسابوري بآراء فقهية كثيرة وأقوال مأخوذة من كتب الفقه والحديث دون التصريح بأسمائها؛ ذلك أنه كان يُردّد قوله " قالت الفقهاء " أحيانا، ويعزو الأقوال إلى أصحابها أحيانا أخرى.

ومصادره في **علوم اللغة والبلاغة** ثرية بثراء علمه باللغة وأسرارها؛ ويتصدر القضايا اللغوية التي أوردها جل أسماء علماء اللغة وأئمة البلاغة. فكان يذكر مؤلفاتهم حينا ويورد أقوالهم أحيانا. وهذه المصادر وغيرها جميعا ضمّنها تفسيره في مواطن مختلفة بحسب المواقف والحاجات.

4-جمعه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

لقد تكفل الله – عز وجل – بحفظ كتابه الكريم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩] ومن دلائل حفظه أنّه فصّل أحكامه، وبيّن معانيه، ونص على ذلك في مواضع كثيرة منها قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقوله:﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١] وقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١٠٥ ﴾ [الأنعام: ١٠٥] وقوله كذلك﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝١٩ ﴾ [القيامة: ١٩]

والبيان المذكور في الآيات مُتعدد الطرق والوسائل، ومنها تفسير القرآن بالقرآن نفسه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩] وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] فإذا كان القرآن الكريم تبيانا لكل شيء، وتفصيلا لكل شيء، فهو أن يُبين ويُفصّل نفسه من باب أولى. ومنه بيان النبي ﷺ ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

ومنه بيان أهل العلم والحكمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين « وإنّ الناظر ليعجب من فقه الصحابة في تفاسيرهم، ودقة استنباطهم، فقد بلغوا في هذا الباب درجة لا تكاد تجد مثلها لمن بعدهم، وليس هذا بمستغرب من مثلهم؛ فباب الاستنباط مبني على زكاء النفس، وقوة النظر، وجودة القريحة، وصحة فهم، وحسن بيان »[1]

ولقد أشار ابن تيمية – رحمه الله –إلى هذه الطرق الأربعة، وأدرجها تحت مصطلح " أحسن طرق التفسير" فقال: « فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب: إنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فُسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسِط في موضع آخر؛ فإن أعياك ذلك فعليك بالسُّنة؛ فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له... وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السُّنة، رجعتَ في ذلك إلى أقوال الصحابة... وإذا تعذر ذلك فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين »[2]

ونقل الإمام الزركشي – رحمه الله – قول ابن تيمية؛ ولكنه ذكر النظر والاستنباط كطريق رابع من طرق التفسير [3]

ثم انتقل هذا المعنى إلى الدرس القرآني الحديث ولكن بمصطلح مغاير، وتحديدا مع الشيخ عبد العظيم الزرقاني حيث جعل "التفسير المأثور" هو ما جاء في القرآن، أو السنة، أو كلام الصحابة، تبيانا لمراد الله من كتابه» [1] .

---

[1] معالم الاستنباط في التفسير: نايف بن سعيد الزهراني، مجلة معهد الشاطبي للدراسات القرآنية، ع4: 1428هـ ، ص : 17

[2] مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الفجر، الجزائر، ط1 :2001م، ص :57- 59 - 65

[3] ينظر البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة القاهرة ،ج2، ص175 ، والإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ت : فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت ، 2004م ض853:

إذ هو أقدم من نص على كون هذه الأربعة هي التفسير بالمأثور » [2]

وجاء الإمام الذهبي فذكر- هو الآخر- هذه الأنواع تحت ذات المصطلح[3] ثم تتابع معظم أهل التفسير وعلوم القرآن على هذا الاستعمال « لذا فإنّ كثرة وجوده في كتب علوم القرآن المعاصرة، أو غيرها من مناهج كتب المفسرين، أو مقدمات بعض المحققين لبعض التفاسير لا يعني صحته على الإطلاق، بل هؤلاء نقلوه عن كتاب "التفسير والمفسرون"بلا تحرير ولا تأمل فيه، إلاّ القليل منهم» [4]

وعلى هذا الأساس ينبغي التفريق بين كون القرآن الكريم من أحسن طرق التفسير، وبين كون التفسير به يُعدّ من باب المأثور« فكيف يكون تفسير القرآن بالقرآن مأثورًا، وأنت ترى الله يُمنّ عليك بتفسير آية بآية، فعن من أثرته ؟ عمن أثر ابن كثير (ت 774هـ) تفسيراته القرآنية للقرآن ؟ وكذا محمد الأمين الشنقيطي (ت: 1393هـ) في كتابه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » [5]

فقول المفسر: إنّ هذه الآية تُفسّرها هذه، أو تلك، هو من قبيل الاجتهاد، أمّا ما جاء منقولا عن النبي ﷺ في هذا الباب فينبغي قبوله مطلقًا لأنه وحي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] ولا شك أن استعمال النبي ﷺ لهذا الطريق -وإن كان قليلا- يجعله من أهم مصادر التفسير؛ فإذا تَبين مراد القرآن من القرآن فلا يُعدَل عنه إلى غيره. أمّا عدا ذلك فهو رأي واجتهاد داخل ضمن تفسير من فسر به » [6] ولا يمكن عده من باب المأثور، ثم إنّ تسمية تلك الطرق الأربعة بأنها مأثور جعل بعض الباحثين الذين اعتمدوا هذا المصطلح يغفل عن وقوع الاجتهاد في التفسير عند السلف » [7]، ومن الواضح أنّ « التفسير بالرأي بدأ مُبكرًا، ولكنه كان التفسير بالرأي المحمود، وهو ما وافق الاجتهاد فيه الكتاب،والسنة، واللغة، وتجرد عن الهوى» [8]

ذلك أنّ أهل التفسير-آنئذٍ- كانوا يدركون جيدا معنى قوله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] مثلما يُدركون معنى قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن: ج2 ص: 12

(2) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2: 1427هـ، ص20

(3) ينظر التفسير والمفسرون: ج1، ص: 112

(4) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص: 21

(5) المرجع نفسه، ص : 21

(6) فصول في أصول التفسير: مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط3 :1999م ، ص: 53

(7) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص: 27

(8) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي، الرياض، ط2: 1983م ، ج1 ص: 28

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦] فسلكوا طريق المعرفة الصحيحة، وهو آمن سبيل للحفظ من الزلل والزيغ في كتاب الله تعالى « لِأنّ الرأي المجرد الذي لا شاهد له مدعاة للشطط في كتاب الله، وأكثر الذين تناولوا التفسير بهذه الروح كانوا من أهل البدع الذين اعتقدوا مذاهب باطلة، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم » [1]

والذي يمكن الوقوف عليه من خلال هذا العرض الموجز هو أنّ ما يمكن أن يطلق عليه تفسير بالمأثور، ويجب الأخذ به ثلاثة أنواع، حددها بعض الدارسين فيما يلي:

الأول: ما روي عن رسول الله ﷺ من تفسيره القرآن.

الثاني: ما روي عن الصحابة مما له حكم المرفوع، كأسباب النزول والمغيبات.

الثالث: ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون؛ وهذا يلحق بالمأثور، لوجوب الأخذ به؛ لِأنّ الإجماع حجة » [2].

وقد بيّن الإمام النيسابوري موقفه مما قال به بعض من شدد النكير على تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد، وذهب إلى أنّ المقصود من النهي « الاقتصار على النقل والمسموع، وترك الاستنباط، أو المراد به أمر آخر، وباطلٌ أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في تفسير القرآن إلاّ بما سمعه؛ فإنّ الصحابة ﭫ قد فسّروا القرآن، واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه، كيف وقد دعا النبي ﷺ لابن عباس : "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " [3] فإن كان التأويل مسموعا كالتتريل فما فائدة تخصيصه بذلك ؟ وإنما النهي يحمل على وجهين:

أ – أن يكون للمفسر في الشيء رأيٌ، وإليه ميلٌ من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق هواه، ليحتجّ على تصحيح غرضه... وهذا قد يكون مع العلم بأنّ المراد من الآية ليس ذلك، ولكن يلبس على فهمه، وقد يكون مع الجهل وذلك إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه... وقد يكون له غرضٌ صحيحٌ؛ فيطلب له دليلاً من القرآن...كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول: المراد"بفرعون" في قوله تعالى﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النازعات: ١٧] هو النفس.

ب — أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق

---

[1] مباحث في علوم القرآن: مناع القطّان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7 ، ص: 342

[2] فصول في أصول التفسير ، ص: 54

[3] رواه البخاري في كتاب العلم بلفظ " اللهم علِّمه الكتاب " ، الباب: 17 ، ورواه مسلم في كتاب : فضائل الصحابة بلفظ "اللهم فقهه" ، الباب: 30 .

بغريب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة، والاختصار، والحذف، والإضمار، والتقديم،والتأخير »[1]

ولا شك أن هذا النوع من التفسير لا يختلف اثنان على بطلانه، وفساد مذهب أهله؛ لِأنّ ذلك يدخل تحت إطار التأويل الفاسد « فالنّقل والسّماع لابد منه في ظاهر التفسير أوّلاً، ليتّقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع للتفهم والاستنباط » [2]

وتفسير الإمام يكشف عن منهج معتدل، وطريقة مثلى تجلت فيها منقولاته عن النبي ﷺ وعن الصحابة، والتّابعين، وأهل العلم عمومًا.

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١] حيث ذكر أنّ: « قتل النّفس المحرّمة قد يكون حقّا لجرمٍ صدر عنها كما جاء في الحديث:" لا يحل دم امرئ مسلم إلاّ لإحدى ثلاث: كفرٌ بعد إيمان، وزنًا بعد إحصان، وقتلُ نفس بغير حق" [3]

ومن وجوه عناياته بالحديث النبوي الشريف استشهاده في معرض بيانه لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾﴾ [النازعات: ٤٢] بقول النبي ﷺ: "إنّ الساعة تهيج بالناس والرّجل يصلح حوضه، والرّجل يسقي ماشيته، والرّجل يُقوّم سلعته في سوقه، والرّجل يخفض ميزانه ويرفعه " [4] ويبيّن معنى قوله تعالى﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] فيقول: « والحشر على الوجوه إمّا بمعنى السّحب عليها كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨] ، وإما بمعنى المشي عليها، كما روي أنّه ﷺ سُئل عن ذلك فقال: " إنّ الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم " [5]

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، مج1 ص: 60-61

[2] المصدر نفسه : ص : 61.

[3] المصدر نفسه، م3 ص: 178. الحديث رواه الترمذي في كتاب الديات: الباب 10 ، وأبو داود في كتاب الحدود: الباب:1

[4] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، مج3 ص: 357. الحديث: رواه البخاري– بلفظ مغاير – في كتاب الرِّقاق، الباب: 40 ، ورواه مسلم – بلفظ آخر– في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، الباب:27

[5] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج4 ص: 392 . الحديث: رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، الباب:1 ، السورة : 25 . ورواه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، الباب: 11.

والأمثلة الواردة في هذا الشّأن أكثر من أن تُحصى في تفسيره، وعلى العموم فقد تعددت جوانب الإستشهاد بكلام النّبي ﷺ بين توضيح معاني القرآن، أو استنباط الأحكام الشرعية، أو حتى لتوضيح معاني الكلمات واشتقاقاتها.

هذا وقد اعتمد المفسّر على ما ورد من أقوال مأثورة عن الصحابة والتابعين – حسب المواقف والمناسبات – ولكنّه لم يكن يولِ اعتبارًا كبيرا للرواية خاصة فيما يتعلّق بأسباب النّزول، وغالبًا ما يشير إلى تعدد الأقوال دون التفريق بين ما صحّ منها وما لم يصح [1]

وإذا انتقلنا إلى جانب آخر من جوانب تفسيره، نجده يبيّن معاني القرآن بما جاء في القرآن نفسه، وقد أجمع العلماء على أنّ أشرف أنواع التفسير، وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أ حد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا من الله جل وعلا » [2]

ولا شك أنّ إجماع العلماء على شرف هذا النّوع من التفسير يدعو إلى التدبر في كلام الله، والتمعن في معانيه، ومن ثمة الكشف عن أسراره ومراميه، قال تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]

ومن دلائل اهتمام الرجل بهذا النّوع من التفسير بيانه لقوله تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] حيث ذكر إجماع الأمة على أنّ بعض الأنبياء أفضل من بعض، وعلى أنّ محمدا أفضل الكل لوجوه منها: قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

ومنها قوله: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح: ٤] قرن ذكره بذكر محمد ﷺ في كلمة الشهادة، وفي الآذان والتشهد، و لم يكن ذلك لسائر الأنبياء، ومنه أنّه قرن طاعته بطاعته: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] وبيعته ببيعته: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠] وعزته بعزته:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [المنافقون: ٨] ورضاه برضاه:﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢] وإجابته بإجابته:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ٢٤] ومحبته بمحبته: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] » [3]

ثم ينتقل المفسر إلى ذكر الفوارق بين ماهية المعجزة عند الرسول ﷺ وعند سائر الأنبياء فيقول:

---

(1) ينظر على سبيل المثال : مج1 ص : 130 – 458 – 492 – 554 ، مج3 ص : 178 – 192-357 ، و:مج4 ص: 57-165- 392- 579 و : مج 6 ص:174 – 200 .

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1: 1462هـ، م1 ص: 4

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 4.

« ومنها أن معجزاته أكثر، وقد ترتقي إلى ألف من جملتها القرآن، بل القرآن يشتمل على ألفي معجزة وأزيد، لِأنّ التحدي وقع بأقصر سورة هي الكوثر وإنها ثلاث آيات، وكل ثلاث آيات من القرآن تصلح للتحدي فيكون معجزاً برأسه. ومنها أن معجزته، وهي القرآن، باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم قد انقضت وانقرضت؛ مع أنّ معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهي الأصوات والحروف، ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة » (1).

ويواصل تقديم الأدلة على أنّ محمّدًا ﷺ أفضل الكل فيقول: « ومنها أنه اجتمع فيه من الخصال الجميلة والخلال المرضية ما كان متفرقاً فيهم وإليه الإشارة بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠] أي أطلعناك على أحوالهم وسيرهم فاختر أنت منها أجودها وأحسنها... ومنها: أنه بعث إلى الخلق كافة، وكان يتحمَّل أعباء الرسالة أكثر فيكون ثوابه أزيد. ومنها أن هذا الدين أفضل وإلا لم ينسخ به سائر الأديان فيكون شارعه أفضل، ومنها أن أُمَّته أفضل: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وإذا كان التابع أفضل فالمتبوع أفضل، ومنها أن أمته أكثر لكونه مبعوثاً إلى الجن والإنس، ولا يخفى أن لكثرة التابعين أثراً قوياً في علو شأن المتبوع.

ومنها أن كل نبيٍّ نودي في القرآن فقد نودي باسمه. ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ ﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ ﴾ [الصافات: ١٠٤] ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران: ٥٥] وأما النبي ﷺ فإنه نودي بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأنفال: ٦٤] وغيرها كثير. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة: ٦٧] بل أقسم بحياته: ﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢ ﴾ [الحجر: ٧٢] » (2)

وما يدخل في هذا الباب بيانه لقوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ ﴾ [الكهف: ٤٧] فيقول: « فتسييرها إمّا إلى العدم لقوله: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ ﴾ [طه: ١٠٥] ﴿ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦ ﴾ [الواقعة: ٥ – ٦] وإمّا إلى موضع لا يعلمه إلا الله ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ ﴾ [الكهف: ٤٧] لِأنّه لا يبقى على وجهها شيءٌ يسترها من العمارات، ولا من الجبال والأشجار، وإمّا لِأنّها أبرزت ما في بطنها من الأموات لقوله: ﴿ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ ﴾ [الانشقاق: ٤] (3)

(1) المصدر نفسه: مج2 ص: 4.
(2) المصدر السابق: مج2 ص: 5
(3) المصدر نفسه: مج4 ص: 435 – 436 ، وينظر ص: 174 – 198 – 368 – 528 .

وكثيرًا ما يقف المفسر عند الآية؛ فيبين وجوه التفصيل بعد الإجمال، أو الإيضاح بعد الإبهام، أو غيرهما من الجوانب التي ذكرها العلماء – فيما يتعلق بالتفسير القرآني للقرآن – ومن ذلك ما أورده في حديثه عن قوله تعالى:﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٤٩] إذ يقول: « إنّه سبحانه وتعالى لمّا ذكر النّعمة على بني إسرائيل إجمالا؛ أخذ في تفصيلها واحدة فواحدة، ليكون أبلغ في التذكر، وأعظم في الحجة، كأنه قال: "اذكروا نعمتي" ، "واذكروا إذ انجيناكم" ، "وإذ فرقنا"، وإذ كان كذا وكذا...» [1] المنادي، وينادي للإيمان هي فائدة الإطلاق ثم التقييد، والإجمال ثم التفصيل من رفع شأن المطلق والمجمل، وكونه حينئذ أوقع في النّفس وأعز » [2]

وفي كل موضع من تفسير النيسابوري ترد هذه القضايا يرد معها التّنبيه إلى أهمية هذا النّوع من الأسلوب في التأثير على السامع، ولفت انتباهه إلى واحدة من خصوصيات البيان القرآني الرفيع.

وعموما فالإجتهاد عند المفسِّر قائم على إبراز ما أمكن من المعاني الخفية، واللطائف الجليلة التي يدل عليها النّص القرآني بصريح العبارة، أو بلطيف الإشارة، معتمدًا في سبيل الوصول إلى ذلك على آليات شتّى:كقواعد التفسير وعلم الأصول، علوم اللغة ومصطلحاتها، الحدود والمصطلحات المنطقية... هذا إلى جانب الفهم الذي يقذفه الله- عز وجل- في قلوب من يشاء من عباده الصالحين من خلال تدبرهم لآيات الكتاب العزيز.

(1) المصدر نفسه: مج1 ص: 282

(2) المصدر نفسه: مج 2، ص: 332

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: اللغة أداة للتفسير

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التفسير اللغوي، مفهومه، نشأته، وتطوره.

المبحث الثاني: الاتّجاه اللغوي في تفسير النيسابوري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: اللغة أداة للتفسير.

المبحث الأول: التفسير اللُّغوي: مفهومه، نشأته، وتطوره.

المطلب الأول: مفهوم التفسير اللغوي:

لقد سَلك الدّارسون للقرآن الكريم – قديمًا وحديثًا – مناهج متعدِّدة تهدف إلى الكشف عن أسراره ودلالاته، والبحث عن نواحي التّميز فيه؛ ويُعَدُّ المنهج اللُّغوي في التفسير واحِدٌ من تلك المناهج التي كان لها حُضور واسع في مجال الدراسات القرآنية، والمقصود بذلك « أن يكون لِلشّارح اهتمام بلغة النّص، وصناعته قصد العبور إلى دلالته » [1] استنادًا إلى ما هو مألوف في لغة العرب وأساليبهم في الخطاب.

ومن المعلوم أنَّ « القرآن نزل بألفاظ العرب، ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز، والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلاّ اللّقِن، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خُفي » [2].

وإلى هذا المعنى أشار الشّاطبي فقال: « فإن قُلنا إنّ القرآن نزل بِلسان العربِ وإنّه عربيٌّ، وإنّهُ لا عُجمة فيه؛ فبِمعنى أنّه أُنزل على لِسان معهود العرب في ألفاظِها الخاصّة وأساليب معانيها وأنّها فيما فُطِرت عليه من لِسانها ... » [3]

وقد أكّد القرآن الكريم نفسُه حقيقة عروبته من هذه الناحية، وألحّ عليها في مواضع عِدة منها قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾ [يوسف : 2] ، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ۝١١٣ ﴾ [طه : 113] وقوله: ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾ [فصلت: ٣] .

ومع تأكيد القرآن هذه الحقيقة نفى أن يكون فيه لِسانٌ غير عربي في موضعين هما : **قوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ۝١٠٣ ﴾ [النحل: ١٠٣] وقوله: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ ۝٤٤ ﴾ [فصلت: ٤٤] ولمَّا كان الأمر كذلك؛ فإنّه لا يمكن العدول عن هذه اللغة إلى غيرها، وبذلك أقام الله

---

(1) قضايا اللغة في كتب التفسير. الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي للنشر والتّوزيع، صفاقس، تونس، ط1: 1998م ص:43

(2) تأويل مشكل القرآن : ابن قُتيبة ، ت: أحمد صقر، مكتبة دار التراث : القاهرة ، ط2 : 1973م ، ص: 86

(3) الموافقات: الشاطبي ، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1: 1997م، ج2، ص: 103

سبحانه وتعالى حُجته بأنّ كتابه عربي في كُلِّ آية...ثم أكّد ذلك؛ بأن نفى عنه كُلَّ لِسان غير لسان العرب » [1]

روي عن أنس بن مالك قوله: « لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلتُه نَكالاً » [2]

وعلى هذا الأساس لا يمكن أن يفسِّر القرآن إلا من اتَّخذ من العربية وعلومِها وقواعِدها شرطًا أساسيًّا من شُروط الفهم والتفسير « لأنه لا يعلم من إيضاح جُمل عِلم الكتاب أحدٌ جهل سِعة لِسان العربِ وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرّقها، ومن عَلِمهُ انتفت عنه الشُّبه التي دخلت على من جهل لسانها » [3] وهذا يدل على أثر معرفة لغة العرب للمفسر « ومن زعم أنّه قادر على فهم كتاب الله من غير معرفة بلسان العرب فقد قال مُحالا ، وأعظم الفرية » [4] لأنَّ الله – عز وجل- يقول ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]

هذا وقد شدد العلماء النّكير على من حاول تفسير القرآن وهو جاهل بأساليب العربية؛ ومن ذلك ما روي عن مجاهد أنّه قال: « لا يَحِلُّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلّم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بِلغاتِ العرب » [5]

وقال ابن جنّي: « إنّ أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها؛ فإنّما استهواه واستخفّ حِلمَهُ ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطِب الكافّة بها » [6]

وأقوال أهل العلم في هذا الشأن أكثر من أن تُحصى وفي ذلك دلالة على وجاهة اللغة، وأهميتها في فك ما يبدو مستشكلاً من معاني النص القرآني.

وإذا كانت هذه قيمة اللغة فهل هذا يؤهلها لتستقل بتفسير القرآن ؟

لقد ذهب ابن خلدون في تقويمه للمصدر اللغوي إلى حدٍّ بعيد حينما عدَّ العرب جميعا يفهمون تراكيب القرآن ومعانيه لأنّه نزل بلغتهم فقال: « إنّ القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليبِ بلاغتهم

(1) الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي، ت :أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية ص:47

(2) البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 292

(3) الرِّسالة : ص: 49

(4) التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، ص: 48

(5) البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص: 292

(6) الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار عالم الكتب - بيروت. ج3، ص: 245

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فكانوا كلُّهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته، وتراكيبه » [1]

ومهما أوتي المفسر من دِقَّة في الفهم، ومعرفةٍ باللُّغة وأسرارِها « فلن يستطيع سبر أغوار القرآن جميعا ولا كشف أبعاده كشفا مُميزًا بحيث يبلغ بذلك الذُّروة؛ نظرًا لِرُقي الكتاب نظمًا وتأليفًا مِمَّا يجعل ذلك متعسِّرًا على الكثيرين من القدامى والمحدثين؛ فكيف تصحُّ الدَّعوى بفهم العرب جميعًا للقرآن ؟ » [2]

وعلى الرغم من صعوبة تخلِّي أي منهج من مناهج التفسير عن اللغة، بل استحالة استغنائها عنها إلا أنّه لا يمكن أن تتقدم على غيرها من طرق التفسير التي حددها العلماء » [3] ومن ثمّ فـــ« الحاجة إلى اللغة في التفسير تصبح ضرورية عندما لا نجد نصّا يفسِّر لنا القرآن » [4]

وفي مثل هذه الحالة يكون طريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق » [5]

وهذا يعني أن اتساع نطاق العنصر اللغوي في التفسير ليس المصدر الوحيد الذي يمكن لِمن أحكمه أن يفسِّر القرآن و « ما نشاهده اليوم من الكتب المؤلَّفة على اختلاف لغاتها، وعجز كثير من أبناء هذه اللغات عن فهم كثير مما جاء فيها بِلُغتهم؛ إذ الفهم لا يتوقّـــف على معرفة اللغة وحدها، بل لمن يفتِّش عن المعاني، ويبحث عنها من أن تكون له موهبة عقلية خاصة تتناسب مع درجة الكتاب، وقوة تأليفه » [6]

ثم إنّ فهم القرآن لو كان مُتوقِّفًا على العربية وحدها ما احتاج النّاس إلى بيان النّبي ﷺ ذلك أنّ النص القرآني نصٌّ معجز « يحوي نظرة إلى الحياة والكون والإنسان جديدة عن العرب، ومِن أجْلِ ذلك فهُم محتاجون إلى مزيد من الشّرح والبيان حتّى يَقِفوا عليها، ويَعُوها حقَّ الوعي لا سِيَما وإنَّ في القرآن المجمل والعام والمشكل، وفيه من المفردات لا يفهمها بعضُهم... » [7]

---

(1) مقدمة ابن خلدون: دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان– 2005م، ص: 406

(2) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم: محمد حسين علي الصّغير، المؤسسة الجامعية للدِّراسات، بيروت ، لبنان، ط1 : 1983م، ص: 70

(3) حدّد العلماء أحسن طرق التفسير بــ: تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسُّنّة، وبأقوال الصحابة وكُلها طُرق سابقة لِلُّغة. يُنظر مقدمة في أصول التفسير، ص: 57-59-65. والبرهان في علوم القرآن ج2، ص: 175

(4) المبادئ العامة لِتفسير القرآن: ص: 69

(5) البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 172

(6) التفسير والمفسرون: ج1، ص: 29

(7) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي: بيروت، ط 3 :1990م، ص:199

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: التفسير اللغوي في مراحله الأولى:

لا شك أنّ تأكيد القرآن الكريم لِعروبته في غير ما موضع وكذا الاحتفاء الواضح من قِبل العلماء بالدور الذي يضطلع به اللغوي في الفهم والتفسير يدفعنا إلى التّساؤل **عن مدى تجلّي أهمية اللغة في التفسير النّبوي للقرآن الكريم ؟**

لَئن اتسّع الخلاف بين الدَّارسين حول مدى استيعاب التفسير النّبوي لِآي القرآن الكريم بين أن يكون بيانا شاملا بحيث لا يبقى معه مجال للبحث والتّنقيب، أم هو بيان لا يقف إلاَّ على آيات معدودات حسب الدواعي والحاجات؛ فإنّه لم يقع خلاف فيما يتعلّق بندرة الشروح اللغوية التي رُويت عن الرسول ﷺ ذلك أنّه لم يكن يُفسِّر للصحابة من ألفاظ القرآن إلاّ ما احتاجوا إليه؛ ومن ذلك:

- تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: الوسط: العدل »[1]

- تفسيره الخيط الأبيض والأسود في قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [البقرة : 187] بأنّه بياض النّهار وسواد الليل، عندما أُشكِل معناهما على عدي بن حاتم »[2]

- حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: " لَّما نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلمٍ؟ فقال رسول الله ﷺ : " إنّه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان: ١٣] "[3]

ولا يكاد المتتبعون لِمسار التفسير اللغوي يذكرون غير هذه القِلّة من الشواهد، مما يعني أنّ التفسير المروي عن الرسولﷺ لم يكن لغويا إلا فيما نَدر ذلك أن تفسير القرآن الكريم " هو بالأساس تفسير للمقاصد يتوجّه توًّا إلى معاني الكلام دون البحث عن المبرِّر اللغوي المقنع بتلك المعاني، ولذلك يكاد الرسول ﷺ يضرب الصّفح عن معجم القرآن، ونحوه، وتركيبه، وبلاغته ليكون تفسيره تفسيرا فقهيا عمليا فيصبح السلوك اليومي في عالم الواقع من خلال الوقائع هو الشّارح

(1) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن. "البقرة " الباب:13.

(2) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، " البقرة " الباب: 28

(3) أخره البخاري في كتاب تفسير القرآن "لقمان": الباب: 1

للقرآن... »[1]

ولَنا في محدودية الشّواهد المذكورة خير دليل على أنّ اللغُّة لم تَنل حضّها من الاهتمام في هذه المرحلة، إذ لا يكاد الدارسُ يقفُ إلاّ على« شرح معجمي[2] يقوم على الترادف التّقريبي من سِماته الإختصار... والأُحدية، فهذا الشّرح قِراءة واحدة لا تحتمل الشّك، ولا يدخلها التّعدُّد »[3]

ومن البديهي أنّ الرّسول ﷺ كان يعلم عِلم اليقين أنّ القوم – آنئذٍ-كانوا عربًا خُلّصاً يُدركون معاني القرآن ويعلمون ظواهِره وأحكامه بمقتضى سليقتهم « ولكن يبقى التفسير النّبوي اللغوي في حَجمِه الضّئيل، وفي استِغنائِه عن الرّصيد اللُّغوي والشِّعري العربي يمثِّل مادةً مكتفيَّةً بذاتها تستمِدُّ حُجَّتها مِن ذاتها، وكأنَّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- بِحُضوره هو عُنصر الإقناع والتّأثير فلا حاجة إلى الدّليل من غير ذات الرّسول؛ فكان فيه داعي القناعة والاقتناع؛ فكأنّ شرح الرّسول هو الشّرح المتعالي عن اللغة وأهلها المُستمد لِشرعِيّتِهِ من السَّماء؛ فهُو شرحٌ في منزلةٍ بين المنزِلتين، بين سماءِ الله ولغة البَشر...»[4]

وإذا انتَقلَ بنا النَّظر شَطْرَ وِجهة أُخرى، وقَفنا على مرحلة جديدة شكَّل فيها العُنصر اللغوي حُضورًا يُغرِي الباحث بِترصُّد المعالم المنهجية التي عبّرَ مِن خِلالها الصَّحابة عن قُدرتِهم على التّفكير اللغوي المُنظَّم؛ وذلك بعدما « استوقف بعضَهم غموضُ بعضِ ألفاظ القرآن وانغلاقِ دلالاتهِ فَدَعت الحاجة إلى الإستِعانة باللغة لإزالة ما يبدو غامِضا مُتأبِّياً على الفهم وكثُرت الحاجة إلى معرفة المفردات ومعانيها فزادت عناية العلماء بها استجابة لِتِلك الحاجة؛ فالتَفتوا إلى آثارِهم الأدبية التّي تحمل في طَوَاياها ألفاظ العربية وتراكيبها، وطرائِقها في التَّعبير بعدما جمعوها وراحوا يستنبِطون منها ما يحتاجون إليه في فهم كِتابهم العزيز؛ وهكذا قامت حلقات العِلم التّي غُرِست في تُربتها بذور الدرس اللُّغوي »[5]

رُوي عن عمر بن الخطّاب ﷺ أنّه قال: « عليكُم بديوانِكُم؛ فإنَّ فيه تفسير كِتابِكُم، ومعاني كلامِكُم »[6]

---

[1] قضايا اللغة في كتب التفسير، ص: 41-42

[2] أشار مساعد الطيار إلى هذا المعنى تحت مصطلح "التفسير اللفظي" ينظر: التفسير اللغوي ص: 68

[3] قضايا اللغة في كتب التفسير: ص: 46

[4] المرجع نفسه، ص: 43- 44

[5] بذور الدراسة الدلالية لألفاظ القران: سعد الكردي، مجلة التراث العربي: العدد:66، السنة: 17، 1997، ص:19

[6] الموافقات، ج1، ص: 58 و الإتقان في علوم القرآن ص: 301

وفي رِوايةٍ عن ابن عباس ﷺ أنّه قال « الشِّعر ديوان العرب فإذا خُفي عليهم الحرف مِن القرآن الذي أنزله الله بِلُغتِهم رجعوا إلى ديوانِهم فالتمَسوا ذلِك » [1]

ورُوي عنه – أيضا– أنّه قال: « إذا سألتموني عن غريب القُرآن فالتمِسوه في الشِّعر فإنَّ الشِّعرَ ديوان العرب » [2]

والتُّراث الدِّيني يجعل مِن ابن عبّاس المفسِّر اللغوي الأوّل إذ مثَّل مرحلةً في التفسير يمكن أن تُسمَّى بِمرحلة التأسيس الأولى، والذي أهّلَه لِهذهِ المَهمَّة هُو معرِفته الواسعة بالعربية وغرِيبِها ...

وقد ذكر السيوطي أنّ نافع بن الأزرق [3] سأل ابن عباس عن مسائل في القرآن الكريم فأجابه عن كل مسألة بِبيتٍ من الشعر [4]

ولنا في قِصة ابن عبّاس مع نافع بن الأزرق–إن صَحّت – خير دليل على عزمِه الوطيد واعتِدادِه بِعِلمِهِ يُؤهِّلانِهِ ليكون المُفسِّر الرّسمي الأوّل [5]

وقد شكّل هذا المنحى وِجهةً سمحت لِلقوم بأن يتّخذوها مصدرًا هامًّا من مصادِر التفسير؛ وقد ذكر ابن الأنباري[6] أنّ بعض الصّحابة، وتابعيهم احتجُّوا على غريب القُرآن، ومُشكِله بِاللُّغة والشِّعر)) [7]

ومن الأمثِلة على ذلك:

– عن عكرمة أنّ ابن عباس سُئِل عن قولِه تعالى ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ [المدثر:٤] قال: « لا تَلبسها على معصية ولا على غدرة، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفيّ:

---

(1) البرهان في علوم القرآن: ج1 ، ص: 294

(2) المصدر نفسه: ج1ص: 293

(3) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم. كان أمير قومه وفقيههم. من أهل البصرة (ت: 65هـ) ينظر: الأعلام 7ص 351.

(4) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ص: 301-327

(5) ينظر قضايا اللغة في كتب التفسير: ص: 45

(6) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار، ولد في الأنبار (على الفرات) وتوفي ببغداد عام (328هـ). من كتبه: الزاهر في اللغة، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات و إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله، و عجائب علوم القرآن... ينظر: الأعلام: ج6ص334

(7) الإتقان في علوم القرآن: ص: 301

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وإنّي بِحمد الله لا ثوب فاجرٍ لبِستُ ولا مِن غَدْرةٍ أتقنّعُ » (1)

وفي هذا المعنى قال الفرّاء « لا تكُن غادِراً فتُدنِّس ثيابَك، فإنَّ الغادِر دنِسُ الثّياب » (2)

-عن سعيد بن جُبير في قوله تعالى ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦] قال: القانِع: السّائل الذي يسأل، ثُم أنشَد قول الشّاعر:

لَمَالُ المرءِ يُصلِحه فَيبقى مُعاقِرَهُ أَعَفّ مِن القُنُوعِ » (3)

وذكر ابن فارس ورود هذا المعنى في اللغة فقال: « القاف والنُّون والعين: أصلان صحيحان، أحدهما يدل على الإقبال على الشّيء ثُم تختلف معانيه مع اتِّفاق القِياس، والآخَر يدُلُّ على استدارةٍ في الشّيء... وسُمي قانِعاً لإقباله على من يسألُه قال:

لَمالُ المرءِ يُصلِحُهُ فيُغني مَفَاقِرَهُ، أعفُّ من القُنوعِ » (4)

والأمثلة الدّالة على استشهاد الصّحابة في فهمهم للقرآن الكريم بكلام العرب كثيرة، سُئل عكرمة عن الزّنيم فقال: هو ولد الزِّنا؛ وتمثّل بقول الشّاعر:

زنيمٌ ليس يُعرف مَن أبوهُ بغِيُّ الأُمِّ ذو حسَبٍ لئيمٍ » (5)

قال ابن فارس: " الزّاء والنّون والميم أصلٌ واحد يدُلُّ على تعلُّقِ شيءٍ بشيءٍ ومِن ذلك الزّنيم وهو الدّعي ، قال الشّاعر في الزّنيم:

زنيم تداعاه الرِّجال زيادةً كما زِيدَ في عَرْضِ الأديم الأكارِعُ " (6)

والأمثلة الدّالة على اعتماد السّلف على اللغة في بيان معاني القرآن كثيرة ومتعدِّدة، وإلى جانب اعتمادِهم الشّاهِد الشّعري في التّفسير؛ فإنّهم لم يغفلوا الجانب النّثري، كالتّنصيص على لغة القبيلة التي نزل القرآن بلفظِها ومن الأمثِلة على ذلك:

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط1: 2000 م ، ج 23، ص:10، وينظر الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين القرطبي ت: سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ت ط 2003 م ،ج 1، ص:25

(2) معاني القرآن: أبو زكريا الفراء، ت: أحمد يوسف نجاتي / محمد علي نجار / عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر، ج3، ص: 200

(3) جامع البيان في تأويل القرآن ج 18ص: 638،

(4) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس ، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر ، 1979م، ج5، ص: 33

(5) جامع البيان في تأويل القرآن: ج23 ، ص: 164

(6) معجم مقاييس اللغة، ج3، ص: 29

عن أبي الصّلت الثّقفي أن عمر بن الخطّاب قرأ هذه الآية: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥] بنصب الرّاء. قال: وقرأ بعض من عِنده من أصحاب رسول الله ﴿ضَيِّقًا حَرِجاً﴾ قال صفوان: فقال عمر: أبغوني رجُلا من كنانة واجعلوه راعي غنم وليكن مُدلَجِيًّا " [1] قال: فأتوا به، فقال عُمر: يا فتى ما الحرجة ؟ قال: الحرجة فينا: الشّجرة تكون بين الأشجار التي لا تصِل إليها راعية ولا وحشيَّةٌ ولا شيء، قال عُمر: كذلك قلب المنافق لا يصِل إليه شيءٌ من الخير » [2]

وعلى سِعة محفوظ الصّحابة ﷺ من كلام العرب فقد خفي على بعضهم دلالات بعض الألفاظ على نحو ما حدث لابن عبّاس في لفظ " فاطر السّماوات " فقد ورد عنه أنّه قال: « كنت لا أدري ما فاطر السموات؟ حتى أتاني أعرابيان يختصِمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها » [3].

ومن الواضح أن الفكر اللغوي في هذه المرحلة لم يكد يتجاوز المعنى المعجمي إلى قضايا الإعراب والتركيب والبلاغة « وهي مداخل إلى شرح النّص لم يحِن الوقت بعد –في عصر ابن عباس- لتوظيفها في التفسير، وكأنّ الغموض في النّص هو بالدرجة الأولى غُموض مُعجمي بِزوالِه يتّضِح المعنى » [4]

وهذا النوع من التفسير وإن لم يستوعب اللغة بمعناها الواسع؛ فقد كان كافيًّا للفهم؛ « لِأنَّ المنهج منهج التلقِّي للتنفيذ، ومن ثمَّ لم يكن أحدهم لِيستكثر منه في الجلسة الواحدة... فكان يكتفي بعشر آيات يحفظها ويعمل بها؛ فكان هذا المنهج يفتح لهم من الآفاق القرآنية مالا يفتحه لهم منهج التلقي للدراسة والبحث والثقافة » [5]

وعلى العموم فجهود ابن عبّاس اللغوية في التفسير لِمن يقف عِندها ويدرسها دراسة متأنِّيَّة يدرك مالَها من منزِلةٍ عِلمية؛ فهي من ناحية تُشكِّل مصدرًا أساسيًّا لِكُتب معاني القرآن التي أُلِّفت بعده

---

(1) مدلج: قبيلة من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة ، ينظر جامع البيان في تفسير القرآن: ج12ص: 104

(2) المصدر نفسه: ج12 ص: 104

(3) المصدر نفسه: ج11، ص 283 ، وينظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2: 1999م، ج1، ص: 43.

(4) قضايا اللغة في كتب التفسير: ص: 46

(5) المدرسة العقلية في التفسير: فهد الرومي ، ص: 15

وما كُتُب معاني القرآن التي أُلِّفت في القرن الثاني للهجرة إلاّ تطوير لِمجالس ابن عبّاس وحَلقاتِه وتُشكِّل من نَّاحِيةٍ أُخرى نواةً لِلمعاجِم العربية »[1]

المطلب الثالث: التفسير اللغوي في القرن الثاني الهجري:

في القرن الثاني الهجري ظهرت طائفة من أئمة اللغة والنحو كان لها الأثر البالغ في استقامة الحركة اللغوية واتِّضاح معالمها « ودون أدنى شك أن الحركة اللغوية إنّما قامت أوّل أمرها على حماية القرآن الكريم من اللحن، وأنّ أئمة اللغة أَلِفوا في ألسن المسلمين الجدد زيغًا عن صواب قراءته، وانحرافًا عن عربيته؛ فتناولوا القرآن بالدرس، واتخذت تلك الحركة طُرقًا مختلفة من الدِّراسات، وأثَّر ذلك في الدراسات القرآنية خاصة التفسير »[2] ومن هذه المصنفات:

– غريب القرآن: لِأبّان بن تغلب الجريري »[3] ، معاني القرآن: لِمحمد بن الحسن الرّؤاسي »[4] معاني القرآن: لِيونس بن حبيب »[5]، معاني القرآن: لِعلي بن حمزة الكسائي »[6].

---

[1] بذور الدراسة الدلالية ص: 29

[2] التفسير اللغوي: سامي الكناني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد السادس، جوان: 1999م، ص: 24

[3] أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري بالولاء، أبو سعيد: قارئ لغوي، من غلاة الشيعة.من أهل الكوفة (ت 141هـ): ينظر الأعلام ج1ص26 و معجم الأدباء ج1ص: 108 ، التفسير اللغوي ص: 123

[4] أبو جعفر الرؤاسيّ الكوفيّ النحويّ عالم بنحو الكوفة أخذ الرؤاسيّ العربية عن أبي عمرو بن العلاء (ت 170هـ)كان له كتاب في النحو اسمه «الفيصل»، ينظر الأعلام ج6ص271 وذكر مؤلفه في: إنباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين القفطي ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط1 1986م ، ج4 ص: 107 التفسير اللغوي ص: 124

[5] يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي: علامة بالادب، كان إمام نحاة البصرة في عصره. أعجمي الأصل. أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الائمة (ت182هـ) من كتبه " معاني القرآن " ، و " اللغات " و " النوادر " و " الامثال "، ينظر الأعلام ج8ص 261 ذكر كتابه في : انباه الرواة 4ص77، التفسير اللغوي، ص:124

[6] علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: أمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة(ت183هـ) له تصانيف منها: " معاني القرآن " و " المصادر " و " الحروف " و " القراآت " و " نوادر " ومختصر في " النحو " و " المتشابه في القرآن...ينظر:الأعلام ج4ص283 ، ذُكر عنوانه في الكشف والبيان: للثعلبي، ت: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط1: 2002م ، ج1 ، ص: 84 و التفسير اللغوي، ص: 124

غريب القرآن: لِمؤرج بن عمرو السدوسي »[1]. غريب القرآن: لِأبي محمد يحي بن المبارك اليزيدي »[2] غريب القرآن: للنضر بن شميل »[3] مشكل القرآن: لمحمد بن المستنير (قطرب) »[4]، معاني القرآن: لِأبي زكرياء يحي بن زياد الفرّاء » مجاز القرآن: لِأبي عبيدة معمر بن المثنّى » معاني القرآن: لِأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش »[5] غريب القرآن: لِأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي »[6] غريب القرآن، وتأويل مشكل القرآن لِأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

---

(1) مؤرخ بن عمرو بن الحارث، من بني سدوس بن شيبان أبو فيد: عالم بالعربية والأنساب من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد. من أهل البصرة (ت 195هـ) من كتبه "جماهير القبائل" ينظر: الأعلام ج7ص318 ذُكر مؤلَّفُه في الكشف والبيان، ص: 84 والتفسير اللغوي ص: 124.

(2) يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد، اليزيدي: عالم بالعربية والأدب. من أهل البصرة. (ت 202هـ) من كتبه " النوادر " في اللغة، ألفه لجعفر بن يحيى، و " المقصور والممدود " و " مناقب بني العباس " و " مختصر في النحو " ألفه لبعض ولد المأمون. وله نظم جيد، في " ديوان ". ينظر: الأعلام ج8ص163، ذُكر عنوان الكتاب في: انباه الرواةج 4 ، ص : 31 – 39، والتفسير اللغوي ص: 124

(3) النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو (من بلاد خراسان) وانتقل إلى البصرة مع أبيه (سنة 128) وأصله منها وتوفي بمرو. (ت 203هـ) من كتبه " الصفات " ، في صفات الانسان والبيوت والجبال والابل والغنم والطير والكواكب والزروع، و " كتاب السلاح " و " المعاني " و " غريب الحديث " و " الأنواء " ينظر: الأعلام ج 8، ص: 33 وذكر هذا العنوان في التفسير اللغوي ص:125

(4) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو على، الشهير بقطرب: نحوى، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. من الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. وهو اول من وضع (المثلث) في اللغة. (ت 206هـ) من كتبه (معاني القرآن) و (النوادر) ، و (الأزمنة) و (الاضداد) و (خلق الانسان) و (ما خالف فيه الانسان البهيمية الوحوش وصفاتها) و (غريب الحديث). ينظر: الأعلام ج7ص95 وينظر: التفسير اللغوي ص: 125

(5) سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء،البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالاخفش الاوسط وأخذ العربية عن سيبوية. (ت 231هـ) وصنف كتبا، منها " تفسير معاني القرآن" و "شرح أبيات المعاني" و "الاشتقاق" و "معاني الشعر" و "كتاب الملوك" ينظر:الاعلام ج3ص 101- 102 والتفسير اللغوي ص: 126

(6) تأليف أبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي " وليس أبو عبيد بجمحي ولا عربي، وإنما الجمحي محمد بن سلام، صاحب " طبقات طبقات الشعراء " وأبو عبيد في طبقة من أخذ عنه، أي معاصر لتلاميذه ينظر:الاعلام ج5ص:176، والفهرست: ابن النديم، دار المعرفة- بيروت- 1978م ، ص: 52

معاني القرآن: لِأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد » [1] . معاني القرآن: لِأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب » [2]

المطلب الرابع: خصائص التفسير اللغوي في هذه المؤلّفات:

إنّ أبرز ما يقف عليه القارئ لهذه المصنّفات هو الحضور المكثّف لِكلام العرب – شعرًا ونثرًا- مع تعدد مواطن الاستشهاد به سواءً لبيان أصول الكلمات واشتقاقاتها أو لشرح قاعدة نحوية أو بيان أسلوب من أساليب القرآن. وأصحاب هذه المصنفات قد غلب التفسير اللغوي على مشاركتهم في التفسير، ولعلّ سبب ذلك أنّ أصل بحث اللغويين كان في اللغة لِذلك ارتبط التفسير – عندهم- باللغة أكثر من أيّ شيءٍ آخر.

1-**بيان أصول الكلمات واشتقاقاتها**: ومن ذلك ما ذهب إليه أبو عبيدة معمر بن المثنّى في مواضع كثيرة من تفسيره قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٦٨] قال الفرّاء: والعوان ليست بنعت للبكر؛ لِأنّها ليست بهرِمة ولا شابّة، انقطع الكلام ثم استأنف؛ فقال: ﴿ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ والعوان يقال منه: قد عوّنت، والفارض قد فرَضت، وبعضهم قد فرُضت، وأمّا البكر فلم نسمع فيها بفعلٍ، والبكر- بكسر أوّلها- إذا كانت بِكرًا من النّساء، والبَكر- مفتوحٌ أوّله- من بِكارة الإبل » [3]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤] بين أبو عبيدة معنى هذه الآية فقال﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي: خالق السّماوات ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣] أي: من صُدوع، ويُقال: انفطرت زجاجتك أي: انصدعت، ويقال: فطر ناب الجمل أي: انشق فخرج » [4]

---

[1] وكان إماما في النحو واللغة،(ت:285هـ) وله التواليف النافعة في الأدب: منها كتاب الكامل وكتاب الروضة و المقتضب وغير ذلك.ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان،ت: : إحسان عباس الناشر : دار صادر – بيروت ج4ص 314 وذكر هذا الكتاب ابن النديم ، ينظر: الفهرست: ص: 52

[2] العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي، صاحب " الفصيح والتصانيف ". ولد سنة مئتين، وكان يقول: ابتدأت بالنظر وأنا ابن ثماني عشرة سنة. (ت 291هـ) ينظر:سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، ت:شعيب الأرنؤوط ،مؤسسةالرسالةج14ص5، ينظر: الفهرست: ص52

[3] معاني القرآن: ج1، ص: 44-45

[4] مجاز القرآن: ج1، ص: 187

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧ ﴾ [طه: ٩٧] قال أبو عبيدة: مجازه: لنقذفنّه ولَنذرينّه وكلّ شيء وضعته في منسفٍ ثمّ طيّرت عنهُ غُباره بيديك أو قشوره فقد نسفتهُ أيضًا، وما زلنا ننسف منذ اليوم أي: نمشي، وفي آية أخرى ﴿ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴾ [طه: ١٠٥] »[1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ٥٩ ﴾ [الذاريات: ٥٩] بيّن ابن قتيبة أصل كلمة" ذَنُوبٗا" فقال: أيْ: حظًّا ونصيبًا، وأصل الذَّنوب: الدّلو وكانوا يستقون الماء فيكون لِهذا ذنوبٌ، ولهذا ذَنوبٌ؛ فاستُعير في موضع النّصيب، وقال الشاعر:

إنّا إذا نازَعَنا شَرِيبٌ لَنا ذَنوبٌ ولهُ ذَنوبٌ »[2]

وقال الفرّاء: والذَّنوبُ في كلام العرب: الدّلو العظيمة، ولكنّ العرب تذهب بها إلى النّصيب والحظ...وقال الشاعر:

لنا ذَنوبٌ ولكم ذَنوب فإن أبَيتُم فَلنا القَليبُ »[3]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥ ﴾ [المسد: ٤ – ٥] قال ابن قتيبة: « وأمّا المسد فهو عند كثير من الناس: الليف دون غيره، وليس كذلك؛ إنّما المسد: كُل ما ضُفِر وفُتِل من الليف وغيره؛ يقال: مَسدْتُ الحبل مسدًا إذا فَتلتَهُ؛ فهو مسدٌ، كما تقول: نفضت الشجرة نفضًا وخبطتها خبطًا، واسم ما يسقط من ثمرها وورقها: نَفَضٌ و خَبَطٌ، ومنه قيل: رَجُلٌ ممسودُ الخَلق إذا كان مجدولاً مفتولاً »[4]

2- قضايا النحو في في هذه المؤلّفات:

وإلى جانب الاهتمام بالجانب المعجمي، فقد كان لتراكيب القرآن وأساليبه حظٌّ وافر من الاهتمام –أيضًا–وهي أمور أصبحت تمثل شُغلاً شاغلاً في فهم القرآن وبيان معانيه ومن ذلك: قول الفرّاء مبيّنًا معنى ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ﴾ [البقرة: ١٧٥] قال: « فيه وجهان: أحدهما: معناه: فما الذي أصبرهم على النّار؟ والوجه الآخر: فما أجرأهم على النّار! قال الكسائي: سألني قاضي اليمن

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص: 28

[2] تأويل مشكل القرآن، ص: 150

[3] القليب: هو البئر، ينظر: معاني القرآن، ج3، ص: 90

[4] تأويل مشكل القرآن، ص: 161

وهو بمكّة، فقال: اختصم إليّ رجُلان من العرب فحلف أحدهما على حقِّ صاحبه، فقال له: ما أصبرَك على الله! وفي هذه الحالة أن يُراد بها: ما أصبرك على عذاب الله، ثم تُلقي العذاب؛ فيكون كلامًا كما تقول: ما أشبه سخاءك بحاتم » [1]

ومن دلائل الاهتمام بقضايا النحو والإعراب توجيه أبي عبيدة لقوله تعالى: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١ ﴾ [المائدة: ٧١] قال: « مجازه على وجهين: أحدهما: أنّ بعض العرب يظهرون كناية الاسم في آخر الفعل مع إظهار الاسم الذي بعد الفعل كقول أبي عمرو الهذلي " أكلوني البراغيث " والموضع الآخر أنّه مستأنف؛ لِأنّه يتم الكلام إذا قلت: "عَمُوا وصَمُّوا " ثم سكت؛ فتستأنف فتقـــــول: كثير منهم ...» [2]

وما يدخل في هذا الباب –أيضًا– تعليل الفرّاء لمجيء الفعل ﴿ تَقۡتُلُونَ ﴾ للمستقبل والآية في سياق الحديث عن قتل الأنبياء في الماضي، في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩١ ﴾ [البقرة: ٩١] يقول: « يقول القائل: إنّما ﴿ تَقۡتُلُونَ ﴾ للمستقبل؛ فكيف قال: من قبلُ؟ ونحن لا نُجيز في الكلام: " أنا أضربك أمس"، وذلك جائز إذا أردتَ بـــ" تفعلون" الماضي، ألا ترى أنّك تُعنّفُ الرجل بما سلف من فعله؛ فتقول: ويحك لِم تكذب؟ لِم تُبغِّض نفسَك إلى النّاس؟ ومثله قول الله: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ ﴾ [البقرة: 102] ولم يقل: ما تلت الشياطين، وذلك عربي كثير في الكلام ...ومثله في الكلام إذا نظرتَ في سِيَرِ **عمر** – رحمه الله– لم يُسِئ، والمعنى: لم تجده أساء، فلمّا كان أمر عمر لا يُشَكُّ في مُضيّه لم يقع في الوهم أنّه مستقبل؛ فلذلك صلُحت " من قبل" مع قوله: ﴿ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ ﴾ وليس الّذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، إنما قتل الأنبياءَ أسلافُهم الذين مضوا فتولوهم على ذلك ورضوا به فنُسب القتل إليهم » [3]

---

[1] معاني القرآن، ج1، ص: 103

[2] مجاز القرآن، ج1، ص: 174

[3] معاني القرآن: ج1، ص: 60- 61

والنشاط اللغوي في هذه المرحلة كما شهد اهتمامًا بالتركيب في النص القرآني فقد شهد أيضًا توجيهات هي من صميم الدرس البلاغي مثل الحديث عن مباحث كالمجاز[1] والاستعارة [2] والكناية [3] وغيرها من مباحث الدرس البلاغي... وهو ما يشهد بثراء التخريجات البلاغية في هذه المرحلة، إذ لم يبق للجيل اللاحق إلاّ استثمار غِلّة هذا الجهد وبخاصة ما أبداه الفرّاء « فكل هذه الصور التي أبداها الفرّاء هي بعينها التي نراها في مصنفات البلاغة من بعده، و لم يزيدوا عليها شيئًا سوى التسمية وبعض الضوابط والتعريفات، أمّا جوهر الفكرة فواحدٌ عند الجميع » [4]

والفرق بين المرحلتين هو فرق بين جيلين وظف الجيل الأول اللغة بقدر ما يكفل له فهم المعنى ووظّفها الثاني بقدر ما يكفل له معنى الفهم؛ بمعنى أنّ الغموض في المرحلة الأولى معجميٌّ لا يكاد يتعدّى معنى الكلمة المفردة وبزواله يتضح المعنى، وأمّا في المرحلة الثانية فقد اصطبغ التفسير بما ظهر من علوم اللغة وتراكيبها وأصبح الفهمُ محكومًا – في أغلب الأحيان- بعقائد واتجاهاتٍ وَجدت في سِعة العربية ما يخدم آراءها ووجهات نظرها.

---

(1) ينظر: المصدر السابق: ج1، ص:15، ج2، ص: 15-16 ، ج2،ص: 129 ، ج2، ص: 280...وينظر: مجاز القرآن: ج1، ص: 36، ج1، ص: 170...

(2) ينظر: معاني القرآن: ج1، ص: 190، ج1،ص: 229، ج1، ص: 353...وينظر: مجاز القرآن: ج1،ص: 26، ج1،ص: 98....

(3) ينظر: معاني القرآن: ج1، ص: 153، وينظر: مجاز القرآن: ج1، ص: 128، ج1،ص: 155...

(4) البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري: رابح دوب، دار الفجر للنشر والتوزيع – القاهرة- ط2: 1999م، ص: 99

المبحث الثاني: الاتجاه اللغوي في تفسير النيسابوري.

المطلب الأول: القرآن وأساليب الخطاب العربي:

لقد كان للشواهد في تفسير النيسابوري حضورٌ ينبئ عن باع طويل ومعرفة واسعة بكلام العرب وطرائقها في التعبير؛ إذ لا يكاد الرّجل أن يجاوز الآية أو الآيات إلى ما بعدها إلاّ ويأتي بشاهدٍ من شواهد العربية مُبَيِّنًا لقضية معجمية أو تركيبية أو دِلالية، دون أن يجعل من كلام العرب أصلاً تخضع له القاعدة القرآنية وتُقاسُ به قراءاته، وقد بيّن ذلك في مقدمة تفسيره قائلاً « وأثبتُّ القراءات المعتبرات والوقوف المعللات...ومع حلِّ ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الأبيات المعقدات؛ فإنّ ذلك يوردها من ظنّ أنّ تصحيح القراءات وغرائب القرآن إنّما يكون بالأمثال والمستشهدات، كَلاَّ؛ فإنّ القرآن حُجةٌ على غيره وليس غيرُه حُجّةً عليه » [1]

كما تجلّى ذلك في مواضع عِدّة من تفسيره منها قوله في معرض بيان معنى ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ويجوز أن يقال: أصلها التّهلِكة بالكسر، كالتجرِبة والتّبصِرة على أنّها مصدر من هلّك مشدد العين...وليس الغرض من هذا التكلّف على ما ظُنّ تصحيح لفظ القرآن كيلا تنخرم فصاحته؛ فإنّه أجلُّ من أن يحتاج في تصحيحه إلى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر، وكيف لا وهو حجة على غيره وليس لِغيره أن يكون حجة عليه؛ وإنّما الغرض الضّبط والتسهيل ما أمكن فتنبّه » [2]

وقال في موضع آخر –في سياق ردِّه على الزمخشري لِتخطِئته بعض القراءات– « فإذا ورد في القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بِصحته، وفصاحته، وأن لا يلتفت إلى أنه هل ورد له نظير في أشعار العرب وتراكيبهم أم لا، وإن ورد فكثير أم لا؟ » [3] ولا يمكن أن يقول هذا الكلامَ إلاّ رجُلٌ عرف قيمة النّص القرآني وطرائق فهم أسراره ومعانيه، فَلِماذا يعيب عليه محمد رجب البَيُّومي ذلك قائلاً: «ولا أدري كيف غاب ذلك عمّن خاصموا طريقة عُمر من المُفسّرين، وأرادوا أنّ الرجوع إلى الشِّعر في تفسير القرآن يجعل الشِّعر أصلاً لِكلام الله، ومن هؤلاء: الإمام النيسابوري،حيث صَرّح في مقدمته بأنّه لا يجوز أن يحتجّ بالشِّعر على القرآن، أو هو مذمومٌ في

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان : مج1، ص: 6

(2) المصدر نفسه: مج1،ص: 532-533

(3) المصدر نفسه : مج3، ص: 173 ، وينظر: مج2،ص: 289، مج2،ص: 300 ، مج4، ص: 556، مج5،ص: 555

القرآن والحديث معًا، ولعمري كيف فات الإمام النيسابوري ومن شايعه على حصافة عقولهم أنّ الاستشهاد بشعر العرب في تفسير الألفاظ القرآنية لا يجعل الشِّعر أصلاً للقرآن ؟...» [1]

ولا يخفى على قارئ التفسير وضوح معنى كلام النيسابوري، فكيف فاتَ محمد رجب البيُّومي ومن شايعه على حصافة عقولهم-أيضًا- أنّ النيسابوري أورد هذا الكلام- النّفيس- مرّات عديدة في معرض رَدِّه على تَعَامُلِ من تَعَامَلَ مع القراءات القرآنية وبعض القواعد النّحوية على أنّها تابعة لكلام البشر؟ وكيف غاب عن أنظارهم هذا الكم الهائل من الشواهد والأمثلة —من كلام العرب- الواردة في تفسيره حسب الدواعي والمناسبات ؟

والواقف عند تلك الأقوال لا يخفى عليه حرصٌ واضحٌ – من قِبل النيسابوري- على تمييز القرآن من غيره من صنوف الكلام البشري ولا سيما الشّعر الذي أصبح يُمثِّل منافسًا تجلت خطورته في جعله أصلاً تُعرض عليه قراءات القرآن وتخضع له قواعده و « المشكلة أنّ الكثيرين يتعاملون مع كتاب الله تعالى على أنّ دلالاته تابعة لقواميس اللغة التي وضعها البشر، وأنّ قواعد صيّاغته تابعة لِقواعد النّحو التي وضعها البشر، وأنّ رسم كلماته تابعة لمصطلح الرسم الذي وضعه البشر، مع أنّ الحق هو نقيض ذلك؛ فالقرآن الكريم معيار لُغتنا رسمًا ونحوًا ومعنًى » [2]. وبذلك اقتضى الحال أن يُقبل كل ما جاء في القرآن من الأساليب والاستعمالات، لِأنّه « أعرب وأقوى فى الحجة من الشعر» [3]

ثم إنّ الشواهد التي ساقها المفسر – على اختلاف أنواعها – تكشف عن أهمية الشِّعر وحظوته في نفوس أهله ومكانته في دِراساتهم؛ فرجع كغيره من أهل التفسير إلى استبيان معاني القرآن، وشرح غريبه، وما يبدو غامِضا من قضايا النّحو والبلاغة، واستيضاح أساليبه بِما ورد في لغة العرب – شِعراً ونثراً- ومن ذلك بيانه لِمعنى ﴿ وَسَطًا ﴾ في قوله عز وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ذكر المفسر قول الجوهري « يقال: جلست وسْط القوم بالتّسكين لأنّه ظرف، وجلست وسَط الدار بالتحريك لِأنه اسم؛ وكلُّ موضِعٍ صلح فيه بين فهو وسْط، وإن لم يصلح فيه بين فهو وسَط بالتحريك. قال: والوسط من كل شيءٍ أعدلُه، وشيءٌ وسَطٌ أي بين الجيّد والرديء، وأمة وسطًا أي عدولاً. قال زهير:

---

(1) خطوات التفسير البياني: ص: 15

(2) المعجزة الكبرى: عدنان الرفاعي، دار الخير – دمشق- ط1: 2006م، ص: 46

(3) معاني القرآن: ج1،ص: 14

هُمو وسطٌ يرضى الأنام بِحُكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وذلك أنّ العدل متوسِّطٌ في الأخلاق بين طرفي الإفراط والتفريط. ولِهذا ذكره الله تعالى في معرض المدح والإمتنان. وقيل: الوسط: الخيار. لِأنّه يُستعمل في الجمادات، قال في الكشاف [1]: اكتريت بِمكة جمل أعرابي فقال أعطني من سِطاهنّ – أراد من خيار الدنانير- ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] » [2]

وبيّن معنى قوله عزّ وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٢ ﴾ [الأعراف:92] قال: « شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار كقوله:

كأن لَمْ يَكُنْ بَينَ الحَجُونِ[3] إلى الصَّفَا أنيسٌ و لم يَسمر بمكة سامرٌ » [4]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ ١٢٦ ﴾ [الأعراف: ١٢٦] قال: هي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها إلاّ الله تعالى، وهذا من باب تأكيد المدح بما يُشبه الذّم كقوله:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهِنّ فُلول من قراع الكتائب » [5]

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠ ﴾ [الأعراف:١٣٠] أي بسنين القحط: فالسّنة من الأسماء الغالبة غلبت على القحط كالدابة و النّجم، وقد يراد بها في غير هذا الموضع الحول والعام. قال: أبوزيد والفرّاء: بعض العرب يقول: هذه سنين ورأيت سنينا فيعرب النون، ومنه قول الشّاعر:

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: جار الله الزمخشرى، دار الكتاب العربي ـــ بيروت: 1407 هـــ، ج1،ص: 199

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1، ص: 421

(3) الحَجُون: جَبَلٌ بمَعْلاةِ مكَّة ، فيه اعْوِجاجٌ ، عنْدَه مَقْبَرَةٌ.ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي ، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج34، ص: 401

(4) المصدر نفسه: م3،ص: 288، وينظر: تفسير البحر المحيط :أبو حيان الأندلسي: : صدقي محمد جميل دار الفكر ـــ بيروت: 1420 هـــ، ج5،ص: 116

(5) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3، ص: 302

دعاني مِن نجد[1] فإنّ سِنِينَهُ لَعِبنَ بنا شيبًا وشيّبننا مُرْدًا » [2]

وذكر محمد الطاهر بن عاشور أنَّ المراد بـــ" السنين " في الآية القحط والجدب يقول: « وليس قوله تعالى: " بِالسِّنِينَ " دليل على أنها طالت أعواما لأن السنين هنا جمع سنة بمعنى الجدب لا بمعنى الزمن المقدر من الدهر، فالسنة في كلام العرب إذا عرفت باللام يراد بها سنة الجدب، والقحط، وهي حينئذ علم جنس بالغلبة، ومن ثم اشتقوا منها: أَسْنَتَ القومُ، إذا أصابهم الجدب والقحط، فالسنين في الآية مراد بها القحوط وجمعها باعتبار كثرة مواقعها أي: أصابهم القحط في جميع الأرضين والبلدان، فالمعنى: ولقد أخذناهم بالقحوط العامة في كل أرض » [3]

واعتماد النيسابوري على الشعر ليس من أجل بيان ما غمض من المعاني فحسب، بل يورد من كلام العرب ما يكون من أجل بيان الفروق الواردة بين الكلمة الواحدة مع الاستئناس بأقوال أئمة اللغة والنحو ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٩] يبين معنى ﴿الخلف﴾ في الآية وفي كلام العرب فيقول: « قال الجوهري: الخلْف: القرن بعد القرن، يقال: هؤلاء خَلْف سوء لِناسٍ لاحِقِين بِناسٍ أكثر منهم، قال الأخفش: وقد يُحرَّك؛ ومنهم من يقول: خلْف سوءٍ من أبيه بالتّسكين، وخلَف صِدقٍ مِن أبيه بالتّحريك، قال لبيد:

ذهب الذين يُعاش في أكنافِهم وبقيتُ في خلْفٍ كجِلد الأجرب » [4]

وذكر اللغويون معاني أخرى لــ "خلف" فقالوا: « ويقال لمن ذهب له مال أو ولد أو شيء يستعاض: أخلف الله عليك، أي: رد عليك مثل ما ذهب... ويقال: أَخْلَفَهُ ما وعده، وهو أن يقول شيئا ولا يفعله في المستقبل، وأَخْلَفَ فلان لنفسه: إذا كان قد ذهب له شيء فجعل مكانه آخر وأخلف النبات أخرج الخلفة، واسْتَخْلَفَهُ جعله خليفته، وجلس خَلْفَهُ أي بعده، والخِلاَفُ المخالفة وقوله تعالى﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٨١] أي مخالفة رسول الله ﷺ.

---

[1] يقال: رَجُلٌ مُنجَّدٌ: أي مجرَّبٌ. ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، ت: : فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1998م ، ج1، ص: 424

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: م3، ص: 306

[3] التحرير والتنوير: : محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط1: 2000م، ج8ص248

[4] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3، ص: 339

وقيل: خلف رسول الله، وشجر الخلاف معروف وموضعه المَخْلَفَةُ بوزن المتربة، و خَلَّفَهُ وراءه فَتخَلَّفَ عنه أي تأخر » [1]

وإلى جانب اعتماد الرّجُل على الشاهد الشعري في التفسير؛ فإنّ الجانب النثري – أيضًا– قد بلغ حدًّا بعيدًا؛ فكان غالبًا ما يذكر الآية ويورد نظائرها في كلام العرب فيقول: قالت العرب، كما يقول الواحد لغيره، ونظيره في كلام العرب ...ومن ذلك بيانه لقوله عزّ وجل:﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩] يورد المفسر أقوالاً للعلماء ثم بيّن أن المراد منه « المبالغة في توبيخ الكفرة؛ فإن ذلك هو المقصود من السُّؤال كما يقول الواحد لغيره: ما تقول في فُلان ؟ فيقول: أنت أعلم به مِنِّي، فكأنَّك قلت: لا يحتاج فيه إلى شهادة لِظهوره، وفيه مع التوبيخ إظهارٌ لِتشكِّي الأنبياء ممن كذَّبوهم وعادوهم » [2]

والمتتبع لِشواهد التفسير يدرك مدى إفادة الرجل من سابقيه لا سيما أئمة اللغة والنحو من أمثال: سيبويه وأبي عبيدة والفرّاء والزجّاج... وغيرهم؛ إذ لا يكاد يخلو كلامه من الإشارة إلى أقوالهم وآرائهم خاصّة إذا تعلّق الأمر بمسائل اللغة ودقائقها وقضاياها، وهو ما جعل تفسيرَه كثيرَ الآراء فسيحَ الأرجاء لا يَملّ المرءُ من تقليب صفحاته، ومن ذلك ما أورده في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٣] قال: « قال الزجاج [3]: تأويل هذه الآية حسن في اللغة لا يعرفُه إلاَّ من وقف على معاني كلام العرب؛ وذلك أنّه تعالى بيّن كون المشركين مفتونين بشِركِهم متهالِكين في حُبِّه، فذكر أنَّ عاقِبة كُفرهم الذي لَزِموه أعمارهم، وقاتلوا عليه وافتخروا بِهِ، وقالوا إنَّه دين آبائنا لم تكن إلا الجحود والتبرُّؤ منه والحِلف على عدم التدين به، ومثاله أن ترى إنساناً يُحبُّ شخصًا مذموم الطريقة فإذا وقع في مِحنةٍ بِسببه تبرّأ منه فيقال له: ما كانت محبّتك أي عاقِبة محبّتك لِفلان إلاّ أن تبرّأت مِنه وتركته » [4]

---

[1] مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، ت: محمود خاطر، مكتبة ناشرون – بيروت- 1995م، ص:196

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3، ص: 35

[3] إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد.كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. من كتبه: "معاني القرآن" و "الاشتقاق" و "خلق الإنسان" و "الأمالي في الأدب واللغة" و "إعراب القرآن" (ت: 311 هـ) ينظر: الأعلام: ج1، ص: 40

[4] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج 3، ص: 61

قال تعالى:﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [التوبة: ٤٣]وقوله: ﴿ عفا الله عنك ﴾ إنّما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير؛ فيقدمون ذلك بين يدي الكلام؛ يقولون: عفا الله عنك ما صنعتَ في أمري، رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي، وعافاك الله ألا عرفتَ حقّي » [1]

والشواهد التي أوردها النيسابوري لم تكن من أجل الكشف عن أصول الكلمات وبيان معانيها فحسب، بل قد ترد- أيضًا- لبيان بعض أساليب العربية، وما فيها من قضايا النحو والبلاغة، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا** ﴿٢٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦] فيقول: « الفاء ههنا تفيد الترتيب في الذِّكر؛ لِأنّه يذكر في هذا المقام الأخس فالأخس كقوله:

يا دار ميّة بالعلياء فالسّنَد » [2]

ومنه أيضًا حديثه عن الحذف في قوله تعالى:﴿ **وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ** ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة: ٤٨] ، يقول: « الجُمل منصوبات المحل صفات متعاقبة لليوم، والراجع منها إلى الموصوف محذُوف تقديره: لا تجزي فيه، ومنهم من يقول: اتّسع فيه فأجرى مجرى المفعول به فحذف الجار وهو "في" فبقي لا تجزيه، ثُم حذف الضّمير كما حُذف في قوله: "أم مالٌ أصابوا " قال:

فما أدري أغيرهم تناءَ   وطول العهد أم مالٌ أصابوا ؟

أي: أصابوه » [3]

قال تعالى:﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾[الإسراء: ٢٤] وفي إضافة الجناح إلى الذُّل وجهان: الأول: أنّها كإضافة حاتم إلى الجود في قولك: حاتم الجود، فالأصل فيه الجناح الذّليل أو الذّلول. والثّاني: سلوك سبيل الإستعارة، كأنّه تخيّل للذّلّ جناحًا ثُمّ أثبت لذلك الجناح خفضا، كقول لبيد :

إذ أصبحت بيد الشِّمال زِمَامُها

فأثبت لِلشَّمائل يدًا ثُم وضع زمام الريح في يد الشمال » [4]

---

[1] المصدر السابق: مج3، ص: 475

[2] المصدر نفسه: مج1، ص: 205

[3] المصدر نفسه: مج 1، ص: 279

[4] المصدر نفسه: مج4، ص: 341

وقال في تقريره وجهان: « **أحدهما:** أن الطائر إذا ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، فخفض الجناح كناية عن حسن التدبير، وكأنه قيل للولد: "اكفل والديك" بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك. **الثاني: أن** الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه، وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع، خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه » (1)

وإلى جانب الاهتمام الواضح بالشعر فقد أورد النيسابوري جملة من الأمثال العربية ليبين – كما جرت به العادة – طرائق القرآن وأساليبه في التعبير ولا شكّ أنّ « لِضرب الأمثال شأن ليس بالخفي في رفع الأستار عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين، والغائب كأنّه شاهد ولِأمر ما أكثر منه **الله** في كتابه وفشت في كلام رسول **الله** وأمثال العرب أكثر من أن تُحصى، حتى صُنّف فيها كتب مشهورة » (2)

وقد ساق النيسابوري بعض الأمثال لِإيضاح معاني المفردات ومن ذلك: بيان معنى ﴿الدرجة﴾ في قوله تعالى:﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. قال: وهي واحدة الدرجات: الطبقات في المراتب، أصلها من درج الرّجُل والضب يدرج دُروجًا أي: مشى، ودرج أي مضى لِسبيله، ودرج القوم: إذا انقرضوا؛ وفي المثل: "أكذب من دبَّ ودرج" أي أكذب الأحياء والأموات » (3)

وقال في معنى تبخسوا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٥] يقال: بخسته حقه: إذا نقصته إياه، ومنه قيل للمكس البخس، وفي المثل: "تحسبها حمقاء وهي باخِس" » (4)

وعند بيانه لقوله تعالى:﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: ١٩] قال: فرّقناهم كُلّ تفريق " أي قوم سبأ " فلا جرم اتخذ الناس حالهم مثلا قائلين: "ذهبوا أيدي سبأ " أي: في طُرقٍ شتى، واليد في كلام العرب:

---

(1) المصدر السابق: مج4، ص: 341، والبحر المحيط : ج7،ص: 38

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان : مج1، ص: 172

(3) المصدر نفسه: مج1، ص: 628 ينظر: مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، ت : محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت- ج2، ص: 167

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3، ص: 284 ، وينظر: مجمع الأمثال: ج1، ص: 123

الطريق؛ يقال: سلك بِهم يد البحر، وقيل: الأيادي: الأولاد لِأنه يعضد بهم كما بالأيدي، والمعنى: ذهبوا تفرق أولاد سبأ، فلحق غسان بالشام، وأغار بِيثرب، وجذام بتهامة، والأزد بِعُمان » [1]

ومما سبق يُلاحظ استيعاب النيسابوري للشواهد والأشعار ما ساعده في الاحتجاج بها في اللغة و النحو وكذا توضيح معاني كلمات القرآن، ولكن ما يلاحظ في تفسيره أنّه كثيرًا ما يتغافل عن نسبة الشعر إلى قائله، وكان ينسب بعض الأبيات إلى قائليها فيقول: قال امرؤ القيس، قال لبيد...

وغالبًا ما يأتي البيت الشعري كاملا ولكنه يكتفي بذكر شطر البيت أحيانًا، هذا إلى جانب استشهاده بالبيت الواحد في مواضع متعددة حسب الدواعي والمناسبات.

المطلب الثاني: التعدد الدلالي للكلمة القرآنية:

إنّ اهتمام النيسابوري ببيان أصول الكلمات واشتقاقها ما هو إلا جزء من عنايته بأسلوب القرآن عمومًا؛ ولا شك أنّ معرفة أصل الكلمة ووجوه تصريفها علمٌ جليلٌ يكشف عن خصوبة العربية وسعة معانيها ومذاهبها في التعبير؛ ثم إنّ تجلّي هذه الظاهرة في القرآن الكريم ينبئ عن وجهٍ من وجوه الانفتاح الدلالي والقدرة الفائقة على استيعاب المعاني المتعددة باللفظ الواحد، ما لا يمكن أن يتحقق لِسائر صنوف الكلام، ولو تتبع الباحث هذه الظاهرة في تفسير النيسابوري لأفرد بحثًا مستقِلاً يكشف من خلاله عن محاولات الرجل في الكشف عن نواحي التميز والتفرّد التي طبعت النص القرآني وبلغت به حد الإعجاز.

ومن دلائل ذلك بيانه لمعنى ﴿السُّورَة﴾ بقوله: « قيل: اشتقاقها من سورة البناء والمدينة؛ لِأنّ السّور يوضع بعضه فوق بعضٍ حتى ينتهي إلى الارتفاع الذي يُراد؛ فالقرآن أيضا وضع آية إلى جنب آية حتى بلغت السورة في عدد الآي المبلغ الذي أراده الله تعالى. وقيل: سميت سورة لِأنّها وُصفت بالعلو والرِّفعة؛ كما أنَّ سور المدينة سُمي: سورًا لِارتفاعهِ، قال النابغة:

ألم ترَ أنّ الله أعطاك سورة   ترى كلَّ مَلكٍ دونها يتذبذب

أي: شرفا ورِفعةً، وقيل: سميت سورة لِإحاطتها بما فيها من الآيات، كما أنّ سور المدينة محيط بمساكنها وأبنيتها...» [2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] يوضّح معنى ﴿اليسر﴾ في اللغة وفي القرآن فيقول: « معناه في اللغة: السهولة، ومنه اليسار للغني لِأنّه يتسهّل به الأمور

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج5، ص: 491، وينظر: مجمع الأمثال: ج1،ص: 275

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1، ص: 30

وتتسنّى المقاصد، واليد اليسرى: لِبقائها على اليُسر، أو لِأنّ الأمور تسهل بمعاونتها اليمنى، والعسر نقيضه » (1)

وجاء في "مختار الصحاح" « اليُسْرُ بسكون السين وضمها ضد العسر، و المَيْسُور ضد المعسور وقد يَسَّرَهُ الله لليُسْرَى: أي وفقه لها وقعد يَسْرَةً أي شأمة، و تَيَسَّر له كذا و اسْتَيْسَرَ له أي: تهيأ، و الأَيْسَرُ ضد الأيمن، والمَيْسَرَة ضد الميمنة، والمَيْسَرُة بفتح السين وضمها السعة والغنى وقرأ بعضهم: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]...و المَيْسَرُ: قمار العرب بالأزلام، و اليَاسِرُ نقيض اليامن، تقول يَاسِر بأصحابك أي: خذ بهم يسارًا ... ويقال رجلٌ أعْسَرٌ يَسَرٌ؛ للذي يعمل بيديه جميعا، و اليَسَارُ خلاف اليمين ...و اليَسَارَة: الغنى، وقد أَيْسَرَ الرجل يُوسِر. أي: استغنى. صارت الياء في مضارعه واوا لسكونها وضمة ما قبلها، و اليَسِيرُ القليل، وشيء يسير أي: هين » (2)

وقلّما نجد من المفسرين من يملك هذه الحاسة التحليلية النابعة من الوعي العميق لخصوصيات التركيب القرآني المعجز. يقول في معرض بيانه لمعنى ﴿التَّوَفّي﴾ في قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران: 55]. أي: مُتمّم عمرك، وعاصمُك من أن يقتلك الكفار الآن؛ بل أرفعك إلى سمائي وأصونك من أن يتمكّنوا من قتلك... **وقيل**: التوفي: أخذ الشيء وافيًا، أي: آخذك بروحك وبجسدك جميعا، فرافِعك إليّ دفعًا لِتوهم من يتوهم أنّه أُخذ بروحه دون جسده. **وقيل**: متوفيك: قابضك من الأرض، من توفيت مالي على فلان أي: استوفيته، **وقيل**: أجعلك كالمتوفَّى لِأنه إذا رفع إلى السماء انقطع خبره وأثره على الأرض؛ فيكون من باب إطلاق الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصّه وصفاته...» (3)

ومن ذلك أيضًا معنى ﴿بيّت﴾ في قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴿٨١﴾ ﴾ [النساء: ٨١] يقول: « قال الزّجّاج: كل أمر تفكّروا فيه كثيرًا وتأمّلوا في مصالحه ومفاسده كثيرًا قيل: هذا أمر مَبيت، وفي اشتقاقه وجهان: **الأول**: أنّ أصلح الأوقات للفكر أن يجلس في بيته في الليل؛ فهناك يكون الخاطر أصفى والشواغل أقل، فلا جرم سمي الفكر المستقصى

---

(1) المصدر نفسه: مج1، ص: 503

(2) مختار الصحاح: ص: 745

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2، ص: 171

تبييتًا. **الثاني**: قال الأخفش: إذا أراد العرب قرض الشِّعر بالقوافي بالغوا في التفكر فيه فسُمي الفكر البليغ تبييتًا » [1]

وقال ابن فارس: « بيّتَ الأمر: إذا دبّرهُ ليلاً ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي: حين يجتمعون في بيوتهم، غير أنّ ذلك يُخصُّ بالليل...والبُّيوتُ: الماء الذي يبيتُ ليلاً، والبيُّوتُ: الأمر يُبيِّتُ عليه صاحبه مهتمًّا به... والبياتُ والتَّبييت: أن تأتي العدو ليلاً؛ كأنّك أخذته في بيته...» [2]

وفي قوله عزّ وجلّ ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [غافر: ٣٢] يقول: « وفي تسمية القيامة: يوم **التناد** وجوه منها: أنّ أهل الجنة يُنادون أهل النار والعكس، ومنها أنّه من قوله: ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡ ﴾ [الإسراء: ٧١] ومنها: أنّ بعض الظالمين ينادي بعضًا بالويل والثبور قائلين: يا ويلنا ومنها: أنهم يُنادون إلى المحشر، ومنها: أنه ينادي المؤمن ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ والكافر ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ وقيل: التناد مخفف من التّنادّ مُشدّدًا، وأصله: من نَدَّ إذا هرب نظيره ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ ﴾ [عبس: ٣٤ – ٣٧] [3]

وسياق الآية يحتمل كل هذه الدلالات دون أن يكون هناك تعارضٌ بينها يقول محمد الطاهر بن عاشور: « ومن بديع البلاغة ذكر هذا الوصف لليوم في هذا المقام ليذكرهم أنه في موقفه بينهم يناديهم بـــ"يا قوم" ناصحا ومريدا خلاصهم من كل نداء مفزع يوم القيامة، وتأهيلهم لكل نداء سار فيه » [4]

ومما يزيد من القيمة العلمية لهذه المُدوّنة هو جمع الرجل بين مباحث اللغة والبلاغة، حيث تتضافر عنده جميعًا لخدمة المعنى، حتى يتعذّر الفصل بين ما هو لغوي وما هو بلاغي، ومن ذلك بيانه لمعنى:

﴿ القرض ﴾ في قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] يورد جملة من الأقوال ثم يعقب عليها مبديًا رأيه. يقول: « عن الزّجّاج: أنّ لفظ" القرض" حقيقة في كُلِّ ما يُفعل لِيُجازى عليه، وأصل القرض: القطع، ومنه المقراض، والانقراض لِانقطاع الأثر، ومن أقرض فكأنّما قطع له من مالِه أو عملِه قِطعةً يُجازى عليها، وقيل: إنّ لفظ القرض في

---

[1] المصدر نفسه: مج2، ص: 453

[2] معجم مقاييس اللغة: ج1، ص: 325

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج6، ص: 35

[4] التحرير و التنوير: ج 24، ص: 190

الآية مجاز؛ فإنّ القرض إنّما يأخذه من يحتاج إليه لِفقره؛ وذلك في حقِّ الله مُحال، ولِأنّ البدل في القرض المعتاد لا يكون إلاّ بالمثل وهنا يُضاعف، ولِأنّ المال الذي يأخذه المستقرِض لا يكون مِلكًا له،

وههنا المال المأخوذ مِلك الله، ثم مع حصول هذه الفروق سمّاه الله تعالى قرضًا تنبيهًا على أنّ ذلك لا يضيع عند الله » (1)

وقال **ابن القيم**: « فصدر سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب وهو الاستفهام المتضمن لمعنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر والمعنى: هل أحد يبذل هذا القرض الحسن فيجازى عليه أضعافا مضاعفة؟ وسمي ذلك الإنفاق قرضا حسنا حثا للنفوس وبعثًا لها على البذل...وحيث جاء هذا القرض في القرآن قيده بكونه حسنا وذلك يجمع أمورا ثلاثة. أحدها: أن يكون من طيب ماله لا من رديئه وخبيثه. الثاني: أن يخرجه طيبة به نفسه ثابتة عند بذله ابتغاء مرضاة الله الثالث أن لا يمن به ولا يؤذي فالأول يتعلق بالمال والثاني يتعلق بالمنفق بينه وبين الله والثالث بينه وبين الآخذ » (2)

وما يدخل في هذا الباب بيانه لِأصل كلمة "الفئة" في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩] بقوله: « والفئة: الجماعة؛ لِأنّ بعضهم قد فاء إلى بعض فصاروا جماعة. وقال الزّجّاج: هي من قولهم: فأوت رأسه بالسيف، وفأيتُ أي: قطعتُ؛ كأنّ الفئة قطعة من الناس » (3)

والملاحَظ على النيسابوري أنه يحترم مصادره اللغوية احترامًا يتجلّى مع كُلِّ موضِعٍ من مواضع تفسيره؛ فهو يورد الآراء ويورد معها مواطن الاتفاق والاختلاف، ثم يحملها على ما يكون أقرب إلى روح العربية وأصولها، وأكثرها التحامًا بالسياق القرآني ومن ذلك بيانه لقوله **عزّ وجلّ**: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩] لم يتسنّه: لم يتغير، وأصله من السّنة، أي: لم يأت عليه السّنون؛ لِأنّ مر السنين إذا لم يُغيره فكأنّها لم تأتِ عليه... وقيل أصله: لم يتسنّنْ إمّا من السّن وهو التغير، قال تعالى﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٦]، أي: متغير منتن، وإما من السَّنَة أيضا...

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1، ص: 662

(2) دار الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام- ط2: 1994م، ص: 538-539.

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1، ص: 671

من أنّ أصل سنة يجوز أن يكون "سَنَنة " بدليل سَنينة في تحقيرها... وعن أبي علي الفارسي: أنّ السّن هو الصّب؛ فقوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: الشراب بقي على حاله لم ينصب؛

فعلى هذا يكون قوله: ﴿لم يتسنّه﴾ عائدًا إلى الشراب وحده، ويوافقه قراءة ابن مسعود: ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَهَذَا شَرَابُكَ لَمْ يَتَسَنَّنْ﴾ (1)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ٦١﴾ [آل عمران: ٦١] قال: و ﴿التّباهل﴾ أن يقول كل واحد منهما: بَهْلَةُ الله على الكاذب مِنّا أي لعنتُه، ويقال: بَهلَهُ الله أي: لعنه وأبعده من رحمته، ومنه قولهم: " أبهله" إذا أهمله، وناقةٌ بَأْهَل: لا صرار عليها، بل هي مرسلة مُخلاة... فكأنّ المباهل يقول: إن كان كذا فوكَلَني الله إلى نفسي، وفوّضني إلى حولي، وقُوّتي، وخلاني من كلائه وحِفظه، هذا أصل "التباهل"؛ ثم استُعمِل في كل دعاءٍ يجتهد فيه، وإن لم يكن التعانًا وهو المراد في الآية ...» (2)

قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٧﴾ [آل عمران: ١١٧] قال أكثر المفسرين وأهل اللغة: الصِّر: البرد الشديد. وفي الصّحاح: الصِّر بالكسر: برد يضر بالنّبات والحرث...وقيل: الصّر: السموم الحارة... وعلى القولين الغرض من التشبيه حاصل سواءً كان بردًا مهلكًا أو حرًّا مُحرِقًا فإنّه يصير مبطلا للحرث فيصح التّشبيه » (3)

وإلى هذا المعنى ذهب ابن فارس، حيث ذكر أنّ من معاني " الصِّر" « البرد والحر وهو الصِّرُّ، يقال: أصاب النّبتَ صِرٌّ إذا أصابه بردٌ يضُرُّ به، والصِّرُّ: صِرُّ الريح الباردة، وربّما جعلوا في هذا الموضع: الحرّ، قال قومٌ: الصّارّة: شِدّة الحر حرّ الشمس، يقال: قطع الحمار صارّته: إذا شرِب شُربًا كسر عطشه...» (4)

---

(1) المصدر السابق: مج2، ص: 26

(2) المصدر نفسه: مج2، ص: 178-179 ، وينظر الجامع لأحكام القرطبي: ج 4، ص: 104

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2، ص: 241

(4) معجم مقاييس اللغة: ج3، ص: 283-284

وبيّن أصل كلمة "الشّك" في **قوله تعالى:** ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤] فقال: « والشك في اللغة: ضم الشيء بعضه إلى بعض، ومنه: شكّ الجوهر في العقد، وشككتُه بالرمح أي: خرقتُه وانتظمتُه، والشكيكة: الفرقة من الناس، والشكاك: البيوت المصطفة، والشاكّ يضم إلى ما يتوهَّمُه شيئًا آخر خلافه » [1]

وما يدخل في هذا الباب قوله **عز وجل:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: ٢٦] يقول المفسر: « والصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل أي: يصوت وهو غير مطبوخ فإذا طُبخ فهو فخّار، وقيل: هو تضعيف صلّ إذا أنتن، والحمأ الأسود المتغير من الطين، وكذلك الحمْأة بالتسكين، والمسنون: المُصوَّر من سنة الوجه أي: صورته. قاله سيبويه. وقال أبوعبيدة: المسنون: المصبوب المفرغ أي أفرغ صورة إنسان كما تُفرغ الصورة من الجواهر المذابة... » [2]

قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣] قال: « تركيب "عجم" يدل على الإبهام والخفاء، ضد البيان والإفصاح، ومنه: عجم الزبيب لاستتارته وخفائه، والعجماء: البهيمة، وصلاة الظهر والعصر عجماوان؛ لِأنّ القراءة فيهما سِرِّيَّة، وأعجمت الكتاب أي: أزلت عجمته، ثم إنّ العرب تُسمّي كل من لا يعرف لِساهم ولا يتكلّم بِلغتهم أعجميًّا... » [3]

ويُبين معنى كلمة ﴿أُف﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣] قال الفرّاء: تقول العرب: فلان يتأفف من ريح وجدها أي: يقول: أُف أُف [4] وقال الأصمعي: الأُف: وسخ الأذن، والتُّف: وسخ الأظافر؛ يقال ذلك عند استقذار الشّيء، ثُم كثر حتى استعملوه في كُل ما يتأذون به... وقيل: أصله أنّه إذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله؛ فالصوت الحاصل عند تلك النّفخة هو القائل: أُف، ثم توسّعوا، فذكروه عند كلِّ مكروهٍ يَصِلُ إليهم » [5]

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3، ص: 612
[2] المصدر نفسه: مج4، ص: 219
[3] المصدر نفسه: مج4، ص: 308
[4] معاني القرآن: ج2، ص: 121
[5] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج4، ص: 340

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢] يقف عند قوله: ﴿لأحتنكن ذريته﴾ فيقول: « لأستأصِلنَّهُم بالإغواء، من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلاً من الحنك، ومنه ما ذكره سيبويه " أُحنّك الشاتين " أي: آكلهما،

وقيل: هو افتعال من الحنك، يقال: منه حنّك الدّابة يحنّكها إذا جعل في حنكها الأسفل حبلا يقودها به؛ كأنّه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه... » [1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر: ٢] يشير المفسّر إلى معاني كلمة ﴿مُستَمِرّ﴾ فيقول: أي دائمًا مطرودًا؛ كأنّهم قابلوا ترادف الآيات وتتابع المعجزات باستمرار السِّحر، وكان رسول الله ﷺ يأتي كلّ أوانٍ بمعجزةٍ قَوليةٍ أو فِعليةٍ سماوية أو أرضية. **وقيل:** هو من قولهم: " حبلٌ مرير الفتل" من المِرّة: وهي الشّدّة، أي: سحرٌ قويٌّ مُحكم. **وقيل:** من "المرارة"يقال: استمرّ الشيء إذا اشتدّ مراراته، أي: سحرٌ مستبشع مُرٌّ في مذاقنا. **وقيل:** مستمرٌّ أي "مارّ" ذاهبٌ زائل عمّا قريب، علّلوا أنفسَهم بالأماني الفارغة؛ فخيّب الله آمالهم بإعلاء الديـــن، وتكامـــل قوّته كلّ يومٍ » [2]

وهذه الطريقة في التفسير تكشف عن واحدة من خصوصيات النص القرآني، وهي التعدد الدلالي ليس على المستوى التركيبي فحسب، بل حتى على المستوى المعجمي، إذ نجد للكلمة الواحدة في السياق الواحد مجموعة من المعاني المحتملة، دون أن يكون هناك أيُّ تعارضٍ بينها، ومن مثل ذلك: لفظة "الهيم" وهي مصدر هَامَ، بمعنى: أحب، وبمعنى عطش. ومصدر هيم البعير فهو مهيوم بمعنى هَيم، فهو أَهْيَم إذا أصابه الهيام. والهيم: جمع أهيَم: وهو الكثير العطش. والهوم: جمع أهوم: وهو العظيم الهامة: وهي وسط الرأس بما والاه، وقيل الهامة جميع الرأس. الهيام: الرمل الذي ينهال أبدا لسهولته. والهيام: العطاش من الإبل وغيرها. والهُيام: داء يصيب الإبل فيكثر عطشها ولا تروى. والهُيام أيضا: شبه الجنون من العشق وغيره، وكثرة العطش أيضا » [3]

---

(1) المصدر السابق: مج4، ص: 365 ، وينظر: الجامع لِأحكام القرآن: ج10، ص: 287

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان : مج6، ص: 217

(3) إكمال الأعلام بتثليث الكلام: محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني ، ت: سعد بن حمدان الغامدي ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – المملكة السعودية: 1984م، ج2، ص: 745

جمعية إتحاد عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي قوله عزّ وجلّ ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ [الواقعة: ٥٥] يقول المفسر: « **والهيم**: الإبل التي بها الهيام وإذا شربت فلا تروى، واحدها: أهيم، والمؤنث: هيماء، وزنه « فِعل» كـــبيض، وجوز أن يكون جمع الهَيام بفتح الهاء، وهو الرّمل الذي لا يتماسك، كسحاب وسُحُب...

والمعنى أنّه يُسلّط عليهم الجوع حتى يضطرّوا إلى أكل الزقوم، ثم يسلّط عليهم العطش إلى أن يضطروا إلى شرب الحمم كالإبل الهيم » [1]

وعلى القولين فالغرض من التشبيه حاصلٌ؛ لِأنّ الجامع بين الصورتين هو النّهم وعدم الارتواء، وفيه من الوعيد ما لو تأمّله أهلُ الأرض لما بقي فيهم كافرٌ بالله.

ولا يكاد الرجل أن يجاوز بيان معنى الآية إلى التي تليها، حتى يقف على ما يراه مناسبًا أو مُعينًا على الفهم والاستنباط، ومن ذلك وقوفه عند قوله **عزّ وجلّ**: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٨] بيّن معنى الرّؤية في قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ فقال: « إن كان منقولاً عن رؤية العلم؛ فمعناه علّمنا شرائع حجّنا كيف هي، إذ أمرتنا ببناء البيت لِنحُجّه وندعوا النّاس إلى حجّه، وإن كان منقولاً عن رؤية البصر – وهو الأظهر- ولذلك لم يتجاوز مفعولين ظاهرًا؛ فالمعنى: بصِّرنا متعبّداتنا في الحج...**وقيل**: المراد: العلم والرؤية معًا؛ لِأنّ الحج لا يتم إلاّ بأمورٍ بعضها يُعلم ولا يُرى، وبعضها لا يتم الغرض منه إلاّ بالرؤية؛ فوجب حمل اللفظ على الأمرين جميعًا، وليس ببعيـــد؛ فإنّ اللفـــظ المشترك يصحُّ إطلاقه على معنييـــه معًا... » [2].

المطلب الثالث: قضايا النحو في تفسير النيسابوري.

تكاد تتفق وجهات النظر على أنّ الدِّراسات اللغوية والبلاغية في هذه المرحلة – القرن الثامن الهجري- قد شهدت تراجعًا كبيرًا حتى وَصفت النّحو بأنه عرض جاف لقواعد اللغة، وأصبح -بذلك- ظاهرةً غير سَوِيّة، فاقدًا للشرعية، وأصابه ما أصاب البلاغة من فتور، بعد أن أدركها سِنُّ اليأس وحَكَم عليها التفريع والتقسيم بالعقم، ثم بالعزلة عمّا جاورها من علوم... ولكن هل يمكن أن يُقبل هذا الكلام على إطلاقه دون تمحيصٍ، لا سيما إذا تعلّق الأمر بمصنفات لعلماء أفذاذ –من أبناء

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج6، ص: 242

(2) المصدر نفسه: مج1، ص: 402

هذه المرحلة [1]- ممن كان له اليد الطولى في تخليص الدرس اللغوي والبلاغي من إشكالية الشاهد من جهة، والتقسيم المفرط للمباحث- ما نتج عنه قطع الصلة بين علوم اللغة- من جهة ثانية، فكانت إسهاماتهم في الدرس البلاغي وما يرتبط به من قضايا الإعجاز أكثر من أن تُجهل أو يُضربَ الصفحُ عنها.

والإمام النيسابوري – كغيره من علماء هذه المرحلة- قد سُبق بمرحلة ترعرعت فيها العلوم اللغوية والبلاغية واستوت على سوقها؛ فكان على الصّعيد النّظري "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني" وعلى الصعيد الإجرائي العملي "الكشاف للزّمخشري" و "التفسير الكبير" المعروف بـــ "مفاتيح الغيب للرازي"، وما زاد من القيمة العلمية لتفسير النّيسابوري أنّه استفاد من جميعها مضيـــفًا إليها بقدر ما وسعته القدرة ومكّنته الوسيلـــة. ومن دلائل ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧] قال في سبب نصب " الصابرين" « وهو نصب على المدح والاختصاص إظهارًا لِفضل الصّبر في مواطن الشّدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال. قال أبو علي الفارسي[2]: إذا ذُكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح أو الذّم، فالأحسن أن يُخالف بإعرابها، ولا تُجعل كلُّها جارية على موصوفها... فإذا خولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمل؛ لِأنّ الكلام عند اختلاف الإعراب يصير كأنّه أنواع من الكلام وضروب من البيان » [3]

والملاحظ لطريقة اشتغال اللغة في تفسير النيسابوري يدرك صعوبة الفصل بين ما هو لغوي وما هو بلاغي، ولقد أولى لِلُّغة اعتبارًا كبيرًا يُوحي بسعة اطّلاعه وقدرته على استيعاب شتّى مذاهب النّحو وأقوال أهلِه، فهو يَعرض القَضية ويعرض معها مواطن الخلاف، ثم يَحملُها على أحسن الوجوه، ودراسته لمسائل النحو واللغة عمومًا ليست مقصورة على الأبواب والتقسيمات التي تعارفَ عليها النحاة واللغويون وغَلبت على مُصنّفاتهم، بل ربط الدرس اللغوي والنحوي –خصوصًا- بغيره من

---

[1] نذكر على سبيل المثال لا الحصر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري، التسهيل لِعلوم التنزيل: لِابن جزي الكلبي، البحر المحيط: لِأبي حيان الأندلسي، وكتاب بدائع الفوائد: لِابن قيم الجوزية ...فضلاً عمّا جاء مبثوثًا في صفحات بعض المؤلفات من قضايا تستحقُّ أن تُفرد لها بحوثٌ مستقلة.

[2] هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية. دخل بغداد سنة 307 هـــ ،وتجول في كثير من البلدان. وقدم حلب سنة 341 هـــ فأقام مدة عند سيف الدولة. وعاد إلى فارس، فصحب عضد الدولة ابن بويه، وتقدم عنده، فعلمه النحو، (ت: 377 هـــ) وصنف له كتب في اللغة والنحو. ينظر: الأعلام : ج2، ص: 180

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1، ص:478، وينظر: البحر المحيط: ج2، ص: 10، والتحرير والتنوير: ج2، ص: 133

العلوم؛ فلم تعد غاية النحو مجرد حفظ اللغة من اللحن والخطأ أو عرضًا جافًّا للقواعد، بل وسيلة هامة للفهم والتحليل؛ تمتد لتشمل جميع العناصر التي لها علاقة بنظم الكلام وتأليفه، وَخَطَا في هذا الاتجاه خطوات محمودة لا تغيب عن قارئِ تفسيره، ومن ذلك بيانه لقوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة: ٨] فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ قولهم: ﴿ ءَامَنَّا ﴾، والأول في ذِكر شأن الفعل لا الفاعل، والثاني بالعكس؟ قلت: لمّا أتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها: أحدثنا الدخول في الإيمان لِتروج دعواهم الكاذبة جيء بالجملة الإسمية ليفيد نفي ما انتحلوا إثباته لِأنفسهم على سبيل البت والقطع. وأنّهم ليس لهم استئهال أن يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين؛ فكان هذا أوكد وأبلغ من أن يُقال: "إنهم لم يؤمنوا ".ونظير الآية قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة: ٣٧] [1]

ومن ذلك– أيضًا– وقوفه عند قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٨] إذ يقول: « وفي قوله: ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ لطائف **منها:** تقديم الجار على الفعل لِإفادة الحصر، وأنّهم لا يُحشرون إلى غيره، وأنه لا حكم لِأحدٍ في ذلك اليوم إلاّ له، **ومنها:** تخصيص اسم "الله" بالذِّكر ليدلّ على كمال اللطف والقهر؛ فهو لِدلالته على كمال اللطف أعظم أنواع الوعد، ولِدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد، **ومنها:** إدخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيهًا على أنّ الإلهية تقتضي هذا الحشر لِحكمة المُجازاة، **ومنها:** بناء " تُحشرون" على المفعول تعويلاً على ما هو مركوز في العقول من أنّه هو الذي يُبدئ ويعيد، لا قدرة على الإعادة لِأحدٍ غيره، **ومنها:** أنّه أضاف حشره إلى غيرهم لِيُعلم أنّهم أحياءً كانوا أو أمواتًا لا يخرجون عن قبضته » [2]

ومن النكت واللطائف الواردة في هذا المجال تفسيره لقوله عز وجل:﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٨] حيث قال: « وههنا نكتة وهي أنّه أدخل "مِن" التبعيضية في الآية المتقدمة [3] في قوله: ﴿ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ في الموضعين، ولم يذكر في هذه الآية؛ لِأنّ أولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا إلاّ البعض، بخلاف هؤلاء فإنّهم لم يذكروا أنفسهم إلاّ

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1، ص: 162

[2] المصدر نفسه: مج2، ص: 291

[3] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]

بالعيب والقصور و لم يسألوا ربّهم إلاّ ما يوجب إعلاء كلمته فلا جرَم فازوا بالكل، وفيه تنبيهٌ على أنّ من أقبل على خدمة الله، أقبل على خدمته كل ما سوى الله » (1)

ويذكر الرجل فوائد جليلة في اقتران الفعل بـ " أن" و "أنّ" في سياق بيانه لقوله عزّ وجل: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾ [المائدة: ٧١] فيقول: « قال علماء الأدب: الأفعال على ثلاثة أضرب: فعل يدل على ثبات الشيء كالعلم والتيقّن؛ فيقع بعده " أنّ " المشددة الدالة على ثبات الشيء أيضًا لِتأكيد مُقتضاه كقوله: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥] فإن خُفِّفت ودخلت على الفعل لم يجز إلاّ أن يكون مع فِعله "قد" أو "سوف" أو "السين" أو حرف نفي؛ ليكون كالعِوض من إحدى النونين، وقيل: من حذف ضمير الشأن مثل: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ﴾ [المزمل: ٢٠] وفعل يدل على خلاف الثّبات والاستقرار نحو: "أطمع" و "أخاف" و" أرجو" فلا يجيء معه إلاّ الخفيفة النّاصبة للفعل كقوله: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي ﴾ [الشعراء: ٨٢] وفعلٌ: يحتمل المعنيين؛ فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ ﴾ [المائدة: 71] قُرئ بالنّصب على "أن" المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن، وبالرّفع على " أن" المخففة أي: أنّه لا تكون فتنة؛ فخففت"أن" وحُذف ضمير الشأن، ونزل حُسبانهم لِقوّته في صدورهم مترلة العلم » (2)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ ﴾ [المائدة: ١١٧] قال: الوجه أن يُحمل فعل "القول" على معناه فيكون أصل المعنى: " ما أمرتُهم إلاّ بما أمرتني به بأن اعبدوا الله ربي وربّكم" إلاّ أنّه وضع "القول" موضع "الأمر" رعايةً للأدب؛ كيلا يجعل نفسه وربَّه آمرين، ودلّ على الأصل بذكر "أن" المفسِّرة » (3)

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ [الأعراف: ٦٤] ويذكر المفسر فائدة جليلة في حالة من حالات استعمال حروف الجر فيقول: « قال بعض العلماء: ما في حق العقلاء من التّكذيب فبغير الباء نحو: ﴿ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي ﴾ [سبأ: ٤٥] و﴿ كَذَّبُوهُ ﴾ وما في حق غيرهم فـ "بالباء" نحو: ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ » (4)

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2، ص: 275

(2) المصدر السابق: مج2، ص: 621

(3) المصدر نفسه: مج3، ص: 40

(4) المصدر نفسه: مج3، ص: 268

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [يونس: ٧٣] قال في هذه الآية ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ لِأنّ التشديد للتكثير، ولفظة "مَنْ" أدل على العموم، ولهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف الذين » [1]

﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٣] قال أهل المعاني[2]: إذا قلت: ألا تفعل كذا؛ فإنّما يُستعمل ذلك في فعل مُقدّر وجوده، وإذا قلت: ألست تفعل؛ فإنّما تقول ذلك في فعلٍ تحقيقٌ وجودُه، والفرق أنّ "لا " ينفى بها المستقبل؛ فإذا دخلت عليه الألف صار تحضيضًا على فعل ما يُستقبل، و "ليس" مستعمل في نفي الحال؛ فإذا دخلت عليه الألف صار لِتحقيق الحال » [3]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾ [المائدة: ١٢٠] قال: و لم يقل: "من فيهنّ" ليكون أدل على العموم، ولينبّه على أنّ عقول ذوي العقول، وعلوم أرباب العلوم بِالنِّسبة إلى عِلمه كَلا عِلم » [4]

وكثيرًا ما يعتمد المفسر على آليات اللغة في استنباط بعض الأحكام، ومن ذلك بيانه لقوله عز وجلّ: ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم: ١٠] إذ يقول: « استدلّ بالآية من جوّز زيادة "مِن" في الإثبات، وذلك لقوله تعالى في موضعٍ آخر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] أُجيبَ بأنّه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لأُمة **محمد** غفران جميع الذنوب لِغيرهم؛ فالوجه: أن تكون "مِن" للتبعيض تمييزًا بين الفريقين، ويؤيد ما ذكرنا استقراء الآيات؛ فإنها ما جاءت في خطاب الكافرين إلاّ مقرونة بـ"مِن" كما في هذه الآية، وفي سورة نوح، وسورة الأحقاف، وقال في خطاب المؤمنين في سورة الصف: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الصف:12] بغير "مِن" » [5]

---

[1] المصدر نفسه: مج3، ص: 268

[2] قال ابن الصلاح: « وحيث رأيتَ في كتب التفسير قال أهل المعاني: فالمراد به مصنفوا الكتب في معاني القرآن كالزجاج، والفراء، والأخفش، وابن الأنباري » ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ص: 285

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3، ص: 436-437

[4] المصدر نفسه: مج3، ص: 41

[5] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج4، ص:180. وينظر: بدائع الفوائد ابن القيم الجوزية، ت: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد الج مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة ط1: 1996م، ج2ص: 293

﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا ﴾ [العنكبوت: ٣٣] قال أهل البرهان: وإنما قيل ههنا: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ ﴾ بزيادة " أن" لِأنّ " لَمّا " تقتضي جوابًا، وإذا اتصل به "أن" دلّ على أنّ الجواب وقع في الحال مِن غير تراخٍ في الظاهر كما في هذه السورة، وهو قوله: ﴿ سِيٓءَ بِهِمۡ ﴾ وفي " هود " [1]

اتّصلَ به كلام بعد كلام فطال فلم يحسن دخول "أن" ظاهرًا... » [2]

قال الزمخشري: "أنْ" صِلة أكدت وجود الفعلين مُترتِّبًا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان، كأنه قيل: كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث » [3]

﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾ [الطارق: ١٧] أي: لا تدعُ بهلاكهم ولا تستعجل به، ثم كرّر ذلك المعنى للمبالغة، ووصف الإمهال بقوله: ﴿ رُوَيۡدَۢا ﴾ أي: سهلاً يسيرًا، والتركيب يدل على الرِّفق والتأنّي ومنه قولهم في باب أسماء الأفعال: "رُوّيدَ زيدًا " أي: أَروده إروادًا وارفق به؛ فكأنّه سبحانه قال: مهّل مهّل مهل ثلاث مرّات بثلاث عبارات، وهذه نهاية الإعجاز » [4]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [العاديات: ٩] يقول المفسر: « وإنما لم يقل من في القبور بل قال: ﴿ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ بحكم التغليب؛ فإن أكثر ما في الأرض ليسوا مكلفين، والذين هم مكلفون يجوز أن يكونوا حال البعثرة أمواتاً غير عقلاء ويصيروا أحياء بعد البعثرة » [5]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ٤] ذكر المفسر سبب تخصيص الخطاب؛ ولماذا لم يقل "وللآخرة خيرٌ لكم" ؟ فقال: « وفي تخصيص الخطاب إشارة إلى أن في أمته من كانت الآخرة شرًّا إليه إلا أن الله ستره عليهم، ونظيره قول موسى: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢] لِأنه كان في قومه من لم يكن لائقاً بهذا المنصب، وحين لم يكن في الغار إلا نبي وصدّيق قال نبينا ﷺ ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] » [6]

---

(1) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴾ [هود: ٧٧]

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج5، ص: 384

(3) الكشاف: ج3، ص: 453

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج6، ص: 481

(5) المصدر نفسه: مج6، ص: 551

(6) المصدر نفسه: مج6، ص: 516

هذا وقد أشار النيسابوري في مواضع كثيرة إلى مظاهر التعدد الدلالي في النص القرآني على المستوى التركيبي، ومن ذلك تفسيره لقوله عز وجلّ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾[الأنعام: ٣١] بقوله: « أما الضمير في "فيها" فقال ابن عباس: أي في الدنيا وإن لم يجرِ لها ذكر في الآية بدلالة العقل؛ لأنّ موضع التقصير هو الدنيا. وقيل: أي في وقت الساعة على معنى قصرنا في شأنها والإيمان بها وإعداد الزاد وتحصيل الأهبة لها. وقال محمد بن جرير الطبري: يعود إلى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران [1] . وقيل: إلى "ما" فيما فرطنا، أي يا حسرتنا على الأعمال والطاعات التي تركناها، وقصرنا فيها » [2]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٦ – ٦٧] قال: « وفي مرجع الضمير في ﴿به﴾ أقوالٌ: **أحدها**: أنّه للبيت العتيق أو للحرم، والذي سوّغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت والتفاخر بولايته والقيام به، وكانوا يقولون: لا يظهر علينا أحدٌ لِأنّا أهل الحرم، **وثانيها**: مستكبرين بهذا التراجع والتباعد، **وثالثها**: مستكبرين بالقرآن؛ على تضمين الاستكبار معنى التكذيب، أو على أنّ **" الباء"** للسببية؛ لِأنّ سماع القرآن كان يُحدِثُ لهم استكبارًا وعُتُوًّا، **ورابعها**: أنّه يتعلّق بـ"سامِرًا" أو بـ "تهجرون"؛ والهُجر- بالضّم- الفحش وبالفتح: الهذيان، وأهجر في منطقه إذا أفحش، والضمير للقرآن أو النّبي، أي: تسمرون بذكر القرآن وبالطّعن فيه أو في النّبي، وكانت عامة سهرهم حول البيت ذِكر القرآن وتسميته سحرًا وشِعرًا، وسب رسول الله ﷺ » [3]

والنيسابوري يعرض القضايا النحوية ثم يفصّل فيها تفصيلاً ينبئ عن تخصص الرجل وقدرته على الخوض في شتى مسائل اللغة وجزئياتها، ولعلّ وقفاته المعتادة على القضايا اللغوية الأكثر جدليةً والخوض في تفاصيلها يدفع القارئ إلى النظر بتأنٍّ ورويةٍ إلى ما قدّمته دراسات المفسّرين–عامة- في هذا الإطار، وما حديثه عن مسألة "التضمين" إلاّ واحد من تلك الأدلة المقنعة بثراء المادة اللغوية

[1] جامع البيان في تفسير القرآن: ج11، ص: 325
[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3، ص: 68
[3] المصدر نفسه: مج5، ص: 128

والبلاغية- عنده- والمسألة هي:هل الأفعال والحروف ينوب بعضها عن بعض؟ أو يتضمّن بعضها بعضًا؟ أو لا ينوب ولا يتضمن وإنّما لِكلّ فعلٍ أو حرفٍ معنى محدد؟ [1]

يقول ابن جني: « اعلمْ أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعلٍ آخَر وكان أحدهما يتعدّى بحرفٍ والآخر بآخر؛ فإنّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر؛ فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وذلك كقول الله عزّ اسمه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنّما تقول: رفثتُ بها أو معها، لكنّه لّما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدّي أفضيتُ بـــ"إلى" كقولك: أفضيت إلى المرأة؛ جئتَ بـــ "إلى" مع الرّفث إيذانًا وإشعارًا أنّه بمعناه » [2]

وقال ابن هشام [3]: « قد يُشرِبون لفظًا معنى لفظٍ فيعطونه حُكمه ويسمى ذلك تضمينًا، وفائدته أن تؤدي كلمةٌ مُؤدّى كلمتين » [4]

وقد بين النيسابوري هذه الظاهرة في مواضع كثيرة من كتابه يقول:في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨] المعنى فمن عُفي له من جهة أخيه شيء من العفو كقولك: "سِيرَ بزيد بعض السير وطائفة من السير" ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به؛ لِأنّ "عفا" لا يتعدى إلى مفعول به إلاّ بواسطة، فإن قيل: عفا يتعدّى بـــ"عن" لا بـــ" اللام" فما وجه قوله: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ﴾؟ فالجواب: أنّه يتعدّى بـــ"عن" إلى الجاني وإلى الذنب؛ فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣] فإذا تعدّى إلى الذّنب وإلى الجاني معًا قيل: "عفوت لفلان عمّا جنى" كما تقول: غفرت له ذنبه، وتجاوزت له عنه » [5]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وإنّما قيل: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ ولم يقل:"ولتكملوا الشهر" ليشمل عِدّة أيام الشّهر، وعِدّة أيام

---

[1] ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار- عمان- ط1: 2000 م، ص: 153

[2] الخصائص: ج 2، ص: 308

[3] هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام: من أئمة العربية. مولده ووفاته بمصر من تصانيفه " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. ينظر: الأعلام: ج4، ص: 147

[4] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - بيروت. ط6: 1985م ص: 897

[5] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1، ص: 483 ، والبحر المحيط: ج2، 149

القضاء جميعًا، وعُدي فعل التكبير بـــ"على" لتضميـــن معنى الحمد، أي: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم »[1].

وما يدخل في هذا الباب تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤] وليس المراد أنّهم مُهانون عند المؤمنين بل المراد: المبالغة في وصفهم بالرِّفق ولين الجانب... ولِتضمين الذُّل معنى الحنو والعطف عُدّي بـــ"على" دون "اللام" كأنه قيل: عاطفين عليهم، أو المراد أنّهم مع شرفهم واستعلاء حالهم، واستيلائهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ليضموا إلى منصبهم فضيلة التواضع »[2]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف: ٢٣] يقول: « والمراودة: مُفاعلةٌ مِن راد يرود إذا جاء وذهب، ضُمِّنت معنى الخداع، أي: فعلتْ ما يفعل المخادع بصاحبه حتى يُزله عن الشيء الذي يريد أن يخرجه مِن يده »[3]

وهذه خصوصية من خصوصيات العربية؛ فقد يتضمن الفعل معنى فعلٍ آخر؛ فيؤدي معناه بالإضافة إلى معنى آخر. قال ابن تيمية: « والعرب تضمن الفعل معنى الفعل، وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض؛ كما يقولون في معنى قوله ﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾ [ص: ٢٤] أي: مع نعاجه و ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٢] أي: مع الله، ونحو ذلك، والتحقيق ما قاله نُحاة البصرة من التضمين »[4]

ولعل أهم ما يمكن أن يقف عليه الدارس بين سطور هذا التفسير هو إقرار المفسر بأنّ النص القرآني هو أوثق مصدرٍ في الوجود. واتخذه أساسًا تجلّت معالمه عند كل مشكلة تطرأ، وعند كل قضيةٍ تُطرح، وأضحى النصُّ القرآني – عنده- محافظًا على سلطته، مستمدًّا وثاقته من مصدره الرّبّاني، وهو النّص الذي يعلو ولا يُعلى عليه، ولا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، ولا يمكن أن يخشى الزيغ والشطط من اتخذ هذا القانون أساسًا لكل عملٍ موصلٍ لفهم القرآن واستجلاء مكامنه، وما أحسن أن يتلمّس القارئ أبعاد هذا الكلام في قضية الصّراع القائم بين بعض النّحاة وبعض أهل التفسير حول إشكالية العلاقة بين القراءات القرآنية، وبعض القواعد النحوية التي بلغت قدسيتها عند

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1، ص: 504

(2) المصدر السابق: مج2، ص: 604

(3) المصدر نفسه: مج4، ص: 77 ولمزيد من الأمثلة ينظر: مج1، ص: 141، مج2، ص: 145، 472، مج4، ص: 80.

(4) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، :ت: أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء ، ط3: 2005م، ج13، ص: 342

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البعض حدًّا دفعهم إلى ردّ بعض القراءات القرآنية المتواترة، وحملها على الشذوذ والخروج عن كلام العرب، ورفضها دون مبرر علمي واضح [1] .

ولعلّ مردُّ ذلك إلى أنّ النحاة « حينما تصدّوا للنحو وضعوا القواعد النحوية في كفّة، ووضعوا القراءات القرآنية في كفّة أخرى، ثم نظروا في القراءات فما وافق منها القواعد النحوية وافقوا عليه واعتمدوه، وما تعارض مع القواعد عارضوه أو تأوّلوه إن قبِل التأويل » [2]

ثم إن القول بنزول القرآن الكريم على أساليب العرب وطرائقهم في التعبير قد أغرى بعضهم بجعل ما استُقرِئ من كلام العرب أصلاً أصيلاً لا يمكن أن يتقدّمه نصٌّ أو ينافسه وإن كان قرآنًا، واستُحدِثت مصطلحاتٌ عند أهل اللغة والنحو « ظلّت مبهمة ولم تجد لها تحديدًا علميًّا، وكانت تتردد وتُتّخذ أساسًا للحكم ومعايير لرفض ظواهر لغوية، كالشائع والمطّرد والنّادر والقليل والشّاذ، وظلّت هذه المصطلحات تُستخدم دون تحديد، إلاّ أنّها كثيرًا ما استُخدمت بتعنُّتٍ في تخطئة أو رفض الظواهر اللغوية » [3]

فكان من المرتقب أن يحتدم الصِّراع الحاد بين بعض أهل الملة من النحاة والمفسرين، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى اتهام البعض الآخر بأوصاف لا يستشعر حِدّتَها إلاّ من وقف على مخاطر الخوض في هذا الميدان [4]

وقد تمسّك المفسّر بالقرآن الكريم، واتخذه المصدر الأوّل في وضع القاعدة اللغوية، وقدّمه على أي مصدر آخر من مصادر السماع « ولا شك أنّ استناد القاعدة إلى النص القرآني يعفيها من كثير من التأويلات والفلسفات التي لحقت بها في مسيرتها الطويلة منذ مئات السنين، وظلّت عالقةً تتوارثها الأجيال جيلاً بعد... حتى أنَست بها النفوس، وألِفتها وأصبحت جزءًا لا يتجــزأ من النحو المألوف » [5]

وعلى هذا النحو سار النيسابوري في تفسيره، من خلال تعامله مع القراءات القرآنية وبيّن موقفه منها في مواضع عِدّة منها قوله تعالى: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢]

---

[1] ينظر تفصيل هذه النماذج في : دراسات لِأسلوب القرآن: محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث – القاهرة– ج1 ، من ص: 32 إلى43 وينظر: البحر المحيط: ج6، ص: 428

[2] نظرية النحو القرآني: أحمد مكي الأنصاري، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط1: 1405هـ، ص: 51-52

[3] النحويون والقراءات القرآنية: زهير غازي زاهد، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد15: 1998م، ص: 139

[4] من ذلك مثلاً ما قاله أبو حيان الأندلسي عن الزمخشري. ينظر: البحر المحيط: ج4، ص: 658

[5] نظرية النحو القرآني: ص: 17

قال: « عاب النحويون على حمزة أنّه قرأ ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيِّ﴾ لِأنّ ياء الإضافة لا تكون إلاّ مفتوحة، حيث قبلها ألف في نحو" عصاي" فما بالُها وقبلها ياء، وحاصل ما عابوا عليه أنّه لم يوجد له نظير في استعمال العرب؛ لكنّك تعلم أنّ القرآن حُجةٌ على غيره » [1] .

وبمثل ذلك تعامل مع قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾[الأنعام:١٣٧] فقال: « إن وجه القراءة الأكثري ظاهر، وليس فيها إلاّ تقديم المفعول؛ وذلك لِشدة الاعتناء به، وأما قِراءة ابن عامر فخطّأها الزّمخشري من جهة الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف...وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه، والحق – عندي- في هذا المقام أنّ القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه، والقراءات السّبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها؟ فإذا ورد في القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بِصحته، وفصاحته، وأن لا يلتفت إلى أنه هل ورد له نظير في أشعار العرب وتراكيبهم أم لا، وإن ورد فكثير أم لا؟ » [2]

وقد قوبل موقف الزمخشري هذا برد فعل عنيف من قِبل أبو حيان الأندلسي إذ قال: « وأعجب لعجمي ضعيفٍ في النحو يردّ على عربي صريحٍ محض قراءةً متواترةً موجودٌ نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقرّاء الأئمة الذين تخيّرهم هذه الأمة لِنقل كتاب الله شرقًا وغربًا » [3]

وفي قوله تعالى:﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] قال: من قرأ بالتنوين فــ"ما" إمّا نافية والجملة نصب على الحال، أي: أتاكم من جميع ذلك غير سائليه، أو موصولة بمعنى: وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه وطلبتموه بلسان الحال » [4]

ومنه قوله تعالى:﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [النحل: ٧] من قرأ بفتح الشين فمعناه: المشقة؛ فيكون مصدر شقّ الأمر عليه شقًّا، وحقيقته راجعة إلى الشّق الذي هو الصدع، ومن قرأ بالكسر فمعناه: النِّصف كأنه يذهب نصف قُوّته لِما يناله من الجُهد » [5]

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج4، ص: 190

(2) المصدر السابق: مج3، ص: 172- 173

(3) البحر المحيط: ج4، ص: 658

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج4، ص: 194 ، وينظر البحر المحيط: ج6، ص: 440

(5) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج 4، ص: 244

﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ ﴿٨١﴾ ﴾ [طه: ٨١] من قرأ فيحِلُّ بالكسر فَبمعنى: الوجوب مِن قولِهم: "حل الدّيْن يحِلُّ " إذا وجب أداؤه، ومن قرأ بالضم فبمعنى: النّزول، ونزول الغضب نزول نتائجه من العقوبات والمثلات » [1]

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه:١٣١] انتصب ﴿ زهرةً ﴾ على الذّم، أو على تضمين متّعنا بمعنى: خوّلنا، وأعطينا، أو على إبداله من محل "به" أو على إبداله من " أزواجًا" والتقدير: ذوي زهرة، وهي الزينة والبهجة، ومن قرأ بفتح الهاء فبمعناها أيضًا، أو هي جمع زاهر، كأنهم لِصفاء ألوانهم وظهور آثار النعومة عليهم زاهر، وهذه الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون الصُّلحاء من شُحوب الألوان والتقشّف في الثياب » [2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦] وقرئ: ﴿ علامَ الغيوب ﴾ بالنصب؛ على أن الكلام قد تم عند قوله: أنت. أي أنت الموصوف بالجلال والكبرياء، ثم نصب"علام الغيوب" على الاختصاص أو على النداء، ثم عدّد أنواع نعمه على عيسى عليه السلام واحدة فواحدة تنبيهاً على أنه عبد وليس بإله وتوبيخاً للمتمردين من الأمم...وموضع "إذ قال"رفع بالابتداء، على معنى ذاك إذ قال اللّه، أو نصب بإضمار " اذكر" ، أو هو بدل من يوم يجمع؛ وإنما ذكر "القول" بلفظ الماضي دلالة على قرب القيامة حتى كأنها قد قامت ووقعت كما يقال: الجيش قد أتى إذا قرب إتيانهم، أو ورد على الحكاية كقول الرجل لصاحبه: كأنك بنا وقد دخلنا بلدة كذا فصنعنا كذا. وإنما قال: وعلى والدتك لأن النعمة على الولد نعمة على أبويه، ولِأنّ مكارم الأخلاق دليل على طيب الأعراق... » [3]

قال تعالى: ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يوسف: ١٢] من قرأ بالجزم: فمن الرّتعة كالأمنة، وهي الخصب والسّعة، ومن قرأ بالكسر: فعلى حذف الياء، مِن يرتعي مستعارًا من ارتعاء الإبل والماشية، واللعب ترك ما ينفع إلا ما لا ينفع؛ فمن قرأ بالياء فلا إشكال؛ لِأنّ الصّبي لا

(1) المصدر السابق: مج4، ص: 563

(2) المصدر نفسه: مج4، ص: 582-583

(3) المصدر نفسه: مج3، ص: 36

تكليف عليه، ومن قرأ بالنّون قال: كان لعبهم الاستباق، والانتضال بدليل قوله:﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ [يوسف: ١٧] »[1]

قال تعالى: ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القصص: ٣٢] من قرأ بالتخفيف فمُثنّى: ذاك، ومن قرأ بالتشديد فمُثنى: ذلك...»[2] واستحسن هذا القول محمد الطاهر بن عاشور[3]

ولا يمكن أن يُدرس النص القرآني على أنه تابعٌ لِكلام البشر تُفهم معانيه على طريقة فهم كلام البشر، وتُفسّر قواعده بما هو مألوف في كلام العرب « والقرآن فوق النحو، والفقه، والمذاهب كلها، فهو أصل الأصول، ما وافقه فهو مقبول، وما خالفه فهو مردودٌ و مرذولٌ، وإنّما يهُمُّنا ما يقوله علماء الصحابة والتابعين فيه؛ فهو العون الأكبر لنا على فهمه »[4]

---

[1] المصدر السابق: مج4، ص: 68

[2] المصدر نفسه: مج5، ص: 143، وينظر: الكشاف: ج3، ص: 409

[3] ينظر التحرير والتنوير : ج20، ص: 52

[4] تفسير القرآن الحكيم " تفسير المنار" : محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م ، ج7، ص: 187

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: اللغة أداة للتأويل.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اللغة ومجالات التأويل عند علماء الكلام.

المبحث الثاني: اللغة ومسائل العقيدة في تفسير النيسابوري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: اللغة أداة للتأويل.

المبحث الأول: اللغة ومجالات التأويل عند علماء الكلام.

المطلب الأول: مفهوم التأويل:

إنّ المتتبع للخلاف الدّائر بين الفِرق الكلامية – والمعتزلة والأشاعرة على وجه الخصوص- حول قضايا العقيدة، ولا سيما ما تعلّق منها بالصّفات الإلهية، يجد أنّ ذلك قد تفرّعت عنه قضايا هامّة أثّرت بشكلٍ واضحٍ في دراسة إعجاز القرآن وما يتعلّق به من قضايا اللغة والبيان. مثل: العقل والنقل، والمحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، فبعد أن وُظِّفت اللُّغة- مِن قبلُ- لفهم النّص القرآني مُتجرِّدةً من أي مسؤولية مذهبية، تحوّلت – من بعدُ- إلى سِلاحٍ مُحمّلٍ بهواجس المبدأ والعقيدة، وأصبح من اللازم أن لا يخرج الرّأي في اللغة عمّا وجب به القول في العقيدة، ولا يُمكن أن يكون الطريق إلى ذلك إلاّ بالتّأويل. وانطلاقًا من هذه الجدلية القائمة بين ما هو مذهبي عقدي وما هو لغوي بلاغي سيتضح أثر العقيدة في توجيه مواقف كل فرقة من هذه القضايا: العقل والنقل، المحكم والمتشابه، الحقيقة والمجاز، ونظرًا لوثاقة الصلة بين ما هو لغوي بلاغي وما هو معرفي عقدي كان من اللازم أن لا يخرج الرأي في اللغة عما وجب به القول في العقيدة.

وأمّا " **التأويل**" فقيل: من أوّل يُؤوِّل تأويلاً. وثُلاثيه: آل يَؤول، أي رَجع وعاد، والتأويل: المَرجع والمَصير، مأخوذ من: آل يَؤُول إلى كذا، أي صار إليه. وأوّلته: صَيَّرته إليه »[1] .

وأما قوله تعالى: ﴿ **هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ** ﴾ [الأعراف: ٥٣] معناه: هل ينظرون إلاّ ما يؤول إليه أمرهم مِن البَعث. قيل: وهذا التَّأويل هو قوله جلّ وعزّ: ﴿ **وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ** ﴾ [آل عمران: ٧] أي : لا يعلم متى يكون أَمر البعث وما يؤول إليه الأمر عند قيام الساعة إلا الله ﴿ **وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ** ﴾ [آل عمران: ٧] أي: آمنّا بالبَعث... والتأويل: تفسير الكلام الذي تَختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه »[2]

(1) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت – ط1: 2000م ج15 ص: 329-330

(2) المصدر نفسه ص: 329-330

وقد جعل الإمام الطبري "التفسير "من مرادفات" التأويل" حين قال: « وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير » [1]

ولم يستقر معنى التأويل عند هذا المفهوم بل أخذ وسط الصراع ا لمذهبي الحاد مفهومًا آخر، أشار إليه صاحب " لسان العرب" حيث نجده يسوق المعاني الأولى للتأويل، لكنه يزيد عليها المعنى الجديد الذي استقر عند علماء الكلام والأصول وغيرهم فيقول : « والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ » [2]

وقد أشار ابن تيمية إلى المرحلتين قائلاً: « فَإِنَّ " التَّأْوِيلَ " فِي عُرْفِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ الْمُتَفَقِّهَةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُحَدِّثَةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ وَنَحْوِهِمْ هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ الْمَعْنَى الرَّاجِحِ إلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ لِدَلِيلِ يَقْتَرِنُ بِهِ وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي يَتَكَلَّمُونَ عَلَيْهِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَمَسَائِلِ الْخِلَافِ ... وَأَمَّا " التَّأْوِيلُ " فِي لَفْظِ السَّلَفِ فَلَهُ مَعْنَيَانِ: " أَحَدُهُمَا " تَفْسِيرُ الْكَلَامِ وَبَيَانُ مَعْنَاهُ سَوَاءٌ وَافَقَ ظَاهِرَهُ أَوْ خَالَفَهُ فَيَكُونُ التَّأْوِيلُ وَالتَّفْسِيرُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ مُتَقَارِبًا أَوْ مُتَرَادِفًا وَهَذَا - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - هُوَ الَّذِي عَنَاهُ مُجَاهِدٌ أَنَّ الْعُلَمَاءَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطبري يَقُولُ فِي تَفْسِيرِهِ: الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ كَذَا وَكَذَا، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمُرَادُهُ التَّفْسِيرُ ...» [3]

ومن الواضح أنّ هذه الوجهة الجديدة للتأويل حكمت بها ظروفٌ عقدية كان من الصّعب الفكاك منها، فالمعتزلة – وهي من أكثر الفرق تأثيرًا في الفكر الديني آنئذٍ- أسّست فهمَها للنّص القرآني بِناءً على أصولها العقدية الخمسة والمتمثِّلة في: التوحيد – العدل – الوعد والوعيد- المنزلة بين المنزلتين- والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» [4].

وهذه الأصول أصبحت بالنسبة إليهم معالم ثابتة في كل تعاملٍ لهم مع النّص، يستنطقون معانيه ويرسمون آفاق دلالته، بها تقاس عقيدة المرء، ويُحكم على صحة مذهبه، إذ لا يمكن لِأحدٍ أن يُحقِّق انتماءَهُ للمذهب إلاّ وفق هذه الأصول الفكرية، بل ولا يمكن لفهم النّص أن يبلغ من الوثاقة إلاّ بقدرِ ما يُحققه من مُوالاة لِأحكام العقل وموافقة لِقوانينه، وأصبح تعاملهم مع النصوص

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن: ج6 ص: 204 .

[2] لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: دار صادر – بيروت، ط1: ج11 ص: 32

[3] مجموع الفتاوى: ج13 ص: 288-289

[4] شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار المعتزلي، ت: عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة ص: 123.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لا يتمُّ إلاّ وفق جدلية قائمة بين اللغة والعقيدة، وقد تأثّر بهم الأشاعرة وسلكوا سبيلهم في بعض ما ذهبوا إليه، وفي هذه المرحلة أصبح التأويل على صلة وثيقة بقضية المحكم والمتشابه من جهة وبالحقيقة والمجاز من جهة أخرى.

وقد أدّى هذا المنحى التّأويلي إلى عد القرآن مصدرًا رمزيًّا تستند إليه كل فرقة في دفاعها عن أفكارها وتصوراتها، حتى ظهرت في تراثنا آراء تؤكِّد قَبول النّص لكل التأويلات، ليس فقط المتقاربة بل وحتى المتناقضة منها، من ذلك ما ذكره ابن قتيبة عن "عبيد الله بن الحسن". « وقد كان ولي قضاء البصرة فتهجم من قبيح مذاهبه وشدة تناقض قوله على ما هو أولى بأن يكون تناقضا مما أنكروه، وذلك أنه كان يقول: إن القرآن يدل على الاختلاف؛ فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب، والقول بالإجبار صحيح وله أصل في الكتاب، ومن قال بهذا فهو مصيب ومن قال بهذا فهو مصيب؛ لِأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين، واحتملت معنيين متضادين، وسئل يوما عن أهل القدر وأهل الإجبار فقال كل مصيب، هؤلاء قوم عظموا الله، وهؤلاء قوم نزهوا الله، قال: وكذلك القول في الأسماء فكل من سمى الزاني مؤمنا فقد أصاب ومن سماه كافرا فقد أصاب، ومن قال: هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب، ومن قال هو منافق ليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب، ومن قال هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب، ومن قال هو كافر مشرك فقد أصاب؛ لأن القرآن قد دل على كل هذه المعاني » (1)

وتكمن خطورة هذا الاتجاه في جعل النّص تابِعًا للمتلقي « حيث تنقلب عملية التبليغ إلى اتّجاه معاكس؛ فبدل أن يتّجه المعنى من النّص إلى القارئ؛ فإنّه يتجه من القارئ المُزوّد برؤى قبلية ومعانٍ جاهزة إلى النّص الذي تنتهك بنيته التركيبية والدلالية ليفصح عن معانٍ غريبة عنه، وربّما متناقضة معه » (2)

وتداخلت هذه المفاهيم حتى أضحى من المتعذر الفصل بين: التأويل والمتشابه والمجاز، بل أصبح كُل من التأويل والمجاز وجهين لعملةٍ واحدةٍ هي: صرف النّص عن ظاهره وحمله على معنى يضمن سلامة المذهب، وما يدلّ على ذلك قول أبو حامد الغزالي: إنّ التأويل « عبارة عن احتمال يعضده

(1) تأويل مختلف الحديث: عبدا الله بن مسلم بن قتيبة، ت: محمد زهري النجار: دار الجيل –بيروت: 1972م، ص: 44-45

(2) النص القرآني ومشكل التأويل: مصطفى تاج الدين، مجلة إسلامية المعرفة إسلامية المعرفة، السنة الرابعة :العدد الرابع عشر ، ص: 19

دليل يصير به أغلب على الظّن من المعنى الذي يدلّ عليه الظّاهر، ويشبه أن يكون كلّ تأويل صرفًا للّفظ عن الحقيقة إلى المجاز » (1)

والحديث عن علاقة هذه المفاهيم بعضها ببعض يقودنا إلى الحديث عن معاني كل منها.

المطلب الثاني: قضية المحكم والمتشابه:

1- المحكم: لغةً: "حكم" الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المَنْع. وأوّل ذلك: الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْم. وسُمِّيَتْ حَكَمة الدابّة لأنها تمنعُها، يقال حَكَمْت الدابةَ وأحْكَمتها. ويقال: حكَمت السَّفيهَ وأحكمتُه، إذا أخذتَ على يديه... والحِكمة هذا قياسُها، لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكَّمتُ فلاناً تحكيماً منعتُه عمّا يريد. وحُكِّم فلانٌ في كذا، إذا جُعل أمرُه إليه. والمحكَّم: المجرِّب المنسوب إلى الحكمة » (2).

والإحكام في اللغة: المنع، وكذا سائر تراكيبه. فالحاكم يمنع الظالم من الظلم، وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب... وسميت الحكمة حكمة لأنها تمنع عما لا ينبغي » (3)

2- المتشابه لغة: الشبه ضرب من النحاس، يلقى عليه دواء فيصفر، وسمي شبها لأنه شبه بالذهب، وفي فلان شبه من فلان أي شبيهه، وتقول: شبهت هذا بهذا، وأشبه فلان فلانا، وأشبه الشيء ماثله، والمشبهات من الأمور المشكلات، تشابه الشيئان أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، وشبه فلان علي: إذا خلط واشتبه الأمر » (4)

3: المحكم والمتشابه في الاصطلاح: ذكر العلماء في ذلك وجوهًا كثيرة ذكرها السيوطي، ومنها:

1- المحكم: ما عُرف المراد منه، إمّا بالظهور وإمّا بالتأويل، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه،كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطّعة في أوائل السور.

2- المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلاّ وجهًا واحدًا، والمتشابه ما احتمل أوجُهًا.

3- المحكم ما استقلّ بنفسه، والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه إلاّ بردّه إلى غيره (5)

---

(1) المستصفى في علم الأصول: أبو حامد الغزالي، ت: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1: 1997م، ج2 ص: 49

(2) معجم مقاييس اللغة: ج2 ص: 91

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 104

(4) كتاب العين: الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال 404/3.

(5) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ص: 475-476

وتكاد تلتقي الآراء المتعددة في بيان المراد من المحكم والمتشابه في أنّ المحكم: هو ما دلّ على معناه دلالة صريحة، والمتشابه هو ما يحتاج في فهمه إلى تأويل، أي: إرجاعه إلى معنى المحكم بترجيح عقلي، وعلى هذا يكون المراد بالمحكم « ما وضح معناه، والمتشابه نقيضه »[1]

أمّا تبيان كيف أن المتشابه بهذا الإطلاق نعت كمال لجميع القرآن، فإنه من الجلي أن صوغ مادة التشابه في هذه الآية يقضى بأن الكتاب الكريم ذو أجزاء، كلها يشبه بعضها بعضا من حيث الصحة والإحكام، والبناء على الحق والصدق ومنفعته الخلق، وتناسب ألفاظه وتناسقهما في التخير والإصابة، وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت [2]

وهذه المسألة من أهم المسائل التي انصرفت إليها جهود المعتزلة واهتماماتهم، ومن الطبيعي أن تحظى هذه القضية منهم بكل هذا الاهتمام، لِأنّها الأصل الذي عليه تُبنى أفكارهم، وتقوم عقائدهم، ومن أجل ذلك فقد حاولوا الدّفاع عنها بكل ما أوتوا من قوة، توخيًّا لترويج مذهبهم.

ولا شك أنّ الخلاف القائم بين المعتزلة والأشاعرة لم يكن حول الأخذ بالتأويل وعدّه وسيلة لفهم المتشابه، بل اختلفوا في معنى المحكم والمتشابه، وما هي الآيات المحكمات وما هي الآيات المتشابهات؛ فما يعتبر من الآيات محكما عند هؤلاء، يعتبر متشابها عند أولئك، « ثم إن كل أحد من أصحاب المذاهب يدعي أن الآيات الموافقة لمذهبه محكمة، ولقول خصمه متشابهة. فالمعتزلي يقول: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] محكم، و: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] متشابه. والسُّني يقلب الأمر في ذلك. وكذا المعتزلي يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] محكم، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] متشابه، والسُّني بالعكس »[3].

وقد جعل الله تعالى الآيات المحكمات هن أم الكتاب، لإحكام عباراتها بأن حُفظت من الاحتمال والاشتباه وخلوصها من الاحتمال في المعنى والاشتباه، فهي الأصل الذي تحمل عليه المتشابهات وتُردُّ إليها »[4] ومعنى ذلك أنّ المتشابه لا يستقل بنفسه إلاّ بردّه إلى المحكم.

---

(1) المصدر نفسه: ص: 475.

(2) ينظر: الكشاف: ج4 ص: 123

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 105

(4) الكشاف: ج1 ص: 337-338

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- الاعتماد على أدلة العقل لفهم المتشابه:

العقل عند أهل الكلام ركيزة ثابتة في كل تعاملٍ لهم مع النّص، وعلى ضوئه يفهم المتشابه، وتُعرف آفاق دلالاته، دون مراعاة ما ورد عن السّلف من أقوالٍ وآراء، ومن الأمثلة الدّالة على ذلك طريقة فهمهم للصفات الإلهية؛ فـ"الاستواء " قد ورد عن السّلف بمعنى: العلو والارتفاع، وحمله المعتزلة على الاستيلاء والاقتدار، وما ذلك إلاّ لتوافق مبادئ وأصول مذهبهم الكلامي؛ إذ العقل – عندهم- قد دلّ على تنزيه الذات الإلهية عن الأماكن والجهات. وعلى هذا الأساس ينبني رفضهم لكثير من الآراء – مع صحة روايتها- يقول الجاحظ: « كان أبو إسحاق يقول: لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين، وإن نصّبوا أنفسهم للعامة، وأجابوا عن كل مسألة؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم، وليكن عندكم عكرمة، والكلبي، والسدي، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، وأبو بكر الأصم، في سبيل واحدة، فكيف أثق بتفسيرهم، وأسكن إلى صوابهم، وقد قالوا في قوله عز وجل:﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن: ١٨] إن الله عز وجل لم يعنِ بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها، بل إنما عنى الجباه، وكل ما سجد الناس عليه، من يد، ورجل، وجبهة، وأنف وثَفِنَةٍ [(1)] » [(2)]

ويسترسل الجاحظ في ذكر الأمثلة التي تبدو شاذة بمنظور المذهب الاعتزالي ومن ذلك قوله: « وقالوا في قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾ [المطففين: ١] الويل: وادٍ في جهنم ثم قَعَدُوا يصِفون ذلك الوادي ومعنى الويل في كلام العرب معروف وكيف كان في الجاهليَّة قبل الإسلام وهو من أشهر كلامهم » [(3)]

ويبدو أنّ المعتزلة لم تميز صحيح الأقوال من سقيمها، ولا سيما إذا كانت لا ترقى إلى تقرير أصولهم الفكرية والعقدية « ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم، وما تأوّلوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النّبيﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم،

---

(1) هي كلُّ ما وَلِي الأرض من كلِّ ذِي أربع إذا بَرَك أو رَبَضَ، المخصص: لابن سيده الأندلسي، ت: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط1: 1996م، ج2 ص: 155

(2) الحيوان: الجاحظ، ت:عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – 1996م: لبنان- بيروت. ج1 ص: 343

(3) المصدر نفسه: ج1 ص: 344.

وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعها رؤوسهم » [1]

ومعنى ذلك أنّ تأويل الكلام – عندهم- أصبح خاضعًا للأدلة العقلية أكثر من خضوعه لِأدلّة النّقل، وكذا اللغة والعرف المستعمل فيها « والتأويل المجازي يصبح ضرورةً لا بد منها، ولا مندوحة عنها حينما يتعارض مع هذه الأدلة سواءً أأسعفت اللغة على ذلك أم لم تسعف، وساعد المجاز على هذا أم لم يُساعد. إنّ التّعسّف في التأويل عند ذلك مغتفرٌ في سبيل العقل » [2]

5- حكمة ورود المتشابه في القرآن الكريم:

إذا كان المبدأ المفترض الذي يقوم عليه كل كلامٍ هو البيان؛ فقد ذهب بعض الطاعنين إلى القول: إذا كان القرآن الكريم قد نصّ في غير ما موضعٍ على أنّه كتاب هداية وبيان فكيف يصح أن يودعه المتشابه الذي يحتاج بدوره إلى بيان؟ مما جعل من غموض النص والتباس الدلالة فيه منفذًا تسللت منه مطاعن الأعداء للحط من شأن النص القرآني والاستدلال على انعدام الحكمة فيه فقالوا: « كيف يليق بالحكيم أن يجعل كتابه المرجوع إليه في دينه، الموضوع إلى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب، فمثبت الرؤية يتمسك بقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] ونافيها يتشبث بقوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ومثبت الجهة: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠] ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥] والنافي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] فكل منهم يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة، وربما آل الأمر في ترجيح بعضها على بعض إلى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية، وهذا لا يليق بالحكمة، مع أنه لو جُعل كله ظاهراً جلياً خالصاً عن المتشابه نفياً كان أقرب إلى حصول الغرض » [3].

ولا يكاد يخلو كلام أصحاب المذاهب الكلامية من الإشارة إلى الغايات التي من أجلها جعل الله – عز وجلّ- بعض القرآن مُحكمًا وبعضه الآخر متشابهًا. وعلى هذا الأساس كان عمل المتكلمين يرمي إلى إبراز وجه الحكمة في أن جعل الله بعض خطابه محكمًا، وبعضه الآخر مُتشابهًا، وبيّن القاضي عبد الجبار المعتزلي [4] بعض وجوه الحكمة في ذلك فقال: « أحد الوجوه: أنّه – تعالى- لمّا

---

[1] مجموع الفتاوى: ج7 ص: 119

[2] التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى القرن السادس الهجري: وليد قصّاب، دار الثقافة- الدوحة- 1985م، ص: 357

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان مج2 ص: 106

[4] هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله القاضي أبو الحسن الهمذاني الأسد أبادي، وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على سواه ولا يعنون به عند الإطلاق غيره، كان إمام أهل الاعتزال في زمانه وكان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أن كلّفنا النّظر وحثّنا عليه، ونهانا عن التقليد ومنعنا منه جعل القرآن بعضه محكمًا وبعضه متشابهًا ليكون ذلك داعيًّا لنا إلى البحث والنّظر، وصارفًا عن الجهل والتقليد. والثاني: أنّه جعل القرآن على هذا الوجه ليكون تكليفنا به أشق ويكون في باب الثواب أدخل، وذلك شائعٌ. والثالث: أنّه — تعالى- أراد أن يكون القرآن في أعلى طبقات الفصاحة ليكون علمًا دالاًّ على صدق النّبي ﷺ وعلم أنّ ذلك لا يتم بالحقائق المجرّدة، وأنّه لا بُدّ من سلوك طريقة التجوز والاستعارة؛ فسلك تلك الطريقة ليكون أشبه بطريقة العرب وأدخل في الإعجاز »[1]

ولا يبعد عن هذا الكلام ما أورده الزمخشري في معرض حديثه عن مسألة المحكم والمتشابه إذ قال: « في أنه لِمَ جعل بعض القرآن محكماً وبعضه متشابهاً. فهلاَّ كان القرآن كُلُّه محكما؟ قلت: لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمّل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة اللّٰه وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند اللّٰه، ولأنّ المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام اللّٰه ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره؛ ففتح اللّٰه عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده، وقوّة في إيقانه »[2] .

وقد ارتكزت مسالك المتكلمين في دحض حجج الطاعنين على قاعدتين: الأولى: عقدية تستمد من أصول الاعتقاد التي وضعوها الحجة والبرهان، والثانية: بلاغية تستمد شرعيتها من نزول القرآن على أساليب العرب وطرائقهم في التعبير.

والمتشابه — في فكرهم- يُعد لونًا من ألوان المحن التي يمتحن بها الله — عز وجل- عباده. ويسّر لهم سبيل إدراكه بما أودعه فيهم من عقلٍ، لذلك فهو أسمى من أن يكون تعميةً وإلغازًا؛ وإنّما هو درجة عالية من البيان؛ فالله عز وجل يقول:﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] ويقول: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وهذا يحمل النّاس على التدبر والتفكير واستنباط الآليات

ينتحل مذهب الشافعي في الفروع، وله التصانيف السائرة والذكر الشائع بين الأصوليين، توفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة بالري ودفن في داره. طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين السبكي، ت: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ط2: 1413هـ، ج5 ص: 97.

[1] شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار، ت: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة- ص: 600.

[2] الكشاف: ج1 ص: 338

التي تيسر لهم إدراك المعاني « ولو كان القرآن كُلُّه ظاهرًا مكشوفًا حتّى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين النّاس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر، ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة » (1)

وقد أشار النيسابوري – معتمدًا على ما ذكره الرازي- إلى بعض الوجوه التي من أجلها كان بعض القرآن محكمًا، وبعضه الآخر متشابهًا فقال:

1- لو كان كله محكماً كان مطابقاً لمذهب واحد فقط فكان ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به، وإذا كان مشتملاً على القسمين فحينئذٍ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم معانيه، وبعد الفحص والاستكشاف، صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، يتخلّص المبطل عن باطله ويصل إلى الحق .

2- إذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بالدلائل العقلية، فيتخلص من ظلمة التقليد إلى ضياء البينة والاستدلال والطمأنينة، وافتقر أيضاً إلى تحصيل علوم آخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه وأصول الكلام إلى غير ذلك، ولما في المتشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه.

3- وههنا سبب أقوى وهو أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام، وطباع العامة تنبو في الأغلب عن إدراك الحقائق، فمن سمع منهم في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه، مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح، فالأول وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر من باب المتشابهات، والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل المحكمات » (2)

وقد اعترض محمد رشيد رضا (3) على ما ذهب إليه الرازي ومن سلك طريقه قائلاً: « أَقُولُ: إِنَّهُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ نَيِّرٍ، وَلَمْ يُحْسِنْ بَيَانَ مَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ، وَأَسْخَفُ هَذِهِ الْوُجُوهِ وَأَشَدُّهَا تَشَوُّهًا الثَّانِي وَلَا أَدْرِي كَيْفَ أَجَازَ لَهُ عَقْلُهُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ بِالْمُتَشَابِهَاتِ لِيَسْتَمِيلَ

(1) تأويل مشكل القرآن: ص: 58

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 107-106 ، التفسير الكبير ج7 ص: 149

(3) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة " المنار" وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب، والتاريخ ، والتفسير. ولد ونشأ في القلمون " من أعمال طرابلس الشام " وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـــ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ على يديه، (ت:1354هـــ) أشهر آثاره: مجلة "المنار" و "تفسير القرآن الكريم " ينظر: الأعلام: ج6 ص: 126–

أَهْلَ الْمَذَاهِبِ إِلَى النَّظَرِ فِيهِ وَأَنَّ هَذَا طَرِيقٌ إِلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ كَانَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ عِنْدَ نُزُولِهِ ؟ وَمَنِ اهْتَدَى مِنْ أَهْلِهَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ؟ وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا مَا قَالَهُ فِي بَيَانِ السَّبَبِ الْأَقْوَى مِنْ دَعْوَةِ الْعَوَامِّ إِلَى الْمُتَشَابِهِ أَوَّلًا »[1]

ويذكر مقابل ذلك بعض الوجوه التي يراها مُناسبة لوجه الحكمة في ورود المتشابه في القرآن الكريم فيقول:

1- إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الْمُتَشَابِهَ لِيَمْتَحِنَ قُلُوبَنَا فِي التَّصْدِيقِ بِهِ ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ مَعْقُولًا وَاضِحًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْأَذْكِيَاءِ وَلَا مِنَ الْبُلَدَاءِ لَمَا كَانَ فِي الْإِيمَانِ شَيْءٌ مِنْ مَعْنَى الْخُضُوعِ لِأَمْرِ اللهِ – تَعَالَى – وَالتَّسْلِيمِ لِرُسُلِهِ .

2- جَعَلَ اللهُ الْمُتَشَابِهَ فِي الْقُرْآنِ حَافِزًا لِعَقْلِ الْمُؤْمِنِ إِلَى النَّظَرِ كَيْلَا يَضْعُفَ فَيَمُوتَ فَإِنَّ السَّهْلَ الْجَلِيَّ جِدًّا لَا عَمَلَ لِلْعَقْلِ فِيهِ، وَالدِّينُ أَعَزُّ شَيْءٍ عَلَى الْإِنْسَانِ، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَالًا لِلْبَحْثِ يَمُوتُ فِيهِ، وَإِذَا مَاتَ فِيهِ لَا يَكُونُ حَيًّا بِغَيْرِهِ، فَالْعَقْلُ شَيْءٌ وَاحِدٌ إِذَا قَوِيَ فِي شَيْءٍ قَوِيَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَإِذَا ضَعُفَ ضَعُفَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلِذَلِكَ قَالَ : وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَلَمْ يَقُلْ: وَالرَّاسِخُونَ فِي الدِّينِ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ ، فَمِنْ رَحْمَتِهِ – تَعَالَى – أَنْ جَعَلَ فِي الدِّينِ مَجَالًا لِبَحْثِ الْعَقْلِ بِمَا أَوْدَعَ فِيهِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ ، فَهُوَ يَبْحَثُ أَوَّلًا فِي تَمْيِيزِ الْمُتَشَابِهِ مِنْ غَيْرِهِ وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْبَحْثَ فِي الْأَدِلَّةِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَطُرُقِ الْخِطَابِ وَوُجُوهِ الدَّلَالَةِ لِيَصِلَ إِلَى فَهْمِهِ وَيَهْتَدِيَ إِلَى تَأْوِيلِهِ. وَهَذَا الْوَجْهُ لَا يَأْتِي إِلَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ عَطَفَ وَالرَّاسِخُونَ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ، وَلْيَكُنْ كَذَلِكَ »[2].

وإلى ذلك ذهب ابن تيمية حين قال: « واللهُ ورسولُه إنما ذمَّ من اتّبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله؛ فأمّا من تدبّر المحكم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم يذمه الله بل أمر بذلك ومدح عليه »[3]

3- إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ بُعِثُوا إِلَى جَمِيعِ الْأَصْنَافِ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ وَخَاصَّتِهِمْ سَوَاءٌ كَانَتْ بَعْثَتُهُمْ لِأَقْوَامِهِمْ خَاصَّةً كَالْأَنْبِيَاءِ السَّالِفِينَ – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ – أَوْ لِجَمِيعِ الْبَشَرِ كَنَبِيِّنَا ﷺ فَإِذَا كَانَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى الدِّينِ مُوَجَّهَةً إِلَى الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ وَالذَّكِيِّ وَالْبَلِيدِ وَالْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ ، وَكَانَ مِنَ الْمَعَانِي مَا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ تَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَتَشْرَحُ كُنْهَهُ بِحَيْثُ يَفْهَمُهُ كُلُّ مُخَاطَبٍ عَامِّيًّا كَانَ أَوْ خَاصِّيًّا، أَلَّا يَكُونَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْعَالِيَةِ وَالْحِكَمِ الدَّقِيقَةِ مَا يَفْهَمُهُ الْخَاصَّةُ وَلَوْ بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ وَالتَّعْرِيضِ

---

[1] تفسير القرآن الحكيم " تفسير المنار": ج3 ص: 141

[2] المصدر السابق: ج3 ص: 142

[3] مجموع الفتاوى: ج13 ص: 275

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَيُؤْمَرُ الْعَامَّةُ بِتَفْوِيضِ الْأَمْرِ فِيهِ إِلَى اللهِ – تَعَالَى – وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّ الْمُحْكَمِ فَيَكُونُ لِكُلٍّ نَصِيبُهُ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ » [1]

المطلب الثالث: قضية الحقيقة والمجاز:

تُعدّ قضيتا الحقيقة والمجاز، من أكثر القضايا التي حظيت باهتمام الباحثين في إعجاز القرآن، لارتباطها بمسألة ذات الله وصفاته وقدم الكلام وحدوثه من جهة، وارتباط البحث فيها بالموروث من كلام العرب وطرائقها في التعبير من جهة أخرى، وقبل الحديث عن الخلاف الذي أثارته هذه الثنائية بين العلماء، يحسن بناء أن نقدم تعريفا لمفهومي الحقيقة والمجاز.

1–الحقيقة: **لغةً**: قال ابن فارس: "حق" الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته، فالحق نقيض الباطل، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق، ويقال: حق الشيء : وجب ...» [2] . ومنه قوله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾ [يونس: ٣٣]

2–الحقيقة في الاصطلاح: للعلماء في ذلك أقوالٌ متعددة أهمها:

أنها: « اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا » [3]، ومنها: « أنها ما أفيد بها ما وضعت له، في أصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به » [4] ، ومنها: « أنها كل لفظ يبقي على موضوعه » [5].

هذه أهم التعريفات التي ذكرها الأصوليون لتعريف الحقيقة، وهي متقاربة، متحدة في أصل المعنى والمراد وإن اختلفت في الألفاظ: « أنها اللفظ المستعمل فيما وضع له » .

3–المجاز: **لغةً:** قال ابن فارس: « جوز: الجيم والواو والزاي أصلان، أحدهما: قطع الشيء، والآخر: وسط الشيء، فأما الوسط: فجوز كل شيء وسطه...

والأصل الآخر: جزت الموضع: سرت فيه، وأجزته: خلفته، وقطعته، وأجزته: نفذته... » [6]

---

[1] تفسير المنار: ج3 ص: 143

[2] معجم مقاييس اللغة: ج2 ص: 15

[3] الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، ت: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 1404هـ، ج1 ص: 52

[4] المعتمد: لأبي الحسين البصري ، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/1 ، 1403هـ، ج1 ص: 17

[5] التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1: 1405هـ، ص: 121

[6] معجم مقاييس اللغة: ج1 ص: 494

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- المجاز في الاصطلاح: كما تعددت عبارات الأصوليين في المراد بالحقيقة، فقد تعددت كذلك عباراتهم في تعريف المجاز- وإن كان المعنى واحدًا- ومن أهمها:

1- أن المجاز ما كان بضد الحقيقة، وقال صاحب المعتمد بأنّه: « ما أفيد به غير ما وضع له » (1)

2- يكشف عبد القاهر عن العلاقة بين اللغة والاصطلاح، في اشتقاق لفظ المجاز فيقول: « جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا » (2)

فإذا دلّ اللفظ على معناه الذي وُضع له في الأصل فهو المراد بالحقيقة، وإذا دلّ على غير معناه الأصلي فهو المراد بالمجاز. والحقيقة لها موضعها الذي تستعمل فيه، والمجاز له موضعه الذي يستعمل فيه، وكلاهما في موضعه بليغ، وكلاهما في غير موضعه خارج عن البلاغة.

وإذا كانت هذه المفاهيم لم تتبلور على الصعيد الاصطلاحي، إلاّ أنّ ترددها في كلام العرب وأساليبهم كفيلٌ بأن يعطي فكرة ضافية عن المقصود منها، ولا يخفى أنّ هذه المسميات إنّما نشأت في بيئة المتكلمين والمعتزلة على وجه الخصوص، وقد اختلف أهل المذاهب منذ فترة مُبكّرة حول قضية المجاز « وكانت بداية الخلاف والجدل- على ما يظهر- حول تلك الآيات التي وردت فيها الصور المجازية التي توهم المشابهة بين الله ومخلوقاته؛ فمنهم من حملها على ظاهرها، وعدّها من باب الحقيقة، ومنهم من صرفها عن وجهها، وأوّلها عن ظاهرها؛ فكانت عنده من باب المجاز » (3)

ولم يكن الخلاف قائمًا حول أهمية المجاز وبيان قيمته، وتحديد نواحي إجرائه فحسب، بل امتدّ الخلاف بين العلماء إلى القول برفض فكرة المجاز من أصلها مثل: الظاهرية، ووافقهم على ذلك بعض السّلف: كابن تيمية، وتلميذه ابن القيم... وغيرهما، وحجتهم في ذلك قائمة على ما يلي:

1-أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز لم يقع إلا في كلام المتأخرين، فهو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة، ولم يتكلم في ذلك أحد من الصحابة والتابعين، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم من أئمة المذاهب، وغيرهم، بل ولا تكلم فيه أئمة اللغة والنحو المعتبرون.

2- إنّ الذين أطلقوا كلمة المجاز من علماء السلف لم يعنوا بها ما هو قسيم الحقيقة، فأوّل من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز "أبو عبيدة معمر بن المثنى" في كتابه "مجاز القرآن" ، ولكنه لم يعن بالمجاز ما

---

(1) المعتمد: ج1 ص: 12

(2) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي-القاهرة- ط1: 1991م، ص: 395

(3) التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ص: 337.

يقابل الحقيقة وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية. وقال الإمام أحمد في كتابه "الرد على الجهمية" في قوله تعالى "إنا" و"نحن" ونحو ذلك في القرآن، هذا من مجاز اللغة ومراده رحمه الله بذلك: أن هذا مما يجوز استعماله في اللغة، و لم يرد أنه مستعمل في غير ما وضع له » [1]

3- أن الذين قالوا بالتقسيم مطالبون بالدليل لكون الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان، ثم بعد ذلك استعملت فيها، ثم تُجُوِّزَ بها عن ما وضعت له، ولن يستطيعوا ذلك، لأنه ليس بإمكان أحد أن ينقل عن العرب أنه اجتمع جماعة، فوضعوا جميع الأسماء الموجودة في اللغة، ثم استعملوها بعد الوضع، وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال العرب هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني، وأي دعوى خلاف ذلك فليست صحيحة لعدم نقلها إلينا [2].

4- أنّ التعريفات التي عرفوا بها كلا من الحقيقة والمجاز لم تخل من مناقشة، وذلك أنهم عرفوا الحقيقة "باللفظ المستعمل في موضوعه"، والمجاز "ما استعمل في غير موضوعه"، وهذا يحتاج إلى إثبات الوضع السابق على الاستعمال وهو متعذر)) [3].

أمّا مُثبتي المجاز في اللغة وفي القرآن فقد كانت لهم- أيضًا- حُججُهم في ذلك منها:

1- أن الاسم في لغة العرب منقسم إلى الحقيقة والمجاز، وهذا التقسيم معتبر عند علماء العربية، ومشتهر في استعمالات العرب، والقرآن هو أصل اللغة، ومعينها، فمحال أن يأتي بخلاف ما عليه أهل اللسان العربي، من تقسيم الاسم إلى حقيقة ومجاز [4].

2- أن الأمثلة على وقوع المجاز في القرآن وغيره كثيرة جدا، وهي أشهر من أن تنكر « وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذب. لِأنّ الجدار لا يريد، والقرية لا تسأل... ولو كان المجاز كذبًا، وكلّ فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلا، كان أكثر كلامنا فاسدًا، لِأنّا نقول: نبت البقل، وطالت الشّجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السّعر. وتقول: كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا، والفعل لم يكن وإنما كوّن.وتقول:كان اللّه. وكان: بمعنى حدث، واللّه- جل وعز: قبل كل شيء بلا غاية، لم يحدث: فيكون بعد أن لم يكن.

---

[1] مجموع الفتاوى: ج7 ص: 88، ج20 ص: 403-404.

[2] ينظر: المصدر نفسه: ج7 ص: 90-91.

[3] المصدر نفسه: ج7 ص: 90 .

[4] ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ج1 ص: 47

والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [محمد: ٢١] وإنما يعزم عليه، ويقول تعالى:﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٦] وإنما يربح فيه، ويقول: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾ [يوسف: ١٨] وإنما كذّب به. ولو قلنا للمنكر لقوله:﴿جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]كيف كنت أنت قائلا في جدار رأيته على شفا انهيار: رأيت جدارا ماذا ؟ لم يجد بدّا من أن يقول: جدارا يهمّ أن ينقضّ، أو يكاد أن ينقضّ، أو يقارب أن ينقضّ. وأيّا ما قال فقد جعله فاعلا، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من لغات العجم إلاّ بمثل هذه الألفاظ » [1]

وقال عبد القاهر الجرجاني: « ومن قدح في المجاز، وهَمّ أن يصفه بغير الصِّدق، فقد خبط خبْطًا عظيمًا، ويهرف بما لا يخفى » [2]

ويقول السيوطي: « وعُمْدَتنا في ذلك النقلُ المتواتر عن العرب لأنهم يقولون: استوى فلان على مَتنْ الطريق، ولا مَتْنَ لها، وفلان على جناح السفر، ولا جناح للسفر، وشابَتْ لَمَّةُ الليل، وقامت الحَرْبُ على ساق. وهذه كلُّها مجازات ومنكُر المجاز في اللغة جاحدٌ للضرورة ومبطل محاسن لغة العرب » [3]

وقال في موضعٍ آخر: « وقد أنكر قومٌ وقوع المجاز في القرآن الكريم، وشبهتهم: أنّ المجاز أخو الكذب، والقرآن مُنَزّهٌ عنه، وأنّ المتكلم لا يعدل إليه إلاّ إذا ضاقت به الحقيقة، فيستعير؛ وذلك مُحالٌ على الله تعالى. وهذه شبهة باطلةٌ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن؛ فقد اتفق البلغاء على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خُلُوّه من الحذف والتوكيد، وتثنية القصص وغيرها » [4]

ولعلّ القول بوجود المجاز في القرآن كان نابِعًا – بالدرجة الأولى- من قناعتهم بأنّ النص القرآني لم يفارق حدود الإطار الذي تميزت به ثقافة العرب، إذ نزل على طرائقهم في الخطاب. ولكنّ خروج المجاز عن الغايات التي نشأ من أجلها، وتحوّله إلى وسيلة لخدمة البدع والعقائد كان السّبب الأكبر في القول بإنكار المجاز يقول ابن تيمية: « عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السّبب؛ فإنّهم صاروا يحملون كلام

---

(1) تأويل مشكل القرآن: ص: 132-133.

(2) أسرار البلاغة: ص: 391

(3) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ج1 ص: 289

(4) الإتقان في علوم القرآن: ص: 552.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الله ورسوله على ما يدّعون أنّه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك، ويجعلون هذه الأدلة حقيقة وهذه مجازًا »[1]

هذا وقد حذّر العلماء من الانسياق وراء المجاز- كما يفعل المعتزلة- لِأنّه مدعاةٌ للخلاف الشديد يقول ابن قتيبة: « وأما المجاز فمن جهته غلط كثيرٌ من النّاس في التأويل، وتشعّبت بهم الطرق، واختلفت النِّحل »[2]

ومما لا شك فيه أنّ ثُنائية الحقيقة والمجاز لم تكن لتكتسب هذه الأهمية في الثقافة العربية الإسلامية، لولا تعلقها بذلك الخلاف المذهبي الدائر بين الفرق الكلامية حول مسألة الذات الإلهية والصّفات، وبعض القضايا الأخرى المتعلّقة بفهم النّص، ولعل من أهم الأسباب التي جعلت المعتزلة -وتبعهم في ذلك الأشاعرة - تنتصر لمبدأ المجاز وتدافع عنه، ما وجدوه في القرآن من آيات يوحي ظاهرها بالتجسيم والتشبيه. فكان المجاز وسيلتهم، لتأويل هذه الآيات، حتى لا تتسرب فكرة التجسيم إلى عقيدة التوحيد — بمفهوميها الاعتزالي والأشعري- فأوّلوا اليد بمعنى: النعمة أو القوة، والعين بمعنى: العلم، والوجه بمعنى: الذات أو النفس، والاستواء بمعنى الاستيلاء، والغلبة واليمين بمعنى: القدرة .[3]

ولَمَّا كان السّبب في تفوق العرب في الفن القولي؛ إنَّما يرجع لِما في كلامهم من كنايات واستعارات ومجازات، ولَمّا كان الكلام يبعد عن الفصاحة والبلاغة إذا جرى كله على الحقيقة، لما في الحقيقة وحدها من قصور عن التبليغ، ولما للمجاز من طاقة في حسن التعبير، فقد اعتبر المعتزلة أن « أكثر اللغة جار على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة »[4]

إنّ موقف المعتزلة والأشاعرة من ثنائية الحقيقة والمجاز ما هو إلاّ انعكاسٌ لِخلاف مذهبي في فهم القرآن وتأويله. ومن أبرز خصائص الدرس البلاغي عند المتكلمين —والمعتزلة خصوصًا- أنّهم توسّعوا في استعمال المجاز العقلي، أو المجاز الإسنادي، وهو الذي يتعلّق بإسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي

(1) مجموع الفتاوى: ج7 ص: 116

(2) تأويل مشكل القرآن: ص: 103

(3) ينظر: الخصائص: ج3 ص: 245-249، وينظر: أساس التقديس: فخر الدين الرازي، ت: أحمد حجازي السّقا، مكتبة الكليات الأزهرية — القاهرة- 1986م، ص: 151-172

(4) الخصائص: ج3 ص: 247

وحدّه – كما يقول الجرجاني- « أنّ كل جملة أخرجتَ الحكم المُفاد بها عن موضعه من العقل لِضربٍ من التّأوّل، فهي مجاز »(1)

واتخذوه سلاحًا لتأويل الآيات المتشابهات التي تشعر بالجبر والإرغام، أو تنسب إلى الله – عز وجل- ما ليس من شأنه، أو كإثبات الفعل لِغير المستحق كقولنا: "شفى الطبيب المريض أو أنبت الربيع البقل " فقد أُسند إلى المخلوق أفعالاً اختصّ بها الخالق وحده. وقد ذكر الجاحظ نماذج من ذلك فقال: « وكره "مالك بن أنس" أن يقولَ الرجُلُ للغيم والسحابة: ما أخلقها للمطر، وهذا كلام مجازه قائم، وقد كرهه ابن أنس؛ كأنّهم من خوفهم عليهم العودَ في شيءٍ من أمر الجاهليّة احتاطوا في أمورهم، فمنعوهم من الكلام الذي فيه أدنى متعلّق... وكره ابن عمرﷺ قول القائل: أسلمت في كذا وكذا وقال: ليس الإسلام إلاّ لِلّه عزّ وجلّ، وهذا الكلام مجازُه عند الناس سهل، وقد كرهه ابنُ عمر وهو أعلم بذلك »(2)

والذي يمكن أن نصل إليه من خلال ذلك هو أنّ المعتزلة قد أثبتوا وجود المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم على نحو خاص لهدف عقدي آسِر، غايته عدم حمل الآيات المتشابهات على ظاهرها المؤدي إلى القول بالتشبيه والتجسيم، وهم في تأويلاتهم المجازية « يُلِحّون على الجانب العقلي، ويهتمون به اهتمامًا شديدًا، وقد تُعارض لغة النص الذي بين أيديهم تلك المبادئ والأحكام العقلية التي آمنوا بها، وعندئذٍ فإنّ الحكم الفيصل في الموضوع هو العقل، ولا بُدّ من حمل الكلام على تأويلات مجازية تُظاهر العقل وتتفق مع أحكامه »(3)

ولم يكن هذا الانتظام مقصورًا على المعتزلة فحسب، إنّما هو انتظام متفشٍّ عند كل الفرق الكلامية المتغايرة في نسقها العقدي، لذلك يُقسِّم عبد القاهر الجرجاني المجاز إلى قسمين: عقلي ولغوي، وكان هدفه عقديًّا خالصًا تبلور على وفق أشعريته، إذ إنّ إسناد بعض الأفعال لغير الله يؤرّق الجرجاني الأشعري حتمًا؛ فعندما نقول: أهلكني الدهر؛ فإنّ هذا التركيب لا يتعدّى أن يكون مجازًا عقليًّا؛ لِأنّ الدهر لا يُهلك، إنّما الذي يُهلك هو الله سبحانه، فإذا لم نقل: إنّ هذا المجاز مجازٌ عقليٌّ سنتيح الفرصة للدهر أن يكون هو المهلك فعلاً، ولا سيما أنّ هذا الافتراض يلقى القَبول عند غير المؤمنين بالله تعالى، إذ يرون أنّ الدهر هو الذي يُهلك... وثمة أفعالٌ هي لله حسب، من مثل:

---

(1) أسرار البلاغة: ص: 385

(2) الحيوان: ج1 ص: 341

(3) التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ص: 356، والبلاغة عند المفسرين ص: 221

الإماتة والإحياء والإنبات، الأمر الذي يجعل إسنادها لغير الله تعالى من باب المجاز العقلي، أما المجاز اللغوي: هو نقل اللفظ عن معناه الوضعي إلى معنى جديد تربط بينهما علاقةٌ ما. لِأجل هذا كان التقسيم المجازي عند الجرجاني الأشعري مؤسَّسًا – بالضرورة– على تصور عقيدي خالص [1]

وعلى الرغم من أنّ المعتزلة كانوا يحتجون – كما رأينا – بالعقل أوّلاً في إقرار المعنى أو رفضه، ويرون في مخالفة هذا المعنى للأدلة العقلية ضرورة تحتم أن يصرف عن وجهه، وتلتمس له التأويلات المجازية المختلفة، فإنّ هذا لا يعني أنّهم كانوا يوردون هذه التأويلات دون سندٍ لغوي أو دعمٍ من النّصوص والأمثلة، بل كانوا يحرصون دائمًا على الرجوع إلى لغة العرب، والشعر القديم للاستشهاد به فيما يسوقون من وجوه التأويل، وكانوا يشعرون باستمرار أنّ تأويلاتهم المجازية لا يمكن أن تُقنع، أو تكتسب صفة الشرعية ما لم تستند إلى أساس لغوي مكين [2]

المبحث الثاني: اللغة ومسائل العقيدة في تفسير النيسابوري.

تُعدّ اللغة الأداة الثانية التي اعتمدها المعتزلة في التأويل لخدمة أصولهم الفكرية، وإبعاد كل ما يوهم التناقض والاختلاف في القرآن، أو التشبيه الذي يعارض مبادئ المعتزلة في التوحيد، وهذا ناتج عن موقفهم من ثنائية الحقيقة والمجاز، فأكثر اللغة جار على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة، وكذلك لغة القرآن، لأنه نزل بلسان العرب وعلى سننها في القول والتعبير. وقد سار الأشاعرة– في بعض آرائهم– على هذا النّهج، ويتجلى تعامل المتكلمين مع اللغة من خلال ما يلي:

المطلب الأول: تطويع الأساليب البلاغية لخدمة المعتقد:

وهذا باب مشهور عند المعتزلة وتبعهم في ذلك الأشاعرة، وتمكنوا من خلاله من التحكم في دلالات النصوص الشرعية، وتوجيهها حسب الأصول الفكرية بداعي: المجاز والاستعارة والتشبيه والمبالغة... ولا أدلّ على هذا من صنيع ابن جني، حيث أفرد بابًا في كتابه " الخصائص" بعنوان: « باب فيما يُؤمِّنه علم العربية من المعتقدات الدينية » وقال في ذلك: « اعلم أنّ هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب » [3] ثم قال: « وطريق ذلك أنّ أكثر هذه اللغة جارٍ على المجاز » [4] وذكر تحت هذا الباب مجموعة من الآيات والأحاديث المشتملة على الصّفات وأعمل فيها المجاز.

---

(1) ينظر: البحث الدلالي عند المعتزلة: رسالة ماجستير – علي حاتم الحسن، ، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، 1999م ص: 29.

(2) التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة ص: 369.

(3) الخصائص: ج3 ص: 245

(4) المصدر نفسه: ج3 ص: 247

وتحدّث الزمخشري عن الاستعارة التخييلية قائلاً: « ولا ترى بابًا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب » (1)

ولقد كان استخدام الزّمخشري للمجاز وألوان الصّور البلاغية المختلفة في تأويل المتشابهات واضحًا « ولعلّ سبب ذلك أنّ الزّمخشري كان مبدؤه العام أنّ إظهار إعجاز القرآن، وإبراز ما فيه من روعة النّظم وبراعة التأليف؛ إنّما يتأتّى عن طريق استخدام علمي المعاني والبيان في ذلك، ولذلك راح يُطبّقُ فنون البلاغة المختلفة في تفسيره لِآيات القرآن الكريم، ومن جملة ذلك ما تشابه منها، وبذلك كان ظهـــور اللون المجازي والصور البلاغية المختلفة أكثر وُضوحًا عنده من الآخرين » (2)

وقد قسّم الرمّاني ـالبلاغة إلى عشرة أقسام في كتابه " النكت في إعجاز القرآن" ممثلاً لذلك بجملة من الآيات القرآنية، وجعل من تلك الأقسام: المبالغة؛ فقسّمها إلى ثلاثة أضربٍ، ثمّ قال: الضرب الثاني: المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١] وكقول القائل: أتاني الناس، ولعلّه لا يكون أتاه إلاّ خمسة فاستكثرهم وبالغ في العبارة عنهم » ثم قال: الضرب الثالث: إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة كقول القائل: جاء الملِك: إذا جاء جيشٌ عظيمٌ له، ومنها قوله عز وجلّ: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢] فجعل مجيء دلائل الآيات مجيئًا له على المبالغة في الكلام، ومنه: ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل: ٢٦] أي: أتاهم بعظيم بأسه؛ فجعل ذلك إتيانًا له على المبالغة ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] (3)

وعلى هذا المنوال سار أئمة الأشاعرة- في تأويل الصفات- فقالوا - بعد تعريفهم للإيهام - بأنّ أكثر المتشابهات من هذا الجنس (4)

---

(1) الكشاف: ج4 ص: 143

(2) التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة: ص: 309

(3) ينظر: النكت في إعجاز القرآن: الرماني، مكتبة الجامعة الملية الإسلامية-دهلي- 1934م، ص:25

(4) ينظر على سبيل المثال: الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني : دار إحياء العلوم – بيروت الطبعة الرابعة ، 1998م ص: 332.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولقد كانت كتب التفسير ميدانًا خصبًا لِإجراء الأساليب البلاغية وتطويعها لخدمة الأصول الفكرية والمذهبية، ولعلّ تفسير الزمخشري من أكثر التفاسير دلالة على ذلك، حتى قال عنه البلقيني[1]: ((استخرجت منه اعتزالاً بالمناقيش؛ من قوله في تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وأيُّ فوزٍ أعظم من دخول الجنة؟ أشار به إلى عدم الرؤية)) [2]

وتنبّه ابن خلدون إلى هذه القضية فقال: ((وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه، حتى ظهر جار الله الزمخشري، ووضع كتابه في التفسير، وتتبّع آي القرآن بإحكام هذا الفن، بما يبدي البعض من إعجازه؛ فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير، لولا أنّه يؤيّد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة)) [3]

ولم يبتعد النّيسابوري في تفسيره عمّا قال به المتكلّمون في غالب الأحيان، مُعتمِدًا على أساليب العرب وطرائقهم في التعبير، واتكأ على ذلك في تعامله مع بعض الصفات الإلهية المشعرة بالتشبيه والتجسيم، ومن ذلك تخريجه لِصفة " المجيء" في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠] وذهب إلى ((أنه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل، فقيل: جعل مجيء الآيات مجيئاً له تفخيماً لها كما يقال: "جاء الملك" إذا جاء جيش عظيم من جهته. وقيل: المراد إتيان أمره وبأسه؛ فحذف المضاف، بدليل قوله في موضع آخر:﴿ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ٣٣]... وقيل: المأتي به محذوف، والمعنى: "إلا أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته الدالة عليه"...وفائدة الحذف كونه أبلغ في الوعيد؛ لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه. وقيل: إنّ "في" بمعنى "الباء" أي: "يأتيهم الله بِظُلل من الغمام" والمراد: العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة. وقيل: الغرض من ذكر إتيان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله تعالى:﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] ولا قبض ولا طي ولا يمين، وإنما الغرض تصوير عظمة شأنه)) [4].

---

[1] عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد في بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولي قضاء الشام سنة 769 هـــ وتوفي بالقاهرة سنة 805هـــ. من كتبه " التدريب في فقه الشافعية" و " تصحيح المنهاج " و " الملمات برد المهمات " و " محاسن الاصطلاح " ينظر: الأعلام ج5 ص: 46

[2] الإتقان في علوم القرآن: ص: 884

[3] مقدمة ابن خلدون:، ص: 507

[4] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1ص: 579-580

وكان التعامل مع الصفات الإلهية على هذا النحو قد فتح باب الجدل الفكري وكذا اللغوي على مصراعيه، خاصة وأنّ معظم التخريجات اللغوية والبلاغية لم تشفع لهم بسلامة الرأي وصحة المذهب، ففي الآية السابقة –مثلاً– « أَوَّلُوا الْمَجِيءَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بِالْمَجَازِ فَقَالُوا: يَجِيءُ أَمْرُهُ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ٣٣] فَقَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] فَقَالُوا: هُوَ مِنْ مَجَازِ الْحَذْفِ، وَالتَّقْدِيرُ يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدِ اتَّضَحَ ذَلِكَ غَايَةَ الِاتِّضَاحِ أَنَّ مَجِيءَ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ مَجِيءِ أَمْرِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَأَنَّهُ يَجِيءُ حَقِيقَةً، وَمَجِيءُ أَمْرِهِ حَقِيقَةٌ، وَمَجِيءُ مَلَائِكَتِهِ حَقِيقَةٌ، وَقَدْ فَصَلَ تَعَالَى ذَلِكَ وَقَسَّمَهُ وَنَوَّعَهُ تَنْوِيعًا يَمْتَنِعُ مَعَهُ الْحَمْلُ عَلَى الْمَجَازِ، فَذَكَرَ تَعَالَى فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ مَجِيئَهُ، وَمَجِيءَ الْمَلَائِكَةِ، وَكَذَا فِي آيَةِ الْفَجْرِ، وَذَكَرَ فِي النَّحْلِ مَجِيءَ مَلَائِكَتِهِ وَمَجِيءَ أَمْرِهِ، وَذَكَرَ فِي آيَةِ الْأَنْعَامِ إِتْيَانَهُ وَإِتْيَانَ مَلَائِكَتِهِ وَإِتْيَانَ بَعْضِ آيَاتِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَمْرِهِ. ثُمَّ يُقَالُ: مَا الَّذِي يَخُصُّ إِتْيَانَ أَمْرِهِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ أَلَيْسَ أَمْرُهُ آتِيًا فِي كُلِّ وَقْتٍ، مُتَنَزِّلًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِتَدْبِيرِ أُمُورِ خَلْقِهِ فِي كُلِّ نَفَسٍ وَلَحْظَةٍ: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٩] » [1]

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾** ﴾ [آل عمران: ٧٧] قال في الكشاف [2]: وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه وَلا يُزَكِّيهِمْ ولا يثنى عليهم. فإن قلت: أيّ فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه؟ قلت: أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية، لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر.

وفي التفسير الكبير[3]: لا يجوز أن يكون المراد من هذا النظر الرؤية، لِأنّه تعالى يراهم كما يرى غيرهم، ولا يجوز أن يكون المراد من النظر تقليب الحدقة إلى جانب المرئي، التماساً لرؤيته؛ لِأنّ هذا من صفات الأجسام وهو تعالى متره عن ذلك، وقد احتج المخالف بهذه الآية على أن النظر المقرون

---

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ت : عمر بن محمود أبو عمر: دار ابن القيم – الدمام، ط1: 1990 م، ج1 ص: 360

(2) تفسير الكشاف ج1 ص: 376-377

(3) التفسير الكبير: ج8 ص: 267

بحرف " إلى" ليس بمعنى الرؤية وإلا لزم من هذه الآية أن لا يكون الله رائياً وذلك باطل. قلتُ: يجوز أن يراد بهذا النظر: النظر المعهود، وهو الذي سيخص الله تعالى به أولياءه من أنه ينظر إليهم وينظرون إليه ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]
وعلى هذا جاز أن يكون النظر بمعن الرؤية لأنه لا يلزم من نفي رؤية يراه العباد أيضاً وقتئذٍ نفي رؤية لا يرونه حينئذٍ » [1]

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ٣٠] تمسك بعض المشبهة بهذا على أنه تعالى يحضر تارة ويغيب أخرى، ورد بأن استعلاء شيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق فوجب تأويل الآية بأنه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه للعتاب، أو لمضاف محذوف، أي: على جزاء ربهم أو وعده أو إخباره بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين، أو هو من قولك: وقفته على كذا أي أطلعته عليه » [2].

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] قال جار الله: الغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهة حقيقة أو إلى جهة مجاز، وكذلك حكم ما يروى عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً من أهل الكتاب جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم، إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال وأنزل الله الآية تصديقاً له » [3].

وقال جار الله: وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك، ولا أصبع، ولا هز، ولا شيء من غير ذلك » [4] ولكن فهمُه وقع أول شيء وآخره على الزُّبدة والخلاصة، التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأن الأفعال العظام التي لا تكتنهها الأوهام هينة عليه، ثم ذكر كلاماً آخر طويلاً... ففي هذه الصورة لا شك أن لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الجوارح، إلاّ أنّ الدلائل العقلية قامت على امتناع الأعضاء والجوارح لله تعالى،

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 193

(2) المصدر السابق: مج3 ص: 67

(3) رواه البخاري في كتاب التفسير " الزمر"، الباب: 3

(4) الكشاف: ج4 ص: 142-143.

فوجب المصير إلى التأويل صوناً للنّص عن التعطيل، ولا تأويل إلا أن يقال: المراد كونها تحت تدبيره وتسخيره، كما يقال: فلان في قبضة فلان » [1].

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ [المطففين: ١٥] قال أهل السنة كثرهم الله: وفي تخصيصهم بالحجب دلالة على أن أهل الإيمان والأعمال الصالحة لا يكونون محجوبين عن ربهم. وقالت المعتزلة: المضاف محذوف، أي: عن رحمة ربهم أوكرامته. وقال في الكشاف: هو تمثيل للاستخفاف بهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين » [2]

المطلب الثاني: حمل ألفاظ العربية على ما يناسب مبادئهم:

ومثل ذلك معنى "اليد" فإنّها تأتي لليد الحقيقية، وتأتي بمعنى النعمة والقوة، ويحملها المعتزلة والأشاعرة على المعنى الثاني – كما سيأتي تفصيله– وكذلك صفة الكلام. ثم إنه سبحانه ردّ على اليهود بقوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] واليد في اللغة تطلق على الجارحة المخصوصة – وهو ظاهر – وعلى النعمة. يقال: لِفلان عندي يدٌ أشكرها له. وعلى القوة مثل: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥﴾ [ص: ٤٥] فسر بذوي القوى والعقول ومنه لا يدين له بهذا. والمعنى سلب كمال القدرة، وعلى الملك تقول: هذا بيد فلان أي ملكه قال تعالى:﴿بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقد يراد به شدة العناية قال:﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] ويقال: يدي لك رهن بالوفاء إذا ضمنت له شيئاً. ولا شك أن اليد بمعنى الجارحة في حقه تعالى محال، للدليل الدال على أنه ليس بجسم ولا ذي أجزاء، خلافاً للمُجسِّمة، وأما سائر المعاني فلا بأس بها. وكان طريقة السلف الإيمان بها وأنها من عند الله ثم تفويض معرفتها إلى الله... ونصّ القرآن ناطق بإثبات اليد تارة:﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [الفتح: ١٠] وبإثبات اليدين أخرى كما في الآية، وبإثبات الأيدي أخرى:﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس: ٧١] ووجه التوحيد والجمع ظاهر. وأمّا وجه التثنية فذلك أن من أعطى بيديه فقد أعطى على أكمل الوجوه؛ فكان أبلغ في رد كلام القوم خذلهم الله، أو المراد نعمة الدين ونعمة الدنيا، أو نعمة الظاهر ونعمة الباطن، أو نعمة النفع ونعمة الدفع، أو نعمته على أهل اليمين ونعمته على أهل الشمال، بل لطفه في حق أولئك وقهره في شأن هؤلاء، أو المراد المبالغة في وصف النعمة نحو: لبيك وسعديك، معناه: إقامة على طاعتك بعد إقامـــة، وإسعاداً بعد إسعادٍ » [3] .

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج6 ص: 14.

[2] المصدر السابق: مج6 ص: 465، والكشاف: ج4 ص: 722

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 614-615

والقصد من حمل الآيات على المجاز – بهذا الشكل– هو دفع إيهام التجسيم والتشبيه، وتتريه ذات الباري –عزّ وجلّ– التشبّه بالمخلوقات، ولكن هذا التأويل قد اعترض عليه؛ لِأنّهم « أَوَّلُوا الْيَدَ بِالنِّعْمَةِ وَاسْتَشْهَدُوا بِقَوْلِ الْعَرَبِ: "لَكَ يَدٌ عِنْدِي" أَيْ: نِعْمَةٌ، فَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] يَعْنِي: نِعْمَتَاهُ، فَلَمْ يُثْبِتُوا لِلَّهِ إِلَّا نِعْمَتَيْنِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان: ٢٠] وَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] أَرَادَ ،بِنِعْمَتِي فَأَيُّ فَضِيلَةٍ لِآدَمَ عَلَى غَيْرِهِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ؟ وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ لَمْ يَخْلُقْهُ اللَّهُ بِنِعْمَتِهِ؟ وَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] أَرَادَ مَطْوِيَّاتٌ بِنِعْمَتِهِ، فَهَلْ يَقُولُ هَذَا عَاقِلٌ؟ وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: "بِقُوَّتِهِ" اسْتِشْهَادًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] أَيْ: بِقُوَّةٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَيْسَ كُلُّ مَخْلُوقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ بِقُوَّةٍ؟ فَعَلَى هَذَا مَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وَأَيُّ فَضْلٍ لِآدَمَ عَلَى إِبْلِيسَ إِذْ كُلٌّ مِنْهُمَا خَلَقَهُ اللَّهُ بِقُوَّتِهِ؟ ومعنى قَوْلِهِ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: " لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ كُنْ فَكَانَ". أَفَلَمْ يَخْلُقِ الْمَلَائِكَةَ بِقُوَّتِهِ، وَأَيُّ فَضْلٍ لِآدَمَ عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ الَّتِي هِيَ صِفَتُهُ، نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » [1].

قال تعالى:﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] قال القاضي: إنّ المراد به: كل شيء هالك إلاّ ذاته أي: نفسه، والوجه بمعنى الذات، مشهور في اللغة، يقال: وجه هذا الثوب جيد، أي: ذاته جيدة » [2]

وإنما خص الوجه بالذكر، لِأنّه أشرف الأعضاء من حيث إنّه معدن الحواس وينبوع الفكر والتخييل، فإذا تواضع الأشرف كان غيره أولى، ولِأنّ الوجه قد يكنى به عن النفس والذات ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝٢٠﴾ [الليل: ٢٠]ولِأنّ أعظم العبادات السجدة وهي إنما تحصل بالوجه » [3].

---

[1] معارج القبول: ج1 ص: 358-359.

[2] شرح الأصول الخمسة: ص: 227

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 368.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٩ ﴾ [الأنبياء: ١٩] قالت المعتزلة « ليس المراد عندية المكان والجهة، بل عندية القرب والشرف. وعُورِض بما حكى عنه سبحانه: " أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي" بل هذا أبلغ لِأنّ كون الله تعالى عند العبد أدخل في التعظيم من كون العبد عنده » [1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩] قال القاضي: « إنّ المراد به لِتقع الصنعة على علمي، والعين قد تورد بمعنى العلم، يقال: جرى هذا بعيني أي جرى بعلمي » [2]

وقال الرازي في تفسير هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨] « إنّ النصوص من القرآن لا يمكن إجراؤها على ظاهرها... فثبت أنّه لا بُدّ من المصير إلى التأويل، وذلك هو أن تحمل هذه الألفاظ على شِدّة العناية والحراسة، والوجه في حسن هذا المجاز أنّ من عظمت عنايته بشيءٍ وميله إليه، ورغبته فيه كان كثير النّظر إليه، فجعل لفظ العين –التي هي آلة لذلك النظر– كناية عن شدة العناية » [3]

ووافق النيسابوري مذهب المتكلمين فقال: « أي لِتُربَّى ويُحسن إليك، وأنا مراعيك ومراقبك، كما يراعى الشيء بالعينين إذا عني بحفظه، ولمَّا كان العالم بالشيء حارساً له عن الآفات، كما أن الناظر إليه يحرسه، أطلق لفظ العين على العلم، لاشتباههما من هذه الوجه، وأيضاً العين سبب الحراسة؛ فأطلق السبب وأريد المسبب، ويقال: عين الله عليك، إذا دعي له بالحفظ والحياطة » [4]

أما قوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾ [آل عمران: ٥٥] فالمشبهة تمسكوا بمثله في إثبات المكان لله تعالى، وأنه في السماء، لكن الدلائل القاطعة دلت على أنه متعال عن الحيز والجهة؛ فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل؛ بأن المراد إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي، ومثله قول إبراهيم: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [الصافات: ٩٩] وإنما ذهب من العراق إلى الشام، وقد سمي الحجاج زوّار الله، والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم، أو المراد إلى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله » [5].

---

(1) المصدر نفسه: مج1 ص: 242

(2) شرح الأصول الخمسة: ص: 227

(3) أساس التقديس: ص: 158

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج4 ص: 545

(5) المصدر نفسه: مج2 ص: 171

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال تعالى:﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: ٤٢] وقال أهل السنة: الدليل الدال على أنه تعالى متره عن الجسمية، وعن كل صفات الحدوث وسمات الإمكان، دلّ على أنّ السّاق لم يُرد بها الجارحة، فأوّلوه أنه عبارة عن شدة الأمر وعظم الخطب، وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهم ومثله: "وقامت الحرب بنا على ساق". ومعناه يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثمة ولا ساق كما تقول لِلأقطع الشحيح: "يده مغلولة" ولا يد ثمة ولا غل. وإنما هو مثل في البخل، وهكذا في الحديث ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله. قال في الكشاف[1]: ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب إليه المشبه؛ لِأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن. وإنما جاءت مُنكّرة في التمثيل؛ للدلالة على أنّه أمر فظيع هائل. قلتُ: الإنصاف أن هذا لا يرد على المشبه؛ فإنّ له أن يقول: إنما نكّر الساق لأجل التعظيم، أي: ساق لا يكتنه كنه عظمتها » [2]

قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وفي الآية سؤال وهو أنّه تعالى لِمَ قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾دون: لن تنظر إليّ ليناسب قوله: ﴿ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ والجواب: لِأنّ موسى لم يطلب النظر المطلق، وإنما طلب النظر الذي معه الإدراك، بدليل ﴿أَرِنِىٓ ﴾ ومن حجج الأشاعرة: أنه تعالى علّق رؤيته على أمر جائز، هو استقرار الجبل والمُعلق على الجائز جائز. ورُدّ بأنه علّق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله:﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ ﴾ أي: وقت النظر وعقيبه، واستقرار الجبل حال حركته محال... وقالت المعتزلة: الرؤية أمر محال لقوله: ﴿ لَن تَرَىٰنِى﴾ وكلمة "لن" إن لم تفد التأبيد؛ فلا أقل من التأكيد. وأيضاً الاستدراك في قوله: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ ﴾ معناه أن النظر إليّ محال؛ فلا تطلبه؛ ولكن عليك بنظر آخر إلى الجبل، لِتشاهد تَدكُّك أجزائه، وتفرُّق أبعاضه من عظمة التجلي، وإذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الإنسان؟ قالت الأشاعرة ههنا: لم يبعد أن يخلق الله تعالى حينئذ في الجبل حياة وعقلاً وفهماً ورؤية » [3].

قال تعالى:﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦] واعلم أن بعض أهل التجسيم يحكمون بورود هذا اللفظ على إثبات هذا العضو لله سبحانه ولا

[1] الكشاف: ج4 ص: 594.

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج 6 ص: 340

[3] المصدر نفسه: مج3 ص: 315-316.

يدري أنه بعد التسليم لا معنى للتفريط فيه ما لم يصر إلى التأويل. والصحيح: ما ذهب إليه علماء البيان أن هذا من باب الكناية، لأنك إذا أثبت الشيء في مكان الرجل وحيزه وجانبه وناحيته فقد أثبته كقوله:

إنَّ السّماحةَ والمروءةَ وَالنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابنِ الحشرجِ » [1]

قال تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] وأما الحسنى فقال في الكشاف[2] المراد: المثوبة الحسنى... وأمّا الزيادة فيحملها أهل السنة على رؤية الله؛ لِأنّ "اللام" في الحسنى للمعهود بين المسلمين، من المنافع التي أعدها الله تعالى لعباده، فالزيادة عليها تكون مغايرة لها، فما هي إلا الرؤية. وقالت المعتزلة: الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه، ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة، فالمراد بها ما يزيد على المثوبة من التفضّل كقوله:﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ٣٠] وزُيِّفَ بأنّ الزيادة إذا كان المزيد عليه مقدراً بمقدار معين، وجب أن يكون من جنسه، كما لو قال الرجل لغيره: " أعطيتك عشرة أمنان من الحنطة وزيادة ". أما إذا كان غير مقدر كما لو قال: "أعطيتك الحنطة وزيادة". لم يجب أن تكون الزيادة من جنس المزيد عليه. والمذكور في الآية: لفظة الحسنى، وهي الجنة وإنها مطلقة، فالزيادة عليها شيء مغاير لكل ما في الجنة » [3]

قال تعالى:﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] قال أهل المعاني: هذا تمثيل وتخييل ولا جارحة هناك. وقيل: اليد: النعمة: أي نعمة الله عليهم بالهداية فوق إحسانهم إلى الله بإجابة البيعة كما قال:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٧] وقيل: يد الله بمعنى الحفظ؛ فإن المتوسط بين المتبايعين يضع يده فوق يدهما فلا يترك أن تتفارق أيديهما حتى يتم البيع، والمراد: أن الله تعالى يحفظهم على بيعتهم »[4].

المطلب الثالث: تخريج دلالات الصيغ وفق أصول المذهب:

ومن ذلك ما جاء عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ [الكهف: ٢٨] ذهب المعتزلة إلى أنّ المعنى: وجدناه، أو صادفناه كذلك، أو نسبناه إلى الغفلة، أو سميناه غافلاً، لا أنّ الله

(1) المصدر نفسه: مج6 ص: 11.
(2) الكشاف: ج2 ص:342.
(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3 ص: 575
(4) المصدر نفسه: مج6 ص: 146-147

فعل به ذلك، واستند الزمخشري لتعليل ذلك إلى قراءة شاذّة: بفتح اللام في ﴿أَغْفَلْنَا﴾ ورفع الباء في ﴿قَلْبُهُ﴾ على أنه فاعل، بمعنى: من نسينا قلبه؛ فأصبح غافلاً عنا [1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [البقرة: ٦ – ٧] ذكر المفسر ما ذهبت إليه المعتزلة في معنى الآية فقال: « وأما المعتزلة وأمثالهم فيقولون: كيف ينشئ فيهم الكفر ثم يقول: لم تكفرون ؟ وخلق فيهم ما به لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ؟ ونحو ذلك من الآيات الدالة على أن الكفر باختيار العبد وقدرته. فتأوّلوا الآية على أنها جارية مجرى قولهم: " فلان مجبول على كذا أو مفطور عليه" يريدون أنه بليغ في الثبات عليه، أو على أنها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التّجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليه حتى دخلوا في زمرة الأنعام؛ لا تعي شيئاً ولا تفقه كقولهم: "سال به الوادي" إذا هلك، و "طارت به العنقاء" إذا أطال الغيبة. وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته، وإنما مُثِّلتْ حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي، وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء ، والشيطان هو الخاتم في الحقيقة... إلا أن الله تعالى لمّا كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب في قولهم: "بنى الأمير المدينة" أو أنهم لمّا ترقّى أمرُهم في التصميم على الكفر إلى حدّ لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء، ثم لم يقسرهم الله، و لم يلجئهم، لئلا ينتقض الغرض من التكليف » [2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥] قال: « والخلد عند المعتزلة الثبات الدائم، والبقاء اللازم الذي لا ينقطع بدليل **قوله تعالى:** ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ﴾ [النحل: ٧٠] وعند الأشاعرة: الخلد هو الثبات الطويل، دام أو لم يدم. ولو كان التأبيد داخلاً في مفهوم الخلد كان قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ تكراراً. ويقال في العرف: حبسه حبساً مخلداً، أو وقف وقفاً مخلداً. والحق أن خوف الانقطاع يُنغص النعمة وذلك لا يليق بأكرم الأكرمين » [3]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر: الكشاف: ج2 ص: 718

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 154

(3) المصدر نفسه: مج1 ص: 201

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥] قال المفسر: والاستواء: بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج، من صفات الأجسام، وإنه تعالى مُنّزهٌ عن ذلك. وأيضاً " ثم " تقتضي التراخي، فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلاً أزلاً، ولم يكن متأخراً عن خلق ما في الأرض، فيجب التأويل. وتقريره أن يقال: استوى العود، إذا اعتدل، ثم قيل: استوى إليه كالسهم المرسل، إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي على شيء ومنه استعير قوله:

﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [فصلت: ١١] أي: قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض، والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل: ثم استوى إلى فوق، أو هذا كقولك لآخر: اعمل هذا الثوب، وإنما معه غزل.على أنها كانت دخاناً ثم سواها سبع سموات » (1).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨ ﴾ [آل عمران: ٨] قال أهل السنة: القلب صالح لأن يميل إلى الإيمان، وصالح لِأن يميل إلى الكفر، وكل منهما يتوقف على داعية ينشئها الله تعالى فيه، إذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب إثبات الصانع. فإن كانت داعية الكفر فهو الخذلان والإزاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن، وإن كانت داعية الإيمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها... ومما يؤكد ذلك أن الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بأنهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها على سبيل الإجمال ويتركون الخوض فيها، فيبعد منهم في مثل هذا الوقت أن يتكلموا بالمتشابه، فتكون هذه الآية من أقوى المحكمات، وهو ظاهر في أن الإزاغة والهداية كلتيهما من الله تعالى. أما المعتزلة فقد قالوا: لما دلت الدلائل على أن الإزاغة لا يجوز أن تصدر من الله تعالى لأن ذلك ظلم وقبيح، وجب صرف الآية إلى التأويل؛ فقال الجبائي(2) واختاره القاضي: المراد أن لا يمنع قلوبهم الألطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الإيمان، وزيف بأن اللطف إن صح في حقهم وجب عندكم على الله أن يفعل ذلك وجوباً لو تركه لبطلت إلهيته ولصار جاهلاً أو محتاجاً، وقال الأصم(3): لا تبلنا ببلوى يزيغ عندها قلوبنا. والمعنى لا

(1) المصدر السابق: مج1 ص: 210-211 .

(2) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، من أبناء أبان مولى عثمان: عالم بالكلام، من كبار المعتزلة. له آراء انفرد بها. وتبعته فرقة سميت " البهشمية " نسبة إلى كنيته " أبي هاشم " (ت: 321 هـ) وله مصنفات منها: " الشامل " في الفقه، و " تذكرة العالم " و " العدة في أصول الفقه". الأعلام: ج4 ص:7.

(3) عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم. فقيه معتزلي مفسر، قال ابن المرتضى: كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم، خلا أنه كان يخطئ عليا عليه السلام في كثير من أفعاله ويصوب معاوية في بعض أفعاله. وله: تفسير الأصول، ومناظرات مع ابن الهذيل العلاف، قال ابن حجر: هو من طبقة ابن الهذيل وأقدم منه(ت: 225 هـ) .الأعلام: ج3 ص: 322-323.

تكلفنا من العبادات ما لا نأمن معه الزيغ. وقد يقول القائل: لا تحملني على إيذائك أي لا تفعل ما أصير عنده مؤذياً لك. وزُيّفَ بأنّ التشديد في التكليف قبيح، إن علم الله تعالى أن له أثراً في حمل المكلف على القبيح، وإلاّ فوجوده كعدمه؛ فلا فائدة في صرف الدعاء إليه... وعن الأصم –أيضاً: لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد إذ هديتنا بنور العقل. ولا يخفى تَعسُّفه وعدم مناسبته لقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ [آل عمران: ٧] وقال أبو مسلم[1]: احرسنا من الشيطان ومن شرور أنفسنا حتى لا نزيغ. ثم إنهم لما طلبوا أن يصونهم عن الزيغ، وأن يخصهم بالهداية والرحمة؛ فكأنهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا؛ فإنها منقضية، ولكن الغرض ما يتعلق بالآخرة؛ فإنا نعلم أنك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه، أي في وقوعه » [2].

قال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] قال القاضي عبد الجبار: « فلا بد من تأويل، فنتأولها على وجهٍ يوافق دلالة العقل ونقول: إنّ المراد بالمشيئة المذكورة في هذه الآيات مشيئة الإلجاء والإكراه، ولها نظائر في كتاب الله – عز وجل– منها قوله:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ ﴾ [يونس: ٩٩] مبينًا على أنّه لو شاء أن يكرههم على الإيمان ويحملهم على ذلك أمكنه، غير أنّه أمهلهم ووكلهم إلى اختيارهم حتّى إن أحسنوا الاختيار بأنفسهم استحقوا من الله الكرامة، وإن أساؤوا الاختيار استحقوا الإهانة؛ فيبقى التكليف ولا يبطل الاستحقاق أصلاً ورأسًا » [3] وذلك استنادًا إلى قاعدتهم في العدل، وهو أنّ الله عز وجلّ مُنزه عن الظلم ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ كرر الكلام تكذيباً لمن زعم أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم. ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾. وفي الآية دلالة على صحة مسألة خلق الأعمال، ومسألة إرادة الكائنات، وأن الكل بقضاء الله وقدره، لِأنّ الدواعي تستند لا محالة إلى داعية يخلقها الله عز وجل في العبد، والمعتزلة يقيدون المطلق في الآيتين فيقولون: المراد: ولو شاء الله مشيئة إلجاء وقسر، كما يقال: لو شاء الإمام لم يعبد

---

(1) محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم: وال، من أهل أصفهان.معتزلي.من كبار الكتاب.كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر. ولي أصفهان وبلاد فارس، للمقتدر العباسي، واستمر إلى أن دخل ابن بويه أصفهان سنة 321 هـــ فعزل. (ت: 322 هـــ) من كتبه: "جامع التأويل" ، جمع سعيد الأنصاري الهندي نصوصا منه وردت في "مفاتيح الغيب" المعروف بتفسير الفخر الرازي، وسماها: "ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل ".ومن كتبه: " الناسخ والمنسوخ " وكتاب في "النحو". و "مجموع رسائله". الأعلام: ج6 ص: 50

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 105-111

(3) شرح الأصول الخمسة: ص: 476.

المجوس النار في مملكته، و لم يشرب النصارى الخمر، ويقولون المراد: يفعل ما يريد من أفعال نفسه » (1)

احتج القائلون بأن الإيمان يصح على سبيل التقليد بأن قوله:﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ ﴾ [النساء: ٣٩] مشعر بأن الإتيان بالإيمان في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة. وأجيب بأن الصعوبة في الإيمان الاستدلالي التفصيلي لا الإجمالي. وقال جمهور المعتزلة: لو كانوا غير قادرين لم يقل: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾ كما لا يقال للمرأة: ماذا عليها لو كانت رجلاً، وللقبيح ماذا عليه لو كان جميلاً. وأجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وأنه لا يسأل عما يفعل » (2).

قوله عز من قائل: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٩] قال أبو علي الجبائي: السيئة تارة تقع على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية. ثم إنّه تعالى أضاف السيئة إلى نفسه على الآية الأولى بقوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨] وأضافها في هذه الآية إلى العبد بقوله: ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ ﴾ أي: يا إنسان خطاباً عاماً، ﴿ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ فلا بد من التوفيق وإزالة التناقض، وما ذاك إلاّ بأن يجعل هناك بمعنى: البلية، وههنا بمعنى: المعصية. قال: وإنما فصل بين الحسنة والسيئة في هذه الآية؛ فأضاف الحسنة التي هي الطاعة إلى نفسه دون السيئة، مع أن كليهما من فعل العبد عندنا، لأنّ الحسنة إنما تصل إلى العبد بتسهيل لله وألطافه فصحت إضافتها إليه، وأما السيئة فلا يصح إضافتها إلى الله تعالى؛ لا بأنه فعلها ولا بأنه أرادها ولا بأنه أمر بها ولا بأنه رغب فيها.وقال في الكشاف(3): ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ أي: من بلية ومصيبة " فمن عندك" لِأنّك السبب فيها بما اكتسبت يداك...وقالت الأشاعرة: كل من الحسنة والسيئة بأي معنى فرض؛ فإنّها من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث إليه. لكنه قد يظن بعض الظاهريين أن إضافة السيّئة إلى الله تعالى خروج عن قانون الأدب؛ فبين في الآية أن كل ما يصيب الإنسان من سيّئة، حتى الكفر الذي هو أقبح القبائح؛ فإن ذلك بتخليق الله تعالى.والوجه فيه أن يقدر الكلام استفهاماً على سبيل الإنكار، ليفيد أنّ شيئاً من السيّئات ليست مضافة إلى الإنسان، بل كلها بقضائه ومشيئته، ويؤيده ما يروى أنه قُرِئ: فمن نفسك؟ بصريح الاستفهام، ومما يدل دلالة ظاهرة على أن المراد من هذه الآيات إسناد جميع الأمور إلى الله تعالى قوله بعد ذلك:﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ أي: ليس لك إلاّ الرسالة والتبليغ، وقد فعلتَ

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 8

(2) المصدر السابق: مج2 ص: 413

(3) الكشاف: ج1 ص: 538

ذلك وما قصّرتَ ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ على جدّك وعدم تقصيرك في أداء الرسالة وتبليغ الوحي؛ فأما تحصيل الهداية فليس إليك بل إلى الله » [1]

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف: ٨٩] قال أهل السنة: في الآية دلالة على أن المنجي من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد إليه. قال الواحدي[2]: و لم تزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة وانقلاب الأمر، ألا ترى إلى قول الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وكثيراً ما كان يقول نبينا ﷺ: "يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك"، وقال يوسف: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ [يوسف: ١٠١] أجابت المعتزلة بوجوه: الأوّل: أن قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ﴾ قضية شرطية. أي: إن شاء بعد وليس فيه بيان أنه شاء أم أبى. الثاني: أنّ هذا على طريق التبعيد والإحالة.كما يقال لا يفعل ذلك إلا إذا ابيض القار[3] وشاب الغراب...ثم إنّ المعتزلة تمسكوا بالآية على صحة قولهم من وجهين: أحدهما: أن قوله: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ ﴾ معناه: لو شاء الله عودنا إليها لكان لنا أن نعود، وذلك يقتضي أن كل ما شاء تعالى وجوده كان فعلاً جائزاً مأذوناً فيه، وما كان حراما ممنوعاً منه لم يكن مراد الله تعالى. وثانيهما: أن قوله: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٨] "لنخرجنك" أو "لتعودن" لا وجه للفصل بينهما، فإن كان العود بخلق الله كان الإخراج أيضاً بخلقه. قلت: للسُّني أن يلتزم ذلك. أما قوله: ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فوجه تعلقه بما تقدمه على قول الجبائيّ هو: أنّ التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ إلا أن تختلف المصلحة في تلك العبادات؛ فحينئذ يُكلفنا بها، والعلم بالمصالح لا يكون إلا بأن وسع كل شيء علماً. وقالت الأشاعرة: وجه التعلق هو أن القوم لّما قالوا: "لنخرجنك أو لتعودن" قال شعيب: ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ فربما كان في علمه قسم ثالث: وهو أن يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين، ويؤكد هذا

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 451-452

[2] علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار أصله من ساوة (بين الري وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور (ت:468 هـ) .له: " البسيط " و " الوسيط " و " الوجيز " كلها في التفسير، وشرح ديوان المتنبي " و " أسباب النزول " و " شرح الأسماء الحسنى " وغير ذلك وهو كثير. والواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل ابن مهرة. الأعلام: ج4 ص: 255

[3] القار هو: الزِّفت، ووعاءٌ مُزفَّتٌ: مُقيَّرٌ، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت: 2000م، ج9 ص: 25.

التفسير قوله عقيب ذلك: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ أي لا على غيره، وانتصاب "علماً" على التمييز وفي قوله: "وسع" بلفظ الماضي دلالة على أنه تعالى كان في الأزل عالماً بجميع المعلومات، فلا يخرج شيء عن مقتضى علمه، وهو معنى جفاف الأقلام وطي الصحف ولزوم الأحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي، ويعلم من عموم كل شيء أنه علم الماضي والحال والمستقبل وعلم المعدوم أنه لو كان كيف يكون » [1].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤- ١٢٥] وإسناد زيادة الرجس إلى السورة إسناد حقيقي عند والأشاعرة لأنهم يقولون إنه سبحانه يخلق الكفر والإيمان في العبد فلا يبعد إحداث السورة فيهم الرجس، وإسناد مجازي عند المعتزلة لِأنهم يقولون: إنهم أحدثوا الرجس من عند أنفسهم حين نزول السورة، بدليل أن الآخرين سمعوا السورة وازدادوا إيماناً » [2]

قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [غافر: ٣] قالت المعتزلة: معناه أنه غافر الذنب إذا استحق غفرانه إما بالتوبة إن كان كبيراً، أو طاعة أعظم منه ثواباً إن كان صغيراً. وقال الأشعري[3]: إنه قد يعفو عن الكبائر بدون التوبة لئلا يلزم التكرار بقوله: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ وليفيد المدح المطلق ويؤيده إدخال الواو بين هذين الوصفين فقط كأنه قيل: الجامع بين المغفرة إن كانت بدون توبة وبين القبول إن كانت بتوبة فقد جمع للمذنب بين رحمتين بحسب الحالتين. وقيل: غافر الذنب الصغير وقابل التوب عن الكبير، أو غافر الذنب بإسقاط العقاب وقابل التوب بإيجاب الثواب. ثم إنّ قَبول التوبة واجب على الله أم لا ؟ فيه بحث أيضاً للفريقين. فالمعتزلة

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3 ص: 286-287-288.

[2] المصدر نفسه: مج3 ص: 549

[3] هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصح أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة 324 هـ، قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب، منها " إمامة الصديق " و " الرد على المجسمة " و " مقالات الإسلاميين " و " الإبانة عن أصول الديانة " و " رسالة في الإيمان " و " مقالات الملحدين " و " الرد على ابن الراوندي " و " خلق الإعمال" الأعلام: ج4 ص: 263 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوجبوا، والأشعري يقول: إنه على سبيل التفضيل وإلا لم يتمدّح به. والظاهر أن التوب مصدر. وقيل: جمع توبة أي ما ذنب تاب منه العبد إلا قبل توبته » [1].

ومن دون شك فحملُ المتكلمين لبعض الصّفات الإلهية على هذا النحو – بداعي التتريه– فيه من التّمحُّل ما لا يُقبلُ عقَديًّا، بل حتّى لُغويًّا–أحيانًا–، قال ابن قتيبة: « وذهب أهل القدر في قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [النحل: ٩٣] إلى أنّه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة، ولهم بالهداية، وقال فريقٌ منهم: يُضلّهم: ينسبهم إلى الضلالة، ويهديهم: يبيّن لهم ويرشدهم، فخالفوا بين الحُكمين، ونحن لا نعرف في اللغة أفعلتُ الرّجُل: نَسبتُه، وإنّما يقال: إذا أردت هذا المعنى: فَعّلتُ، تقول: شجّعت الرجل، وجبّنته، وسرّقته، وخطّأته، وكفّرته، وفسّقتُه، وفجّرتُه، ولحّنته...ولا يقال في شيءٍ من هذا كلِّه: أفعلته، وأنت تريد نسبته إلى ذلك » [2]

وأورد ابن القيم كلامًا طويلاً يقول فيه: « وأمّا تحريفهم هذه النصوص وأمثالها بأنّ المعنى: ألفاهم ووجدهم، ففي أيِّ لسانٍ، وأيِّ لغةٍ وجدتم هديتُ الرّجل: إذا وجدتُه مهتديًّا، وختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة، وجده كذلك، وهل هذا إلّا افتراء محض على القرآن واللغة، فإن قالوا: نحن لم نقل هذا في نحو ذلك وإنما قلناه في نحو أضله الله، أي: وجده ضالاً كما يقال: أحمدت الرجل وأبخلته وأجبنته، إذا وجدته كذلك أو نسبته إليه، فيقال لفرقة التحريف: هذا إنما ورد في ألفاظ معدودة نادرة وإلا فوضع هذا البناء على أنك فعلت ذلك به، ولا سيما إذا كانت الهمزة للتعدية من الثلاثي كقام وأقمته، وقعد وأقعدته، وذهب وأذهبته، وسمع وأسمعته، ونام وأنمته، وكذا ضل وأضله الله، وأسعده، وأشقاه، وأعطاه، وأخزاه، وأماته، وأحياه، وأزاغ قلبه، وأقامه إلى طاعته، وأيقظه من غفلته، وأراه آياته، وأنزله مترلا مباركا وأسكنه جنته، إلى أضعاف ذلك هل تجد فيها لفظا واحدا معناه أنه وجده كذلك؟ تعالى الله عما يقول المحرفون، ثم انظر في كتاب: " فعلَ وأفعلَ " هل تظفر فيه بـــ " أفعلته" بمعنى وجدته مع سعة الباب ؟إلاّ في الحرفين أو الثلاثة نقلا عن أهل اللغة، ثم انظر هل قال أحد من الأولين والآخرين من أهل اللغة أن العرب وضعت أضله الله، وهداه وختم على سمعه وقلبه وأزاغ قلبه، وصرفه عن طاعته » [3]

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان مج6 ص: 20-21

[2] تأويل مشكل القرآن: ص: 80

[3] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزية دار المعرفة، بيروت، لبنان: 1978م، ج 16 ص: 40-41

المطلب الرابع: توجيه دلالات الحروف لخدمة المعتقد:

وهذا باب واسعٌ في مؤلفات أهل الكلام، وقد أُلِّفت فيه مُؤلَّفات ومن ذلك: "معاني الحروف" للرّمّاني، وأسهب فيها القولَ الزمخشري في تفسيره. وجاء في تفسير النيسابوري بعضٌ منها، ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال المفسّر: هذه الآية من مشهورات استدلالات المعتزلة على نفي رؤيته تعالى. قالوا: الإدراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل أن قول القائل: أدركته ببصري، وما رأيته متناقضان. ثم إن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يقتضي أنه لا يراه شيء من الأبصار في شيء من الأحوال بدليل صحة الاستثناء. وأيضاً أنه ذكر الآية في معرض المدح والثناء، وكل ما كان عدمه مدحاً، ولم يكن ذلك من باب الفعل، كان ثبوته نقصاً، كقوله ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣﴾ [الإخلاص: ٣] فوجب كون الرؤية نقصاً في حقه تعالى. وإنما قيدوا بما لا يكون من باب الفعل، لأنه تعالى يمتدح بنفي الظلم عن نفسه في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت: ٤٦] مع أنه تعالى قادر على الظلم عندهم .وأجيب بالمنع من أن إدراك البصر عبارة عن الرؤية، لأنه في أصل اللغة: موضع للوصول واللُّحوق ومنه ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] أي: لَمُلحقون. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠] أي لحقه.وأدرك الغلام أي بلغ، وأدركت التمرة إذا نضجت.وإذا قد ثبت ذلك فنقول: الرؤية جنس الإدراك أي: إدراك البصر رؤية مع الإحاطة.ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام، فلا يلزم من نفي إدراك البصر نفي الرؤية.

سلّمنا أن إدراك البصرة عبارة عن الرؤية لكن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا يفيد إلا نفي العموم، وأنتم تدعون عموم النفي فأين ذاك من هذا. وإنما قلنا إنه لا يفيد إلا نفي العموم؛ لِأنّ صيغة الجمع كما تُحمل على الاستغراق فقد تُحمل على المعهود السابق أيضاً.

فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يفيد أنها لا تدركه، في حين يدركه جميع الأبصار يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب، فلِمَ لا يجوز أن يفيد أنه يدركه بعض الأبصار؟ كما لو قيل: إنَّ محمداً ما آمن به كل الناس. فإنه يفيد أنه آمن به بعض الناس...أو نقول: سلمنا أن الأبصار لا تدركه فلمَ قلتم: إنّ المبصرين لا يدركونه؟ أما قولهم: إنّ الآية مذكورة في معرض المدح فنقول: لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما حصل المدح بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لغاية جلاله ونهاية جماله.

والتحقيق فيه أن النفي المحض، والعدم الصرف، لا يكون موجباً للمدح والعلم به ضروري، بل إذا كان النفي دليلاً على حصول صفة ثابتة من صفات المدح قيل: فإن ذلك النفي يوجب التّمدح كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فإنه لا يفيد المدح نظراً إلى هذا النفي، فإنّ الجماد أيضاً لا تأخذه سنة ولا نوم؛ إلا أن هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالماً بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال.

فقوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يمتنع أن يفيد المدح، إلاّ إذا دل على معنى موجود، وذلك ما قلناه من كونه قادراً على حجب الأبصار ومنعها عن الإحاطة به، فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية عليكم لا لكم لأنها أفادت أنه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته.

ثم نقول: إذ ثبت ذلك يجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة لأن القائل قائلان: قائل بجواز الرؤية مع أن المؤمنين يرونه، وقائل: لا يرونه ولا تجوز رؤيته، وإذا بطل هذا القول يبقى الأول حقاً؛ لِأنّ القول بجواز رؤيته مع أنه لا يراه أحد قول لم يقل به أحد، وهذا استدلال لطيف» (1)

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤] قالت المعتزلة: صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فإن له جهنم بالآية لعموم "مَن" الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحل القطع بوعيد أصحاب الكبائر. أجابت الأشاعرة بأن المجرم كثيراً ما يجيء في القرآن بمعنى الكافر كقوله:﴿ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٠ - ٤٦] ولا ريب أن التكذيب بالبعث والجزاء كفر، وكقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المطففين: ٢٩] إلى آخر السورة. فلِمَ قلتم: إنّ المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر؟ فتبطل المقدمة الأولى ؟ سلّمنا. لكن المقدمة الثانية كُليتها ممنوعة على الإطلاق وإنما هي كلية بشرط عدم العفو، وحينئذٍ لا يحصل القطع بالوعيد على الإطلاق. سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد في قوله:﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا ﴾ [طه: ٧٥] فإن قيل: صاحب الكبيرة لم يأته مؤمناً عندنا. قلنا: يصدق عليه المؤمن؛ لِأن الإيمان صدر عنه في الزمان الماضي كالضارب على من قد ضرب أمس، وليس بين الحال والزمان الماضي منافاة كلية، ولهذا صح " جاءني زيد قد قام" بل صح قوله:﴿ قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وأنه حال آخر، فكأنه قيل: ومن يأته قد آمن قد عمل. ولئن قيل: إن عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة، قلنا: ممنوع بل

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3 ص: 137-138

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العكس أولى؛ لِأنّ الدفع أسهل من الرفع، وإقامة الحد على التائب في بعض الصور لِأجل المحنة لا لِأجل التنكيل » [1]

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] لقد تعسف المعتزلة أيما تعسف في تأويل هذه الآية تخريجًا لها وفق ما يناسب أصولهم الفكرية في نفي الرؤية إذ زعموا أنّ "إلى" في الآية ليس حرف جر، ولا حرف تعدية، وإنّما هو واحد " الآلاء" التي هي النعم؛ فكأنّه تعالى قال: وجوهٌ يومئذٍ ناظرة آلاء ربّها منتظرة، ونِعمةُ مترقّبة » [2]

وأعلم أن أهل السنة استدلوا بالآية على إمكان رؤية الله تعالى في الآخرة بل على وجوبها بحكم الوعد وحاصل كلامهم أن النظر إن كان بمعنى الرؤية فهو المطلوب، وإن كان بمعنى تقليب الحدقة نحو المرئي فهذا في حقه تعالى محال لأنه منزه عن الجهة والمكان فوجب حمله على مسببه وهو الرؤية، وهذا مجاز مشهور. وأما المعتزلة فزعموا أن النظر المقرون بـــ "إلى" إنما يراد به تقليب الحدقة نحو المرئي، التماساً للرؤية، فقد تحصل الرؤية وقد لا تحصل كما قال سبحانه:﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨] ويقال: دور فلان متناظرة أي متقابلة. ولا ريب أن تقليب الحدقة نحو الشيء يستدعي جهة لذلك الشيء، وهذا في حق الله تعالى محال فوجب حمل النظر على الانتظار أي منتظرة ثواب ربها كقولك: أنا ناظر إلى فلان ما يصنع بيّ. والانتظار إذا كان في شيء متيقن الوقوع لا يوجب الغم والحزن، بل يزيد اللذة والفرح.

واعترض بأن النظر إذا كان بمعنى الانتظار لا يعدّى بـــ "إلى" كقوله:﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ [الأعراف: ٥٣] وأجيب بأن ذلك إنما يكون؛ إذا كان منتظراً للشخص، أما إذا كان منتظراً لرفده ومعونته فإنه يستعمل مقروناً بـــ "إلى"، كقول الرجل: إنما نظري إلى الله ثم إليك. وقد يقول الأعمى: عيني ناظرة إليك. سلّمنا، لكن لِمَ لا يجوز أن يكون " إلى" واحد "الآلاء" أي نعمة ربها منتظرة، وتقديم المفعول لأجل الفاصلة أو للاختصاص؟ أي: لا ينتظرون إلا إلى نعمة الله ورحمته، قال في الكشاف: وهذا المعنى -أعني إفادة الاختصاص- أحد الدلائل الدالة، على أن النظر ههنا ليس بمعنى تقليب الحدقة ولا بمعنى الرؤية لأنهم ينظرون إلى أشياء ويرون أشياء لا تدخل تحت الحصر فلا بد من حمل النظر على معنى يصح معه الاختصاص وهو التوقع والرجاء » [3].

---

(1) المصدر نفسه: مج4 ص: 559-560

(2) شرح الأصول الخمسة: ص: 246

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج: ج6 ص: 404

وردّ ابن كثير طريقة المعتزلة في تخريج معنى حرف النفي "لن" قائلاً: « وقد أشكل حرف "لن" هاهنا على كثير من العلماء؛ لِأَنها موضوعة لنفي التأبيد، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة. وهذا أضعف الأقوال » (1) .

وَمِنْ إِفْكِهِمْ: ادِّعَاؤُهُمْ مَعْنَى التأبيد في النفي ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣] حَتَّى كَذَبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَدِيثًا مُخْتَلَقًا لَفْظُهُ: لَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. وَهُوَ مَوْضُوعٌ مَكْذُوبٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺباتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: إِنَّ نَفْيَ "لَنْ" لِلتَّأْبِيدِ مُطْلَقًا، إِلَّا الزَّمَخْشَرِيُّ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، قَالَ ذَلِكَ تَرْوِيجًا لِمَذْهَبِهِ فِي الِاعْتِزَالِ، وَجُحُودِ صِفَاتِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا » (2).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٥] ومعنى "دَرَستَ" قرأت وتعلمت من الدّرس، ومن قرأ: "دارستَ " أي قرأت على اليهود وقرؤوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة. وأما الأول: فقد أورد عليه أن قولهم للرسول: "دارست" كُفرٌ منهم بالقرآن والرسول، وعلى هذا فتعود مسألة الجبر والقدر، أما الأشاعرة فأجروا الكلام على ظاهره وقالوا: معناه أنا ذكرنا هذه الدلائل حالاً بعد حال ليقول بعضهم: "دارست" فيزادوا كفراً على كفر، ونُبينه لبعض فيزدادوا إيماناً على إيمان كقوله: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦] وأما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي: إنّ هذا الإثبات محمول على النفي، والتقدير: نصرف الآيات "لِئلاّ" يقولوا. كقوله: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضلوا. أو المراد لام العاقبة، وزُيِّف بأن حمل الإثبات على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب يخرج الكتاب عن أن يكون حجة. وأيضاً إنه مناف للمقصود؛ لِأنّ إنزال الآيات نجماً فنجماً هو الذي أوقع الشبهة للقوم في أن محمداً ﷺ إنما أتى بالقرآن على سبيل المدارسة والمذاكرة مع أقوام آخرين، ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة. فالجواب ا لذي ذكره إنما يصح لو كان التصريف علة لأن يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم، وأيضاً حمل اللام على لام العاقبة مجاز، وحمل الكلام على الحقيقة أولى » (3).

---

(1) تفسير ابن كثير: ج3 ص: 468

(2) معارج القبول: ج1 ص: 361.

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3 ص: 140

ولقد بدا واضحًا – مما سبق- أنّ المجاز سلاحٌ يلجأ إليه المتكلمون حينما تستعصي عليهم اللغة، ولا تسعفهم العبارة أو مدلولات اللفظ وعندئذٍ يحملون العبارة على المجاز، ويستنبطون منها لونًا من ألوانه الكثيرة المتعددة، وبذلك يفقد الكلام معناه الحقيقي، وصفته الظاهرية فيصبح لونًا من الخيال والصُّور الفنيّة التي يُرادُ بها معنى أبعد مما يدل عليه الظاهر، أو يشير إليه الشكل الخارجي » [1]

وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ قضية المجاز، والنظرية البلاغية عمومًا، لم تكن لو لم تقضِ بها عوامل العقيدة، حتى بدا لنا أنّ انتظام النّسق البلاغي –عندهم- راتب عن انتظام النّسق العقدي كأنّه فرعٌ من فروعه، تنتهي غاياته عند الغايات التي ينتهي إليها، ويستمدّ تماسكه من تماسك مبادئه واستقامة أصوله... ولقد بدا لنا واضحًا إلى أي حدًّ كانت المفاهيم البلاغية وأنحاء إجرائها محمّلة بهواجس العقيدة؛ فهي التي توجّه الفكرة وترسم آفاقها، حتى بدا لنا في كثيرٍ من الأحيان أنّ القاعدة البلاغية لم تنشأ إلاّ قصد فك الإشكال العقدي، لقد كانت العلاقة بين النّسقين أكثر من مجرّد تأثير وتأثُّر، ذلك أنّ البلاغة كانت بالنّسبة إلى الكلام منهجًا وحاجةً ومصيرًا.

[1] التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ص: 309

الفصل الثالث: اللغة أداة للإعجاز.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المتشابه اللفظي.

المبحث الثاني: التناسب بين الكلمات، والآيات، والسور.

المبحث الثالث: التّوجيه البياني للقراءات القرآنية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: اللغة أداة الإعجاز

المبحث الأول: المتشابه اللفظي.

لقد عرّف العلماء المتشابه اللفظي، على غير ما جرى من تعريف الحدود المتعارف عليها، ولهذا فإننا سنعرض أقوالهم في تحديدهم لمفهومه، حتى يتبين لنا التعريف المختار: ومن أهم ما قاله أصحاب التأليف في هذا الفن ما قاله الخطيب الإسكافي[1] في معرض حديثه عن سبب تصنيف كتابه، أنه منذ أن كان يقرأ القرآن كانت تدعوه دواعٍ قوية، يبعثها نظرٌ وروية؛ فقال: « منذ خصّني الله بإكرامه، وشرّفني بدراسة كلامه تدعوني دواعٍ قوية يبعثها نظرٌ وروية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المتعلقة والمنحرفة تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها وتخص الكلمة بآيتها دون أشكالها »[2]

والذي يظهر من خلال كلام الخطيب أنه قصد من وراء تأليفه هذا بيان ما تكرّر في القرآن مع اختلاف الآيات، وقوله: "بالكلمات المتفقة والمختلفة" هو أنّ آي القرآن قد يكون فيها من الكلمات متفق في مواضع ومختلف في مواضع أخرى، وفي ذلك سِرٌ يدعو إلى البحث والتأمل.

وقال الكرماني[3] في مقدمة كتابه: « فإنّ هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن، وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأُبيّن ما السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، وما الموجب لزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما في

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي، أبو عبد الله: عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان. كان إسكافا، ثم خطيباً بالري. توفي سنة: 420 هـ من كتبه: "مبادئ اللغة" و "نقد الشعر" و "درة التنزيل وغرة التأويل" و "غلط كتاب العين"... ينظر الأعلام: ج6 ص: 227-228

(2) درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي، ت: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى: مكة المكرمة: 2001م، ج1 ص: 216

(3) محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء: عالم بالقراآت. توفي نحو 505 هـ من كتبه: "خط المصاحف" و "لباب التأويل" و "البرهان في متشابه القرآن" و "شرح اللمع لابن جني" ...ينظر: الأعلام: ج7 ص: 168-169

هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ؟ ليجري ذلك مجرى علامات تُزيل إشكالها وتمتاز بها عن أشكالها » [1]

وبيّن الكرماني بعض وجوه المتشابه اللفظي، وعدّها وجهًا من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله: « فقد يرد في القرآن كثيرًا أمثال قوله تعالى:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ ﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ ﴾ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ ﴾... إلى أمثال ذلك، ولقد بلغت هذه المكررات قمة الإعجاز، بحيث يمكن اعتبارها من علامات التنبيه على الإعجاز الذي لا يدرك إلاّ بعمق الفهم والفقه والتذكر في كل سورة من سور القرآن، حتى يدرك الإنسان المستوى الواجب من يقظة العقل والتدبر، حتى يقرأ القرآن إمّا لاكتشاف آفاق أخرى من آفاق إعجازه التي لا تنتهي، وأما ما أدركه الأولون واستيعابه حتى تؤتى القراءة ثمارها من ذلك الكتاب المبارك المبين وتلك هي الأهمية الأخرى للكتاب » [2]

ولقد سلك ابن الزبير الغرناطي[3] سبيل الخطيب الإسكافي، وبيّن في مقدمة كتابه مفهومًا لهذا الفن فقال:« وإن من مغفلات مُصنفي أئمتنا ﷺفي خدمة علومه، وتدبر منظومه الجليل ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظاً أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير، فعسر إلا على الماهر حفظاً، وظنَّ الغافل عن التدبر، والمخلد إلى الراحة عن التفكر، أن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها ليس لسبب تقتضيه، وداعٍ من المعنى يطلبه ويستدعيه، وأن ليس على جميع الوارد من ذلك محرزات من المعاني عند ذوي الأفهام، ومقتضيات من لوازم جليل التركيب من ذلك المعجز العلي من النظام، فلا يليق بكل من تلك المواضع إلا الوارد فيه، و تقرير

(1) البرهان في توجيه متشابه القرآن لِما فيه من الحجة والبيان: محمود بن حمزة الكرماني، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة ص: 21

(2) المصدر نفسه: ص:21- 22

(3) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الاندلس. انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول. توفي سنة 708هـــ. من كتبه: "صلة الصلة" وله "ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التتريل" و "البرهان في ترتيب سور القرآن" و "الأعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام"... ينظر: الأعلام: ج1 ص: 85-86.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقوع آية منها في موضع نظيرتها ينافي مقصود ذلك الموضع، وينافيه. فتعساً لمن تنكّبَ عن واضح آياته، وكأن لم يقرع سمعه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] »[1]

وعرّف الزركشي هذا الفن بقوله: « هو إيراد القصة الواحدة في صور شتّى، وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء »[2]

ولا شك أنّ باب المتشابه اللفظي من أهم الأبواب التي تدل على دقة الفهم وحضور البديهة، وقد كان لعلمائنا الأجلّاء في ذلك باعٌ واسعٌ في غاية الروعة والبيان « ولكنّهم في بعض الأحايين قد رحلوا عن الأداء الحقيقي لهذا العلم، ووقفوا على مسائل لفظية وإجابات شكلية لا تتناسب مع بيان القرآن وبلاغته وفصاحته، وأعادوا الكثير من العبارات المُزوّقة والكلمات المبهرجة، وهم أحيانًا لا يقفون على سر الآيات ولا يبينون المراد، وإنّما غاية ما في الأمر أن يسردوا الآيات ويتكلّفوا لها الإجابات... ومع ذلك؛ فإنّهم أصحاب السّبق في هذا المضمار، وهم فرسان الحلبة؛ فلهم الفضل كل الفضل »[3]

ولقد أولى النيسابوري علم المتشابه اللفظي عناية فائقة؛ فضمّن تفسيره الكثير من الفوائد واللطائف التي تكشف عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وهو اختيار ألفاظه وانتقاء كلماته؛ فالقرآن إذا اختار اللفظة مُعرّفة كان ذلك لسبب، وإذا انتقاها نكرة كان ذلك لغرض، كذلك إذا كان اللفظ مفردًا كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعًا كان ذلك لِحالٍ يناسبهُ، فلكل مقامٍ مقالٌ في التعبير القرآني، وفي النماذج الآتية يُوضّح المُفسّر بعض القضايا المتعلّقة بالمتشابه اللفظي بين آي القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩﴾ [البقرة: ٥٨ -٥٩]

---

(1) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: ابن الزبير الغرناطي، ت: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي-بيروت- ط2: 2007م، ج1 ص:145.

(2) البرهان في علوم القرآن: ج1 ص:

(3) نظرية السياق القرآني: المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر – عمان –الأردن: ط1: 2008م، ص: 165.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٦٢ ﴾ [الأعراف: ١٦١- ١٦٢] بيّن المفسر بعض وجوه المفارقة بين ألفاظ الآيتين مع أنّ القصة واحدة في السورتين، فقال: "لِمَ قال في البقرة: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ﴾ وفي الأعراف: ﴿ وَإِذۡ قِيلَ ﴾ لِأنّه صرح بالقائل في أول القرآن إزالة للإبهام، ولِأنّ الكلام مرتب على قوله: ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ﴾ وفي الأعراف لم يبق الإبهام. ولِمَ قال ههنا: ﴿ادخلوا﴾ وهناك ﴿اسكنوا﴾ ؟ لِأنّ الدخول مُقدم على السكون، والبقرة مُقدمة في الذكر على الأعراف...ولِم قال في البقرة: ﴿خطاياكم﴾ وفي الأعراف: ﴿ خطيئاتكم﴾ ؟ لِأنّ الخطايا جمع الكثرة، والخطيئات جمع السلامة للقلة، وقد أضاف القول ههنا إلى نفسه فكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة، وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجباً. ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا ﴿رَغَداً﴾ ليدل على الإنعام الأتم، و لم يذكر في "الأعراف"، ولِم قال ههنا ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ وفي "الأعراف" بالعكس؟ لِأنّ الواو للجمع المطلق، ولِأنّ المخاطبين صنفان: محسن ومذنب. واللائق بالمحسن تقدم العبادة والخضوع، ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وإزالة العجب. واللائق بالمسيء عكس ذلك، ولِأنّه ذكر في هذه ﴿ ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ فقدم كيفية الدخول.

ولِمَ قال في البقرة ﴿وسنزيد﴾ وفي الأعراف ﴿سنزيد﴾ ؟ لِأنه في الأعراف ذكر أمرين: "قول الحطة" وهو إشارة إلى التوبة، و"دخول الباب" وهو إشارة إلى العبادة. ثم ذكر جزاءين، أحدهما: الغفران، والآخر الزيادة، فترك الواو ليفيا توزيع الجزاءين على الشرطين. وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين، أعني دخول الباب وقول الحطة، فاحتيج إلى الواو وأيضاً الاتصال اللفظي حاصل في هذه السورة بين قوله: ﴿وإذ قلنا﴾ وبين قوله: ﴿وسنزيد﴾ بخلاف الأعراف. لِأنّ اللائق به في الظاهر سيزاد، فحذف الواو ليكون استئنافاً للكلام.

وما الفائدة في زيادة كلمة ﴿منهم﴾ في الأعراف ؟ لِأنّ أول القصة مبني على التخصيص: ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩ ﴾ [الأعراف: ١٥٩] فذكر أنّ منهم من يفعل ذلك، ثم عدد صنوف إنعامه وأوامره عليهم، فلما انتهت القصة قال: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ فهناك ذكر أمة

عادلة، وأمة جائرة؛ فصار آخر الكلام مطابقاً لِأوّله، وأما في البقرة فلم يذكر في أول الآيات تمييزاً وتخصيصاً حتى يلزم في آخر القصة مثل ذلك.

لِمَ قال في البقرة: ﴿فأنزلنا﴾ وفي الأعراف: ﴿ فأرسلنا﴾ ؟ لِأنّ الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر، والإرسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية، وذلك إنما يحدث بالآخرة. وقيل: لأن لفظ الإرسال في الأعراف أكثر فَرُوعي التناسب.

لِمَ قال في البقرة: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ وفي الأعراف: ﴿يَظْلِمُونَ﴾ ؟ لِأنه لمّا بيّن في البقرة كون الظلم فسقاً، اكتفى بذلك البيان في الأعراف. وأيضاً إنهم ظلموا أنفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى، فوصفهم بالأمرين في موضعين والله أعلم » [1]

وما يدخل في هذا الباب قوله: « فإن قيل: لِمَ قيل ههنا ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] وفي آل عمران: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] مُنكراً ؟ قلت: الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ما في **قوله:**ﷺ " لا يحل دمُ امرئٍ مسلمٍ إلاّ بإحدى ثلاث: كفرٌ بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتلُ نفسٍ بغير حق" [2] فالحق المعرف إشارة إلى هذا، وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم، أي: لم يكن هناك حقٌّ؛ لا هذا الذي يعرفه المسلمون، ولا غيره ألبتة » [3].

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠]

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥] قال أهل البرهان: إنما لم يقل في هذه الآية: ﴿بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ كما قال في آية القبلة على ما يجيء، لأن العلم في الآية الأولى علم كامل، ليس وراءه علم وهو العلم بالله وبصفاته وأن الهدى هدى الله، فكان لفظ " الذي" أليق؛ لأنه في التعريف أبلغ، فإن

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 295-296

[2] رواه البخاري في "الديات"، باب قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥] ، ومسلم في "القسامة"، باب ما يباح به دم المسلم.

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج 1 ص: 301. وينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص: 74-75

"الذي" تُعرّفُه صلته ولا يتنكر قط، ويلزمه الألف واللام، بخلاف "ما " فإنه نكرة، ولا يدخله الألف، واللام وخصت آية القبلة بـــ"ما" و "مِن" التي لابتداء الغاية، لِأنّ المراد هناك قليل من كثير العلم، وهو العلم بالقبلة وليس الأول مؤقتاً بوقت، أعني العلم بالله وبصفاته - فلم يحتج إلى زيادة "مِن" التوقيتية، وقريب من معنى القبلة ما في آل عمران﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [آل عمران: ٦١] فلهذا جاء بلفظ "ما " وزاد لفظة "مِن" وأمّا في سورة الرعد فإنه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [الرعد: ٣٧] لِأنّ العلم فيها هو الحكم العربي أي القرآن، فكأنه بعضاً من الأول وهو العلم بالله وبصفاته فجاء لفظ "ما" ولم يزد لفظ "مِن" التوقيتية، لأنه غير مؤقّت. والله أعلم بأسرار كلامه » [1].

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [البقرة: ١٢٦] وإنما قيل ههنا: ﴿ بَلَدًا ءَامِنٗا ﴾ على التنكير، وفي سورة إبراهيم: ﴿ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾ إمّا لِأنّ هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلداً فكأنه قال: واجعل هذا الوادي بلداً آمناً، وذاك الدعاء صدر وقد جُعِل بلداً فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته بلداً بلداً ذا أمن، وإمّا لِأنّ الدعوتين واحدة، والمراد اجعل هذا البلد بلداً آمناً، فيفيد مبالغة زائدة كقولك: "هذا اليوم يومٌ حارٌّ " معناه اجعله من البلدان الكاملة من الأمن بخلاف قوله: ﴿ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾ ففيه طلب الأمن نفسه » [2]

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ ﴾ [النساء: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ ﴾ [آل عمران: ١١٢] قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء ﴿ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ ﴾ لِأنّ جمع التكسير يفيد التكثير؛ فذكر في الموضعين- أعني في البقرة وفي أول السورة- ما يُنبىء عن القلة، مع أن ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة كالذين والصابئين وغيرهما، ثم تدرج إلى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الآخرين نعياً عليهم وتفظيعاً لشأنهم، ولمثل

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 382 وينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص: 77، و: أسئلة بيانية في القرآن الكريم: صالح فاضل السامرائي، مكتبة الصحابة- الشارقة-الإمارات: ط1: 2008م، ص: 18-19

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 394. وينظر: البحر المحيط: ج1 ص: 613

هذا عرّف الحق في البقرة إشارة إلى الحق الذي أذن الله أن تقتل النفس به وهو قوله: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١] »[1].

ويجعل النّيسابوري السياق القرآني الحكمَ الأوّل في معرفة أسرار المتشابه اللفظي ولطائفه، ومن ذلك تفريقه بين قوله تعالى في موضعٍ :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر: ٦٢] وقوله في موضعٍ آخر: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] قال: وإنما قال ههنا:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ وفي المؤمن بالعكس، لِأنّه وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات، فكان رفع الشرك أهم، وهنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والأرض، فكان تقديم الخالقية أهم »[2].

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] وقال: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص: ٧٥] وقال: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحجر: ٣٢] بين أسرار المتشابه في هذه الآيات فقال: حذف المنادى في السورة الأولى « لأنّ مضي ذكره هنا أقرب، فلم يحتج إلى إعادة اسم اللعين بالنّداء، قوله:﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ ﴾ وفي "ص"﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ ﴾ جمع بين لفظ المنع ولفظ "لا"... لِأنّه لّما حذف النّداء زاد لفظة "لا" زيادةً في النفي وإعلامًا بأنّ المخاطب به إبليس...قوله: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ الآية في "ص" مثله، كلاهما في جواب:﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾ظاهر، إلا أنّه زاد في الحجر لفظ الكون فقال:﴿ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ ﴾ [الحجر: ٣٣] ليكون مطابقاً للسُّؤال حيث قيل: ما لك أن لا تكون مع الساجدين؟

قوله: ﴿ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤] وفي "ص" وفي "الحجرّ ﴿ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ ﴾لِأنه لّما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر ههنا أيضاً على الخطاب، دون ذكر المنادى بخلاف السورتين. وأما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة؛ فلِأنّ داعية الفاء ما تضمنه النداء من أدعو وأنادي، نحو قوله: ﴿ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ ﴾ [آل عمران: ١٩٣] أي أدعوك فاغفر. فلمّا حذف النداء في هذه السورة تركت الفاء. وكذلك من قوله:﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥] ليطابق الجواب السؤال.

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 238- 239.

[2] المصدر نفسه: مج3 ص: 136.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قوله: ﴿ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ [الأعراف: ١٦] وفي الحجر: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ [الحجر: ٣٩] بزيادة النداء ليوافق ما قبله. وزاد في هذه السورة الفاء وكذا في "ص" ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ ﴾ [ص: ٨٢ ه] لزيادة الربط. و لم يمكن دخول الفاء في "ربِّ" لامتناع النداء منه لأن ذلك يقع مع السؤال والطلب.

﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا ﴾ [الأعراف: ١٨] ليس في القرآن غيره، وإنما اختص هذا الموضع بذلك؛ لأن اللعين بالغ في العزم على الإغواء فقال: ﴿ لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ ﴾ [الأعراف: ١٦] إلى آخره فبالغ الله جل وعلا في ذمه أشد الذم. قوله: ﴿ فكُلا ﴾ بالفاء وفي البقرة ﴿ وكُلا ﴾ لِأنّ اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكناً، وهذا لا يستدعى زماناً ممتداً يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه بل يقع الأكل عقيبه، وفي البقرة من السكون الذي يراد به الإقامة فلم يصلح إلا بالواو؛ فإن المعنى أجمعا بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها، ولو كان بالفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة. وإنما زاد في البقرة: "رغداً " لّما زاد في الخبر تعظيماً بقوله: "وقلنا".

قال بعض الأفاضل في الجواب عن هذه المسائل: إنّ اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء إذا أدى المعنى المقصود، وهذا جوابٌ حسنٌ إن رضيت به كفيت مؤنة السهر إلى السحر والله أعلم » [1].

وإنما قال في سورة يونس: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ﴾ [يونس: ٧٣] لِأنّ التشديد للتكثير ولفظة "مَن" أدل على العموم، ولهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والمــذكر والمؤنث بخلاف "الذين" » [2]

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ

---

[1] المصدر السابق: مج3 ص: 217. وينظر توجيه المتشابه اللفظي في هذه الآيات: ملاك التأويل:ج1 ص: 487 إلى ص:492

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج 3 ص: 268.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦٦ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨ ﴾ [الأعراف: ٥٩ – ٦٨] واعلم أن ألفاظ هذه القصة بعضها يوافق الألفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين أسرارها: فمنها قوله هناك: ﴿ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وههنا قال: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ﴾ والفرق أن نوحاً عليه السلام كان واظباً على دعوتهم، وما كان يؤخر الجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة، وأمّا هود فما كان جِدّه إلى هذا الحد؛ فلا جرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة هود. ويمكن أن يقال: لمّا أضمر"أرسلنا" أضمر الفاء لِأنّ الداعي إلى الفاء "أرسلنا" وفي الكشاف: أنّ هذا وارد على سبيل الاستئناف. ومنها قوله:﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ وفي قصة هود: ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ لِأنّ واقعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح؛ فوقع الاقتصار على ذلك، أي لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا.

ومنها: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ ﴾ وفي قصة هود: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ ﴾ إمّا أنّ هذا وصف وارد للذم لا غير، وإمّا أنه لم يكن في أشراف قوم نوح من يؤمن، وكان في أشراف قوم هود من آمن به. ومنها: أن قوم نوح قالوا: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ وقوم هود قالوا: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ ﴾ أي متمكناً منها تمكن المظروف من الظرف. وذلك أن نوحاً كان يخوّفهم بالطوفان العام وكان يشتغل بإعداد السفينة مدّة طويلة، فوصفوه بضعف الرأي، والبعد عن السّداد. وأمّا هود فما ذكر شيئاً. إلاّ أنه زيّف معتقدهم في عبادة الأصنام وطعن فيها؛ فقابلوه بمثله، ونسبوه إلى السفاهة وخفة العقل، حيث فارق دين قومه. ثم قالوا:﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ في ادعاء الرسالة. قيل: الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ ﴾ [البقرة: ٤٦] ... ومنها قول نوح: ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمۡ ﴾ وقال هود: ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ ﴾ وذلك لِأنه كان من عادة نوح عليه السلام العود إلى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة، وصيغة الفعل دلت على التجدد المستمر ولهذا قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴾ [نوح: ٥] إلى آخر الآيات. وأمّا هود فكان ثابتاً على النصح غير مجدد إياه لحظة فلحظة، كما كان يفعل نوح. ثم إن نوحاً عليه السلام قال:﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ لِأنّه كان يعلم من أسرار الله تعالى ما لم يصل إليه هود؛ فلا جرم أمسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه أميناً ثقة أي: عُرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فليس من حقي أن آتي بالكذب

جمعية أمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والغش. أو المراد تقرير الرسالة؛ فإنها تدور على الأمنة، أي: أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه » [1].

وبيّن المفسّر سبب بناء القصة في "الأعراف" على الاختصار وفي "الشعراء" على التطويل؛ فقال في سورة الشعراء: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ﴾ [الشعراء: ٣٥] ﴿ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٢] ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٠] وفي كل ذلك زيادة وأمّا قوله ههنا: ﴿ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ﴾ [الأعراف: ١١١] وهناك" وابعث" فلِأنّ الإرسال يفيد معنى البعث مع العلو؛ فخص هذه السورة بذلك، ليعلم أنّ المخاطب به فرعون دون غيره. وإنما قال ههنا: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٣] وفي طه والشعراء ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ بـــ"اللام" لِأنّ ضمير "به" في هذه يعود إلى رب العالمين، وفي السورتين إلى موسى، وقيل آمنت به وآمنت له واحد. وقال ههنا: ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٢٤] وفي السورتين: ﴿ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ لِأنّه لّما أفاد الترتيب كان العطف المطلق كافياً » [2].

واعلم أنّ أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معاً جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو النفع وهو الأصل؛ لِأنّ العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولاً، ثم طمعاً في ثوابه ثانياً يؤيده قوله: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦] وحيثما تقدّم النفع على الضر؛ فذلك لسابقة لفظ تضمن معنى نفع، كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ ﴾ [الكهف: ١٧] وتقدم الخير على السوء في قوله: ﴿ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وتقدم ذكر الطوع في قوله: ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣] والطوع نفع. وفي الفرقان تقدم قوله: ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ [الفرقان: ٥٣] وهو نفع. وفي سبأ تقدم البسط في قوله: ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦] وقس على هذا » [3].

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥] وقال: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [التوبة: ٨٥] إنما ذكر النهي ههنا بالواو وهناك بالفاء؛ لِأنّه لا تعلق له ههنا بما قبله، وهو موهم على حالة الفسق خلاف ما هنالك. وإنما قال ههنا:

---

[1] المصدر السابق: مج3 ص: 268- 269. وينظر: ملاك التأويل: ج1 ص: 517 إلى 531.

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3 ص: 302

[3] المصدر السابق: مج3 ص: 359.

﴿وَأَوۡلَٰدُهُمۡ﴾ بدون "لا" لِأنّ المراد هنالك الترقي من الأدون إلى الأعلى، وهو أن إعجاب أولئك الأقوام بأولادهم فوق إعجابهم بأموالهم كقولك: "لا يعجبني أمر النائب ولا أمر المنوب". وههنا أراد المعية فقط، إمّا اكتفاءً بما سبق هناك، وإمّا لِأنّ هؤلاء أقوام آخرون، لم يكن عندهم تفاوت بين الأمرين. وقيل: إنه هناك لما علق الثاني بالأول تعليق الجزاء بالشرط أكد معنى النهي بتكرار "لا " ، وإنما قال ههنا: ﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾ لِأنّه إخبارٌ عن قوم ماتوا على الكفر؛ فتلعق الإرادة بما هم فيه وهو العذاب. وأما في الآية المتقدمة فالمفعول محذوف وقد مر. وقيل: الفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال، وأنه أينما ورد حرف التعليل فمعناه "أن" وإنما حذف الحياة ههنا اكتفاءً بما ذكر هنالك، وقيل: تنبيهاً على أن الحياة الدنيا لا تستحق أن تسمى حياة لخستها » [1]

واعلم أنّه سبحانه ذكر آية السجدة في النحل بعبارة أخرى فقال: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [النحل: ٤٩] لِأنّه تقدم ذكر ما خلق الله على العموم ولم يكن فيه ذكر الملائكة ولا الإنس بالصريح فعمم لشمل الإنس وصرح بالملائكة. وقال في الحج:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحج: ١٨] بتكرير"من" لِأنه تقدم ذكر المؤمنين وسائر الأديان فقدم ذكر﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تعظيماً لهم ولها، وذكر ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لأنهم هم الذي تقدم ذكرهم. وأما في هذه السورة-الرعد- فقد تقدمت ذكر العلويات من الرعد والبرق، ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم، ثم انجر الكلام إلى ذكر الأصنام والكفار؛ فبدأ في آية السجدة بذكر من في السموات والأرض وذكر الأرض تبعاً ولم يذكر من فيها استخفافاً بالكفرة وأصنافهم فتبين أنه أورد كل آية بما لاق بمقامها والله تعالى أعلم بمراده » [2]

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨ ﴾ [طه: ١٢٨] وقال تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ٢٦ ﴾ [السجدة: ٢٦] وإنّما قال ﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ ﴾ بالفاء وفي السجدة بالواو، لِأنّ الكلام ههنا كالمتصل بقوله: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي ﴾ [طه: ١٢٤] وهناك كالمنفصل عن الإعراض، لِأنّه قال: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآ ﴾ [السجدة: ٢٢] وبعد ذلك أورد قصة موسى،

---

[1] المصدر نفسه: مج3 ص: 513-514، وينظر:كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين بن جماعة، ت: عبد الجواد خلف، دار الوفاء ــ المنصورة، ط1: 1990 م، ص: 196-197.

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج4 ص: 150.

فناسب الاستئناف بالواو، وأما حذف "مِن" ههنا وإثباته هنالك فلِما مر من أن "مِنْ" تفيد الاستيعاب وهنالك قد زاد في القرون بشرح قصة بني إسرائيل وما فيهم من الملوك والأنبياء »[1] .

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [ص: ٤٣] وقال: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٤] قال أهل البرهان: إنما قال في هذه السورة ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ وقال في "ص": ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ لِأنّه بالغ ههنا في الدعاء بزيادة قوله: ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فبالغ في الاستجابة لِأن لفظ "عند" يدل على مزيد التخصيص وأنه سبحانه تولى ذلك من غير واسطة »[2]

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان: ٣٠] وقال ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢] وإنما قال ههنا: ﴿ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ بزيادة "هو" وفي لقمان ﴿ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ لِأنّ هذا وقع بين عشر آيات كل آية مؤكدة مرة أو مرتين، ولهذا أيضاً زيدت اللام في قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحج: ٦٤] بخلاف ما في لقمان. وأيضاً يمكن أن يقال: تقدم في هذه السورة ذكر الشيطان؛ فلهذا ذكرت هذه المؤكدات بخلاف لقمان؛ فإنه لم يتقدم ذكر الشيطان هناك بنحو ما ذكر ههنا »[3] .

قال تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٣] وقال تعالى: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٩] وإنما قال في هذه السورة: ﴿ فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ ﴾ بالجمع بخلاف ما في الزخرف لتناسب قوله هنا: ﴿ مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٢١] ولتناسب قوله: "جنات" كما قال هنالك: ﴿ فَٰكِهَةٌ ﴾ [الرحمن: ١١] على التوحيد لتناسب قوله: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ﴾ [مريم: ٦٣] وإنما قال هنا في الموضعين: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ بزيادة الواو خلاف الزخرف لِأن تقدير الآية: منها تدخرون، ومنها تأكلون، ومنها تبيعون، ومنها ومنها، وليس كذلك فاكهة الجنة؛ فإنها للأكل فحسب فافهم »[4].

---

[1] المصدر نفسه: مج4 ص: 581.

[2] المصدر نفسه: مج5 ص: 44.

[3] المصدر السابق: مج5 ص: 95، وينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص: 182.

[4] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج 5 ص: 114

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال تعالى: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القصص: ٣٢] وقال تعالى: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النمل: ١٢] قوله: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ ﴾ وفي القصص: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ ﴾ موافقة لأضمم ولأن المبالغة في "ادخل" أكثر منها في "اسلك" لِأنّ سلك لازم ومتعد. وهناك قال: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ ﴾ وههنا قال: ﴿ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ ﴾ وكان أبلغ في العدد فناسب الأبلغ في اللفظ... وإنما قال ههنا ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ ﴾ دون أن يقول ﴿ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ كما في القصص؛ لِأنّ الملأ أشراف القوم وقد وصفهم ههنا بقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: ١٣ – ١٤] فلم يناسب أن يطلق عليهم لفظ ينبئ عن المدح »[1]

﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٥] وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٤] إنما قال في قصة نوح عليه السلام ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ ﴾ ولم يذكر الجعل ههنا، لِأنّ الخلاص من مثل تلك النار آية في نفسه، وأمّا السفينة فقد جعلها الله آية، بأن أحدث الطوفان وصانها عن الغرق، ويمكن أن يقال: "إنّ الصون عن النار أعجب من الصون عن الماء" فلذلك وحد الآية هناك وجمعها ههنا. وإنما قال هناك ﴿ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وههنا ﴿ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ لِأنّ تلك السفينة بقيت أعواماً حتى مرّ عليها الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل أحد. أو نقول: جنس السفينة حصلت بعد ذلك فيما بين الناس فكانت آية للعالمين. وأمّا تبريد النار فلم يبق من ذلك أثر فلم يظهر لمن بعده إلا بطريق الإيمان به »[2].

قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٢] وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وحين كان الكلام في "الأنعام" بعد ذكر الآخرة وما يجري فيها من الحيرة والحسرة قدم اللعب هنالك؛ لأن الاستغراق الكلي بالنسبة إلى أهل الآخرة أبعد فأخر

---

[1] المصدر السابق: مج5 ص: 294، وينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص: 192

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج5 ص: 381.

البعد. ولما كان المذكور ههنا من قبيل الدنيا، ولهذا أشار إليها بقوله: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ وقال في الأنعام: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ وهي خداعة، تدعو النفوس إلى الإقبال عليها بالكلية، فلا جرم قدم اللهو. ويحتمل أن يقال: إنه تعالى قدم اللعب على اللهو في موضعين من الأنعام، وكذلك في القتال ويقال لها سورة محمد ﷺ وفي الحديد. وقدم اللهو على اللعب في الأعراف و العنكبوت. فاللعب مقدم في الأكثر لأن اللعب زمانه الصبا، واللهو زمانه الشباب، وزمان الصبا مُقدّم على زمان الشباب » (1)

قال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾ [البقرة: ٧] و قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٣ ﴾ [الجاثية: ٢٣] قال بعض العلماء: قدم السمع على القلب في هذه الآية وبالعكس في البقرة؛ لِأنّ كفار مكة كانوا يبغضونه بقلوبهم وما كانوا يستمعون إليه، وكفار المدينة كانوا يلقون إلى الناس أن **النبي** ﷺ شاعر وكاهن وأنه يطلب الملك والرياسة، فالسامعون إذا سمعوا ذلك أبغضوه ونفرت قلوبهم عنه » (2).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون: ١ – ٦] ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ليس فيه إشكال؛ إنما الإشكال في قوله: ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ فأجيب بعد تسليم أنّ "ما " ليست أعم بأن المراد به الصفة كأنه قيل: لا أعبد الباطل ولكن أعبد الحق أو هي "ما " المصدرية على نحو ما مر، أو هي للطباق كقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن قيل: لّما كان المقام مقام التأكيد والمبالغة ولهذا كرر ما كرر، فلِمَ لم يقل "لن أعبد" كما قال أصحاب الكهف: ﴿ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ [الكهف: ١٤]؟ قلت: إن أصحاب الكهف كانوا مُتَّهَمين بعبادة الأصنام؛ لأنه قد وُجِد منهم ذلك قبل أن أرشدهم الله، وإن محمداً ﷺ لم يكن مُتّهماً بذلك قط فلم يحتج إلى المبالغة ب "لن" ثم أوّل السورة لما أشتمل على التشديد البليغ وهو النداء بالكفر والتكرير، فاشتمـــل آخرها على اللطف من

---

(1) المصدر نفسه: مج5 ص: 395-396. وينظر: ملاك التأويل: ج1 ص: 444-448

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج6 ص:113.

بعض الوجوه، كأنه قال: قد بالغت فيمنعكـــم من هذا الأمر القبيح، فإن لم تقبلوا قولي فاتركوني سواءً بسواءٍ » [1].

وغالبًا ما يقف المفسر عند الآية مبيّنًا الفرق بين كلماتها وكلمات واردة في آي أُخر مُحتكمًا إلى سياق النص القرآني، ومن ذلك بيانه للفرق بين "طغى" و"يطغى" في قوله تعالى:﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النازعات: ١٧] فإن قيل: لِمَ قال في حق فرعون ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾وفي حق أبي جهل ﴿لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦] ؟ قلنا: إنما أخبر بذلك عن فرعون قبل أن يلقاه موسى، وقبل أن يعرض عليه الأدلة، وأما هذه الآية فنزلت تسلية للنبي ﷺ حين رد أبو جهل عليه أقبح الرد. وأيضاً: إنّ فرعون مع كامل سلطته ما كان يؤذي موسى إلا بالقول، وأبو جهل مع قلة جاهه كان يقصد قتل النبي ﷺ وفرعون كان قد أحسن إلى موسى أولاً وقال آخراً: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [يونس: ٩٠] وأمّا أبو جهل فكان يحسد النبيﷺ في صباه وقال في آخر عمره: بلغوا عني محمداً أني أموت ولا أجد أبغض إليّ منه » [2]

وما يلاحظ على النيسابوري أنّه قد أطال النّفَس في بيان المتشابه اللفظي، وذَكر في ذلك فوائد، منها ما هو منقولٌ عن غيره، ومنها ما هو وليد اجتهاداته، وخاصة ما تعلّق منها بالقصص القرآني، وهي على أية حال مظاهر تُرينا أن تفسيره قد أولى هذا النوع من علوم القرآن اهتمامًا بالغًا حتى أصبح من جملة السّمات التي يتّصف بها هذا التفسير.

المبحث الثاني: التناسب بين الآيات والسور.

إنّ النّهج الذي سلكه القرآن الكريم في عرضه للقضايا مخالفٌ لكل ما عرفته المناهج البشرية، التي اعتادت في مناهجها على بناء موضوعاتها وفق منهج يحكمه التّبويب والتّقسيم والترتيب، ولّما كانت أحسن الموضوعات البشرية عرضًا، هي التي تكون مُرتّبة ترتيبًا منطقيًّا خاليًّا من التّناقض والتداخل والاضطراب، فإنّ آي القرآن من هذه الناحية، ذات موضوعات متعددة، ومقاصد شتى، فنراه يخاطب بالموعظة تارةً، والقصة تارةً، والتشريع تارةً أخرى، يذكر طرفًا من الموضوع ثم يتركه، إلى موضعٍ آخر، وليس الأمر غريبًا فالنّص القرآني أكثر من أن يكون كتابًا مُتخصّصًا في علم من العلوم، أو في عرضِ فنٍّ من الفنون، فهو كتاب تشريعٍ وهداية وتوجيه، ثم

---

[1] المصدر نفسه: مج6 ص: 582-583

[2] المصدر السابق: مج6 ص: 530.

إنّ « الْقُرْآنَ لَيْسَ كِتَابًا فَنِّيًّا فَيَكُونُ لِكُلِّ مَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِهِ بَابٌ خَاصٌّ بِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ كِتَابُ هِدَايَةٍ وَوَعْظٍ يَنْتَقِلُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ شَأْنٍ مِنْ شِئُونِهِ إِلَى آخَرَ، وَيَعُودُ إِلَى مَبَاحِثِ الْمَقْصِدِ الْوَاحِدِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ، مَعَ التَّفَنُّنِ فِي الْعِبَارَةِ، وَالتَّنْوِيعِ فِي الْبَيَانِ » (1)

ولا شكّ أنّ هذا العرض الفريد للموضوعات قد استرعى اهتمام الدارسين -قديمًا وحديثًا- فانكبُّوا على دِراستِهِ، وأفردوا له بابًا مستقِلاًّ، يُحدِّدُ معالمهُ، ويسبر أغوارهُ، أطلقوا عليه: "علم المناسبات"

والمناسبة في اللغة: المُشاكَلة، والمُقاربة، قال ابن فارس: « النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها: اتصال شيءٍ بشيءٍ، منه النّسب، سمى لاتّصاله وللاتّصال به، تقول: نسبتُ، أنسِبُ، وهو نسيبُ فُلان، ومنه: النّسيب في الشّعر إلى المرأة؛ كأنّه ذِكرٌ يتّصلُ بها، والنّسيبُ: الطريق المستقيم، لاتّصال بعضه من بعض » (2)

ويمكن استخلاص المعنى **الاصطلاحي** من خلال أقوال العلماء بأنّه: علمٌ يُعرف به ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، مُتّسِقة المعاني، مُنتظمة المباني، يربطها رابِطٌ عامٌّ أو خاص، عقلي أو حِسّي أو خيالي، أو غيره من أنواع العلاقات أو التلازم (3)

وذكر فخر الدين الرازي « أنّ أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط » (4)

ولهذا قيل: « المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول » (5)

وتُشير المصادر إلى أنّ أوّل من اهتم بهذا العلم كان الإمام " أبو بكر النيسابوري" (6) وكان يقول إذا قُرئت عليه الآية: لِمَ جُعِلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السّورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزري على علماء بغداد لِعدم علمهم بالمناسبة » (7) .

ومما تجدر الإشارة إليه – في هذا المقام- هو أنّ البحث عن أوجه المناسبة بين آي القرآن الكريم وسُوَره، مبني على أساس متين يتمثــل في أنّ ترتيب سور القرآن توقيـــفي، كما هو الحال في

---

(1) تفسير المنار: ج2 ص: 357.

(2) معجم مقاييس اللغة: ج5 ص: 423-424

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج1 ص: 36-35.

(4) التفسير الكبير: ج10 ص: 110.

(5) البرهان في علوم القرآن: ج1 ص: 35

(6) هو أحمد بن إسحاق بن أيوب، أبو بكر النيسابوري المعروف بالصبغي: فقيه شافعي، من أهل نيسابور (ت: 34هـــ). له تصانيف منها " الأسماء والصفات" و" الإيمان والقدر" و" فضائل الخلفاء الأربعة" ... الأعلام: ج1 ص: 90.

(7) البرهان في علوم القرآن: ج1 ص: 36

ترتيب آياته » [1]

وعلى هذا « فقد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لِأنّها على حسب الوقائع متفرقة، وفصل الخطاب أنّها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا » [2]

ومعرفة المناسبات التي تحكم موضوعات النص القرآني يتم بالنظر في سياق الآية أو المقطع أو السورة عمومًا، وهو خير عون على معرفة وجوه التناسب، بل هو العون الأكبر، إذ لا يمكن أن يتم الفهم إلاّ في ضوئه « والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له » [3]

ونجد الإمام السيوطي يُقرّر قاعدةً هامة في بيان وجه المناسبة، وأنّه متوقّفٌ على معرف سياقها فقال: « قال بعض المتأخرين: الأمر الكلّي المفيد لِعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنّك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات، إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبيّن لك وجه النّظم مُفصّلاً بين كُلّ آيةٍ وآية، وفي كُلّ سورةٍ » [4]

1- التناسب بين الكلمات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] أما قوله: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فيفيد الحصر أي لا يتوكلون إلا على ربهم، وهذه الصفات مرتبة على أحسن جهات الترتيب؛ فالأولى الفزع من عقاب الله، والثانية الانقياد لتكاليفه، والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه.

---

(1) المصدر نفسه: ج1 ص: 260، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي، ت: على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية ــ بيروت: 1415 هـــ، ج1 ص: 27.

(2) البرهان في علوم القرآن: ج1 ص: 36.

(3) المصدر نفسه: ج1 ص: 37.

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت– 1995 م، ج1 ص: 11

ثم لما فرغ من أعمال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم بأعمال الجوارح، وذكر منها رأسها وسنامها، وهما الصلاة والصدقة، ثم عظمهم بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا ﴾ وفي ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ وفي توسيط الفصل، وتعريف الخبر، وإيراد ﴿ حَقّٗا ﴾ من المبالغات ما لا يخفى »[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾ التوبة: ١١١ وفي الآية أنواع من التوكيدات: فأوّلها قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ ﴾ وإذا كان المشتري هو الإله الواجب الذات المتصف بجميع الكمالات، المُفيض لك الخيرات، فما ظنُّك به، ومنها أنه عبّر عن إيصال الثواب بالبيع والشراء، حتى يكون حقاً مؤكداً. ومنها أنه قال: ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ بحرف التحقيق وبلام التمليك، دون أن يقول بالجنة. ومنها قوله: ﴿ وَعۡدًا ﴾ و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ إنّه لا يخلف الميعاد، ومنها قوله: ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ وكلمة "على" للوجوب ظاهراً. ومنها قوله: ﴿ حَقّٗا ﴾ وهو تأكيد التحقيق. ومنها قوله: ﴿ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ وإنه يجري مجرى الإشهاد لجميع الكتب الإلهية وجميع الأنبياء والرسل هذه المبايعة. ومنها قوله: ﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ وفيه تنبيه على أنه لا يكذب ولا يخلف ألبتة. ومنها قوله: ﴿ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ ﴾ والبشارة الخبر الصدق الأول. ومنها قوله: ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ﴾ ثم وصف الفوز بـــ ﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ »[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ [يوسف: ٢٣] إنّ المرأة لما ذكرت هذا الكلام، أجاب يوسف عليه السلام بثلاثة أجوبة: الأول: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ وهو من المصادر التي لا يجوز إظهار فعلها، أي أعوذ بالله معاذاً، وفيه إشارة إلى أن حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل، الثاني: ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ والضمير للشأن ﴿ رَبِّيٓ ﴾ أي سيدي ومالكي بزعمهم واعتقاهم، وإلا فيوسف كان عالماً بأنه حر والحر لا يصير عبداً بالبيع، أو المراد التربية أي الذي رباني ﴿ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ حين قال: ﴿ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ ﴾ [يوسف: ٢١] وفي هذا إشارة إلى أن حق الخلق أيضاً يمنع عن ذلك العمل. وقيل: أراد بقوله: ﴿ رَبِّيٓ ﴾

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3 ص: 374.

(2) المصدر نفسه: مج3 ص: 535.

الله تعالى لأنه مسبب الأسباب. الثالث قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الذين يُجازون الحسن بالسيئ، أو أراد الذين يَزنون لأنهم ظلموا أنفسهم. وفيه إشارة إلى الدليل العقلي؛ فإن صون النفس عن الضرر واجب، وهذه اللذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة، فعلى العاقل أن يحترز عنها فما أحسن نسق هذه الأجوبة » [1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ جمع لأن الطائفتين في معنى القوم، أو الناس، أو لِأنّ أقل الجمع اثنان فرجع إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم... والطائفة الجماعة وهي أقل من الفرقة لقوله: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ [التوبة: ١٢٢] وارتفاعها بمضمر دل عليه ما بعده، أي: إن اقتتلت طائفتان، واختير "إنْ" دون "إذا" مع كثرة وقوع القتال بين المؤمنين ليدل على أنّه مما ينبغي أن لا يقع إلا نادراً، وعلى سبيل الفرض والتقدير، ولهذه النكتة بعينها قال: "طائفتان" و لم يقل "فريقان" تحقيقاً للتقليل كما قلنا. وفي تقديم الفاعل على الفعل إشارة أيضاً إلى هذا المعنى؛ لِأنّ كونهما طائفتين مؤمنتين يقتضي أن لا يقع القتال بينهما، ولهذا اختير المضيّ في الفعل، و لم يقل: "يقتتلون" لئلا ينبىء عن الاستمرار، وفيه أيضاً من التقابل ما فيه... قال بعض العلماء: إنما قال: "اقتتلوا" على الجمع و لم يقل: "فأصلحوا بينهم" لِأنّ عند القتال يكون لكل منهم فعلٌ برأسه، أمّا عند العود إلى الصلح فإنه تتفق كل طائفة، وإلاّ لم يتحقق الصلح؛ فكان كل من الطائفتين كنفس واحدة، فكانت التثنية أقعد » [2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر: ١ – ٣] في الآية أصناف من المبالغة منها: التصدير بـ ﴿ إِنَّآ ﴾ ومنها الجمع المفيد للتعظيم، ومنها لفظ الإعطاء دون الإيتاء ففي الإعطاء دليل التمليك دون الإيتاء، ولهذا حين قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ [الحجر: ٨٧] كان أمته مشاركين له في فوائدها و لم يكن له منعهم منها. ومنها صيغة المضي الدالة على التحقيق في وعد الله تعالى كما هي عادة القرآن، ومنها لفظ "الكوثر" وهو مبالغة في

(1) المصدر السابق: مج4 ص: 78.

(2) المصدر نفسه: مج6 ص: 162-163، وينظر: التفسير الكبير: ج28 ص: 104-105-106.

الكثرة بزيادة الواو "كجدول" فيشمل خيرات الدنيا والآخرة، إلاّ أن أكثر المفسرين خصوه فحملوه على أنه اسم نهر في الجنة » [1].

ويبين النيسابوري وجهًا آخر من وجوه التناسب في هذه الآيات فقال: « واعلم أن هذه الخاتمة تقع على ثلاثة أوجه: أحدها: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ بغير "هو" وإنه في ستة مواضع: في "براءة" موضعان، وفي " النساء" و"المائدة" و"الصف" و"التغابن" وما في "النساء" بزيادة واو. والآخر: ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ﴾ بزيادة "هو" وذلك في ستة مواضع أخرى في "براءة" موضعان، و "يونس" و "المؤمن" و "الدخان" و "الحديد" وما في "براءة" أحدهما: بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الآية، وكذلك ما في "المؤمن". وسبب هذا الاختلاف أن الجملة إذا جاءت بعد جملة من غير تراخٍ بنزول جاءت مربوطة إما بواو العطف، وإما بكناية تعود من الثانية إلى الأولى، وإما بإشارة فيها إليها. وربما جمع بين الشيئين منها والثلاثة للدلالة على المبالغة. وقد جمع في هذه الخاتمة بين الثلاثة لغاية التوكيد والمبالغة، أو لأنه ذكر الكتب الثلاثة؛ فكل رابطة في مقابلة كتاب واحد. وكذلك في "المؤمن". ووقع الثلاثة في مقابلة ثلاثة أدعية: ﴿ فَٱغۡفِرۡ ﴾ ﴿ وَقِهِمۡ ﴾ ﴿ وَأَدۡخِلۡهُمۡ ﴾ [غافر: ٧ – ٨] » [2]

2-التناسب بين الآيات:

قوله عز من قائل: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] في النظم وجهان: أحدهما أنّه لما أمر المؤمنين بما أمر ونهاهم عما نهى، عدل إلى طريق آخر يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة؛ لِأنّ كونهم خير الأمم مما يقوّي داعِيتهم في أن لا يبطلوا على أنفسهم هذه المزية، وذلك إنما يكون بالتزام التكاليف الشرعية، وثانيهما أنه لما ذكر حال الأشقياء وحال السعداء، نبه أوّلاً على ما هو السبب لوعيد الأشقياء بقوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٨] بمعنى: أنهم استحقوا ذلك بأفعالهم القبيحة » [3].

ويقول الرجل في نهاية تفسيره لسورة البقرة: « إنه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الأصول وفي دلائل التوحيد والحج والجهاد وأشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلاة والزكاة والقصاص والبيع والربا والمداينة، ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله: ﴿ لِّلَّهِ

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج 6 ص: 575.

(2) المصدر نفسه: مج3 ص: 535.

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 232-233. وينظر في وجه مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج2 ص: 135. والتفسير الكبير: ج8 ص: 323.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] وعلى كمال علمه وهو قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ وعلى كمال قدرته وهو قوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين، ونهاية الوعيد للمذنبين »[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [المائدة: ٩٧] وكل ذلك لأن الله تعالى أوقع في قلوبهم تعظيم الكعبة وما يتعلق بها، ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قياماً للناس، أو من حفظ حرمة الإحرام، والحرم مشروع. ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وذلك أنه علم في الأزل أن مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة، وكان ذلك مما يفضي إلى الفناء وانقطاع النسل، فدبر هذا التدبير المحكم والفعل المتقن كي يصير سبباً للأمان في بعض الأمكنة وفي بعض الأزمان فتستقيم مصالح الإنسان. ولا ريب أن مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح إلا ممن يعلم الكائنات أسبابها وغايتها، بل يعلم المعلومات بأسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها، عللها ومعلومها، موجودها ومعدومها، وذلك قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فما أحسن هذا الترتيب »[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠] من وجوه المناسبة الواردة بين الآيات قوله: « ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ السورة أو في هذه الأنباء ﴿ٱلْحَقُّ﴾ وهو: البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والوسط والمعاد ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ وهي الدلائل المقنعة الموقعة للتصديق بقدر الإمكان، والأول للخواص أنفع والثاني للعوام أنجع. ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهي الإرشاد إلى الأعمال الصالحة النافعة في الآخرة المحصلة لما هنالك من السعادة، فإنّ حسن هذا الدين معلوم لمن رجع إلى نفسه، وعمل بمقتضى تذكره وفكره. وأعلم أن المعارف الإلهية لا بُد لها من قابل وفاعل، وقابلها القلب، وإنّه ما لم يكن مستعداًّ لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل وورودها عليه، فلهذا السبب قدم ذكر إصلاح القلب وعلاجه وهو تثبيت الفؤاد، ثم عقبه

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 84.

(2) المصدر نفسه: مج3 ص: 22، وينظر: التفسير الكبير: ج12 ص: 439. والبحر المحيط: ج4 ص: 372.

بذكر المؤثر الفاعل وهو مجيء هذه السورة بل آية منها وهي قوله: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ [هود: ١١٢] مشتملة على الحق والموعظة والذكرى، وهذا ترتيب في غاية الحسن » (1)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ ﴾ [طه: ١١٥ – ١١٦] إلى آخر القصة يقول: « في تعلق قصة آدم بما قبلها وجوه منها: أنه لما قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَ ﴾ [طه: ٩٩] ثم عظم شأن القرآن وبالغ فيه، ذكر القصة إنجازاً للوعد. ومنها أنه لمّا قال: ﴿ وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ ﴾ [طه: ١١٣] أردفه بهذه القصة ليعلم أن طاعة بني آدم للشيطان أمر قديم وخلة موروثة، وذلك أنه عهد إلى آدم من قبل هؤلاء الذين صرف لأجلهم الوعيد، فنسي وترك العهد. ومنها أن قوله: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ [طه: ١١٤] دليل على أنه ﷺ زاد على قدر الواجب في رعاية أمر الدين، وكان مفرطاً في أداء الرسالة، وحفظ ما أمر به؛ فناسب أن يعطف عليه قصة آدم؛ لأنه كان موسوماً بالتفريط. والإفراط والتفريط كلاهما من باب ترك الأولى، وإذا كان أوّل الأنبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فما ظنُّك بغيرهما. ومن هنا يعرف أفضلية الخاتم؛ فإنه سعى في طلب الكمال إلى أن عوتب بالخروج عن حد الاعتدال، وآدم توسط في حيز النقصان فلا جرم وُسم بالظلم والعصيان. ومنها أن محمداً ﷺ أمر بأن يقول: ﴿ رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٤] ثم ذكر عقيبه قصة آدم، تنبيهاً على أن بني آدم مفتقرون في جميع أحوالهم إلى التضرع واللّجأ إلى الله حتى ينفتح عليهم أبواب التيسير في العلم والعمل » (2).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾ [الفرقان: ١] إنّه سبحانه تكلم في هذه السورة أولاً في التوحيد لأنه أقدم وأهم، ثم في النبوة لأنها الواسطة، ثم في المعاد وسيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما أشرف هذه المطالب، وما أحسن هذا الترتيب » (3)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥ ﴾ [الإسراء: ٥٥] وإنما ختم الآية بقوله: ﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ ليُعلم أن التفضيل ليس بالمال والملك، وإنما هو بالعلم والدين؛ فإنّ داود كان ملكاً عظيماً و لم يذكره الله سبحانه إلا بمزية إيتاء الكتاب. وفيه أيضاً إشارة إلى أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وأمته خير الأمم بدليل قوله: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج4 ص: 60.

(2) المصدر نفسه: مج4 ص: 576. وينظر: التفسير الكبير: ج22 ص: 105.

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج5 ص: 220.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] أي محمد وأمته. ومعنى التنكير في ﴿زَبُورًا﴾ أنه كامل في كونه كتاباً » (1)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾ [الشعراء: ٥ – ٦]. نبّه سبحانه بذلك على أنّهُ مع اقتداره على أن يجعلهم ملجئين إلى الإيمان، حكيم يأتيهم بالقرآن حالاً بعد حال رعاية لقاعدة التكليف. ثم ذكر أنّه تعالى لا يحدد لهم توجيه موعظة وتذكير إلا جددوا ما هو نقيض المقصود، وذلك النقيض هو الإعراض والتكذيب والاستهزاء، وهذا ترتيب في غاية الحسن، كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر: فقد كذبوا به، وحين كذّبوا به فقد خفّ عندهم قدْرُه حتى صار عُرضةً للاستهزاء. وهذه درجات من أخذ في الشقاء؛ فإنه يُعرض أوّلاً، ثم يُصرّح بالتكذيب ثانياً، ثم يبلغ في التكذيب والإنكار إلى حيث يستهزئ » (2).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [الجمعة: ٦] قال أهل النظم: قد أبطل الله تعالى قول اليهود في ثلاث: زعموا أنهم أولياء لله فكذبهم بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ وافتخروا بأنهم أهل الكتاب، والعرب لا كتاب لهم؛ فشبههم بالحمار يحمل أسفاراً ، وباهوا بالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع لنا الجمعة » (3).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة: ٥٧ – ٧٣]

وأعلم أنه سبحانه بدأ في هذه الدلائل بذكر خلق الإنسان؛ لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم. ثم أعقبه بذكر ما فيه قوام الناس وقيام معايشهم وهو الحَب، ثم أتبعه الماء الذي به يتم العجين. ثم

(1) المصدر السابق: مج 4 ص: 359.

(2) المصدر نفسه: مج5 ص: 264.

(3) المصدر نفسه: مج6 ص: 300، وينظر: التفسير الكبير: ج30 ص: 542.

ختم بالنار التي بها يحصل الخبز، وذكر عقيب كل واحد ما يأتي عليه ويفسده؛ فقال في الأولى:﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ وفي الثانية: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا ﴾ وفي الثالثة:﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا ﴾ ولم يقل في الرابعة ما يفسدها بل قال: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً ﴾ تتعظون بها ولا تنسون نار جهنم... وفي نسق هذه الآيات بشارة للمؤمنين؛ وذلك أنه سبحانه بدأ بالوعيد الشديد، وهو تغيير ذات الإنسان بالكلية في قوله: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ ﴾ ثم ترك ذلك المقام إلى أسهل منه وهو تغير قوته ذاتاً فقال:﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا ﴾ ثم عقبه بأسهل وهو تغيير مشروبه نعتاً لا ذاتاً؛ ولهذا حذف اللام في قوله:﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا ﴾... ولذلك أنّ الماء باقٍ ههنا فيكون التعليق حقيقة بخلاف الزرع؛ فإنه بعد أن حُصد صار التعليق المذكور وهمياً فافهم. ثم ختم بتذكير النار، وفيه وعد من وجه ووعيد من وجه. أما الأول: فلأنه لم يُبين ما يفسدها كما قلنا يدل على أن الختم وقع على الرأفة والرحمة. وأما الثاني: فلأن عدم ذكر مفسدها يدل على بقائها في الآخرة » [1].

3-التناسب بين السور:

ومن تأمّل مطالع معظم سُور القرآن التي تتّسم بالطول نِسبيًّا؛ وجد هذا الأمر مُطّردًا على نحوٍ يجعلنا نجزم بوجود مقصود عظيم وراء ذلك، وكلّما كانت السّورة مجالاً فسيحًا لِتعدّد موضوعاتها كلّما كان التأكيد على عظمة القرآن أشد، والتّنبيه على إحكامه وإعجازه أقوى [2]

ومن النماذج التي أوردها المفسّر فيما يتعلّق بمناسبة السورة القرآنية للتي تليها قوله-في معرض تفسيره لسورة البقرة- « وحاصل الدعوة أمور سبعة تشتمل عليها خواتيم سورة البقرة، أربعة منها تتعلق بالمبدأ وهي: معرفة الربوبية، أعني معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] واثنان منها تتعلق بالوسط أحدهما مبدأ العبودية ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾والثاني: كمال العبودية وهو الالتجاء إلى الله وطلب المغفرة منه ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ وواحد يتعلق بالمعاد، وهو الذهاب إلى حضرة الملك الوهاب ﴿ وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب في الدعاء والتضرع أولها:﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ ﴾ فضد النسيان هو الذكر ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤] وهذا الذكر إنما يحصل

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج6 ص: 244.

[2] ينظر:وحدة النّسق في السورة القرآنية: رشيد الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد1428/3هـ، ص: 143.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بقوله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ وثانيها: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ ودفع الإصر والثقل يوجب: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ وثالثها: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾. ذلك إشارة إلى كمال رحمته: ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفاتحة: ٣] ورابعها: ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ لِأنّك أنت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة: ٤].وخامسها: ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا ﴾ لأنا التجأنا بكليتنا إليك وتوكلنا في جميع الأمور عليك: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥]. وسادسها: ﴿ وَارْحَمْنَا ﴾ لِأنّا طلبنا الهداية منك: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦] وسابعها: ﴿ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٧] »[1]

إنّه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب، نبيّن في آخرها أن الذين مدحتهم في أول السورة هم أمة محمد: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ثم قال ههنا: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ كما قال هناك: ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣] وقال ههنا: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ كما قال هنالك: ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤] ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم إلى ربهم بقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ﴾ البقرة: ٢٨٦ إلى آخر السورة، كما قال هناك: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة: ٥] أو نقول: إنه سبحانه لمّا ذكر في هذه السورة أنواع الشرائع والأحكام، بيّن أن الرسول اعترف لمعجزة جلت على صدق الملك أن ذلك وحي من الله وصل إليه، وأن الذي أخبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف وليس بشيطان مضل، ثم ذكر عقيبه إيمان المؤمنين بذلك لمعجزات أظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الأمة بها على أنه صادق في دعواه وهو المرتبة المتأخرة، ومن تأمل في نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم مبانيه. ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك »[2].

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 113- 114.

[2] المصدر السابق: مج 2 ص: 85-86. وينظر: التفسير الكبير: ج7 ص: 106.

ومن غرائب القرآن أن فيه سورتين صدرهما: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ إحداهما: في النصف الأول وهي الرابعة من سُوره–وهي النساء– والأخرى: في النصف الثاني وهي أيضاً في الرابعة من سوره–وهي الحج– ثم التي في النصف الأول مُصدّرة بذكر المبدأ: ﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم ﴾ [النساء: ١] اتقوا والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد: ﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١] ثم إنه تعالى علل الأمر بالتقوى بأنه خلقنا من نفس واحدة » [1].

واعلم أنه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨] صدّر هذه السورة–يونس– بتعديد بعض الحروف على طريق التحدي، وذلك أن حروف القرآن من جنس الحروف التي يتلفظون بها، فلولا أنه معجز لعارضوه وناقضوه. ولّما بيّن بهذا الطريق أن محمداً رسولٌ حقٌ من عند الله؛ أنكر على كفار قريش تعجبهم من كونه رسولاً فقال: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ [يونس: ٢] ... وفائدة اللام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ مع تقديمه، هي أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتحدثون بها، ثم إنّ تعجبهم إما أن يكون من جعل البشر رسولاً أو من تخصيص ﷺ بالوحي والنبوة روي أنهم كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلاّ يتيم أبي طالب » [2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ ﴾ [الكهف: ١] ألصق الحمد والتكبير المذكورين في آخر السورة المتقدمة– الإسراء– بالحمد على أجزل نعمائه على العباد وهي نعمة إنزال الكتاب على ﷺ. قال بعض العلماء: نزه نفسه في أوّل سورة "سبحان" عمّا لا ينبغي، وهو إشارة إلى كونه مكملاً في ذاته، وحمد نفسه في أول هذه السورة وهو إشارة إلى كونه مكملاً لغيره، وفيه تنبيه على أنّ مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية، موافقاً لما ورد في الذكر "سبحان الله والحمد لله" » [3]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١] والمراد اقترب للناس وقت حسابهم وهو القيامة كقوله: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [القمر: ١] فإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 399. وينظر: التفسير الكبير: ج 9 ص: 476.
[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج3 ص: 554.
[3] المصدر السابق: مج 4 ص: 403.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فيها من الحساب وغيره، كأنه لّما هدد في خاتمة السورة المتقدمة بقوله: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ [طه: ١٣٥] بين في أول هذه السورة أنّ وقت ذلك العلم قريب »(1).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ﴾ [النور: ١] لّما أمر رسول الله ﷺ في خاتمة السورة المتقدمة –المؤمنون- بطلب المغفرة والرحمة وطلبه يستلزم مطلوبة لا محالة، بدليل سل تُعطَ، أردفه بذكر ما هو أصل كل رحمة ومنشأ كل خير فقال: ﴿ سُورَةٌ ﴾ أي: هذه سورة ﴿ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا ﴾ »(2)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾ [العنكبوت: ١ – ٢] إنه سبحانه لما قال في خواتيم السورة المتقدمة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥] أي إلى مكة ظاهراً ظافراً، وكان في ذلك الرد من احتمال مشاق الحوادث ما كان. قال بعده: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ بالجهاد، أو نقول: لّما أمر بالدعاء إلى الدين القويم في قوله: ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ [القصص: ٨٧] وكان دونه من المتاعب وأعباء الرسالة مالا يخفى، بدأ السورة بما يهوّن على النفس بعض ذلك. وأيضاً: لّما بين أنّ كل هالك له رجوع إليه، ردّ على منكري الحشر بأن الأمر ليس على ما حسبوه، ولكنهم يُكلفون في دار الدنيا، ثم يرجعون إلى مقام الجزاء والحساب »(3).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ ﴾ [محمد: ١] قال أهل النظم: إن أول هذه السورة مناسب لآخر السورة كأنه قيل: كيف يهلك الفاسق إن كان له أعمال صالحة ؟ فأجاب: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ ﴾ منعوا الناس عن الإيمان صداً أو امتنعوا عنه صدوداً ﴿ أَضَلَّ ﴾ الله ﴿ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي: أبطل ثوابها، وكانوا يصلون الأرحام، ويطعمون الطعام، ويعمرون المسجد الحرام »(4)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾ [الفتح: ١ – ٢] قال أهل النظم: لأوّل هذه السورة مناسبة تامة مع آخر السورة المتقدّمة وذلك أنه قال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ ﴾ [محمد: ٣٨] إلى آخره؛ فبين بعد ذلك أنه فتح لهم

(1) المصدر نفسه: مج5 ص: 4.
(2) المصدر نفسه: مج5 ص: 141.
(3) المصدر السابق: مج5 ص: 368.
(4) المصدر نفسه: مج6 ص: 128.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مكة، وغنموا ديارهم، وحصل لهم أضعاف ما أنفقوا، ولو بخلوا لضاعت عنهم هذه الفوائد. وأيضاً لما قال: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾ [محمد: ٣٥] بين برهانه بصلح الحديبية أو بفتح مكة، وكان في قوله: ﴿ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ ﴾ [محمد: ٣٥] إشارة إلى ما جرى يوم الحديبية من أنّ المسلمين صبروا إلى أن طلب المشركون الصلح.

سؤال: ما المناسبة بين الفتح والمغفرة حتى جعلت غاية له ؟ الجواب: الغاية هي مجموع المغفرة وما ينعطف عليها كأنه قيل: يَسّرنا لك فتح مكة وغيره من الفتوح ليجمع لك بين عِز الدّارين وأغراض العاجل والآجل » (1).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ [القمر: ١] **وقَالَ تَعَالَى:** ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ ﴾ [الرحمن: ١ – ٢] افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على الهيبة والعظمة وهي انشقاق القمر. وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والعناية، وهي القرآن الكريم الذي فيه شفاء القلوب والطهارة عن الذنوب، وهو أسبق الآلاء قدماً وأجل النعماء منصباً. وبين السورتين مناسبة أخرى من جهة أنه ذكر هناك ما يدل على الانتقام والغضب كقوله: ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٩ ﴾ [القمر: ٣٩] وقوله: ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٢١ ﴾ [القمر: ٢١] وذكر في هذه السورة بعد تعداد كل نعمة: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾ مرة بعد مرة، وتذكير النِّعمة على نعمة؛ لِأنها مما توقظ الوسنان وتنبه أهل الغفلة والنسيان » (2)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧ ﴾ [الماعون: ١ – ٧] و **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر: ١ – ٣] هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة، لِأنّ تلك مثال لكون الإنسان في خسر، وهذه للمستثنين منهم بل لأشرفهم وأفضلهم وهو النبي ﷺ بل له ولشانئيه، فكأنها مثال للفريقين جميعاً .هذا وجه إجمالي. وأما الوجه التفصيلي فقوله: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ أي الخير الكثير. وقع في مقابلة "الدّع والمنع" من الإطعام وقوله: ﴿ فَصَلِّ ﴾ أي دم على الصلاة وقع بإزاء قوله: ﴿ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ وقوله: ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ مكان قوله: ﴿ يُرَآءُونَ ﴾ وقوله: ﴿ وَٱنۡحَرۡ ﴾ والمراد به التصدق

(1) المصدر نفسه: مج 6 ص: 144.

(2) المصدر السابق: مج6 ص: 227.

بلحوم الأضاحي بحذاء قوله: ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ ثم ختم السورة بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ أي الذي تضاد طريقته طريقتك سيزول عنه ما يفتخر به من المال والجاه والأحساب والأنساب ويبقى لك ولمتابعيك الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى » [1].

والدلائل على تميّز سور القرآن بهذه السِّمة متوافرةٌ بشكلٍ يجعلها ملمحًا واضحًا من ملامح إعجاز القرآن، وهذه الفوائد تُنبئُ عن أهمية دراسة نسق السور القرآنية وجعله ركيزةً هامّة في فهم أسرار النص القرآني، ولا شك أنّ تزايد الاهتمام بنسق السورة القرآنية وارتباط أجزائها يُعدُّ إثراءً لعلم التفسير وتوسيعًا لطرائق التعامل مع القرآن الكريم، وتدبّر آياته وسُوّره.

المبحث الثالث: التوجيه البياني للقراءات القرآنية:

ذهب جمهور علماء المسلمين إلى أنّ الاختلاف في القراءات القرآنية هو اختلاف تعدد وتنوع، لا اختلاف تضاد وتناقض، وأنّ الخلاف حاصلٌ في الألفاظ المسموعة وليس في المعاني المفهومة، « وأما حقيقة اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي صلى الله عليه وسلم وفائدته؛ فإنّ الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض؛ فإنّ هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناها لا تخلو من ثلاثة أحوال أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى واحد. الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد. الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد. فأما الأول فكالاختلاف في "الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب" ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط. وأما الثاني فنحو: "مالك، وملك" في الفاتحة؛ لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه. وكذا "يَكذبون، ويُكذّبون" لأن المراد بهما هم المنافقون لأنهم يكذِّبون بالنبي ﷺ ويَكذِبون في أخبارهم... وأما الثالث فنحو: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾ [يوسف: ١١٠] بالتشديد والتخفيف وكذا: ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم: ٤٦] بفتح "اللام"، ورفع الأخرى، وبكسر الأولى وفتح الثانية... فإنّ ذلك كله وإن اختلف لفظاً ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد؛ فإنه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض » [2].

---

[1] المصدر نفسه: مج6 ص: 575. وينظر: التفسير الكبير: ج32 ص: 307.

[2] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الفكر-بيروت- ج1 ص: 51

ومعنى هذا أنّ اختلاف القراءات لا يلزم منه تناقضٌ أو تضاد، ولا تدافع بين مدلولات معانيه يسبب اضطرابًا بين آي القرآن، ويجب قبولها والإيمان بها والعمل بمقتضاها، وفي ذلك يقول ابن الجزري: وكل ما صح عن ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة رده ولزم الإيمان به، وأنّ كله منزل من عند الله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض »[1].

ذهب عبد العظيم الزرقاني إلى أنّ تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات. وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز. أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أنّ القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ ؛ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب، والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم. وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف. ومعنى هذا أنّ القرآن يُعجز إذا قُرئ بهذه القراءة، ويعجز أيضا إذا قرئ بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضا إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة وهلم جرا. ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف. ولا ريب أنّ ذلك أدل على صدق محمد؛ لأنّه أعظم في اشتمال القرآن على مناحٍ جمّة في الإعجاز وفي البيان على كل حرف ووجه وبكل لهجة ولسان. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢] »[2]

أما القرآن فينفي الاختلاف بمعنى التناقض والتدافع بين معاني القرآن وتعاليمه مع ثبوت التنويع في وجوه التلفظ والأداء السابق. ومعنى ذلك أن نزول القرآن على سبعة أحرف لا يلزم منه تناقض ولا تخاذل ولا تضاد ولا تدافع بين مدلولات القرآن ومعانيه وتعاليمه ومراميه بعضها مع بعض. بل القرآن كله سلسلة واحدة متصلة الحلقات محكمة السور والآيات متآخذة المبادئ والغايات مهما تعددت طرق قراءته ومهما تنوعت فنون أدائه »[3].

---

[1] المصدر نفسه: ج1 ص: 51.

[2] مناهل العرفان في علوم القرآن: ج1 ص: 149.

[3] المرجع نفسه: ج1 ص: 185.

ومن المعلوم أنّ الهدف الرئيس من تعدد القراءات واختلافها هو التيسير ورفع الحرج عن هذه الأمة في قراءة كتاب ربها، ولا شك أنّ اختلاف القراءات قد أعطى للنص القرآني تميزه عن سائر الكتب النصوص وبلغ به مرتبة الإعجاز، ومِن تعدد القراءات يأتي تعدد المعاني، إذ كل قراءة تضيف معنى لم يكن في القراءة الأخرى، وعلى هذا يمكن القول أنّ تعدد القراءات بمثابة تعدد الآيات، وفي ذلك ذكر محمد الطاهر بن عاشور أنّه: « لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مرادا لله تعالى ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مُجزِئًا عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التّضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتّوجيه في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني، وهو من زيادة ملاءمة بلاغة القرآن » [1]

وفي معنى ذلك قال النيسابوري: « فإن قيل: فما قولكم في القراءات التي تختلف بها المعاني؟ قلنا: إنها صحيحة مترلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الأحرف، وليس يجوز أن يكون فيما أنزل الله من الألفاظ التي تختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التضاد والتناقض، لكن مجرى التغاير الذي لا تضاد فيه. ثم إنها تتجه على وجوه: فمنها أن يختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة بمترلة قوله: ﴿ وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٦] بالجر والنصب جميعاً، وإحدى القراءتين تقتضي فرض المسح والأخرى فرض الغسل، وقد بينهما رسول الله: فجعل المسح للابس الخف في وقته، والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب هو الذي لا تجوز قراءته إلا إذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه، وليس يعذر من زل في مثله عما هو المترل حتى يراجع الصواب ويفزع إلى الاستغفار. وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الأمرين بمترلة: ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] من الطهر و"حتى يطّهرن " مشددة الطاء من التطهُّر، فإن القراءتين ههنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما، وذلك أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال. ولا تجوز القراءة في أمثال هذه إلا بالنقل الظاهر. ومن زل في مثله إلى ما يقتضي أمراً وقد علم ثبوته و لم يقرأ به، لم يلزمه فيه حرج كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٣٢] لو صحّفه أحد فقرأه " الربا " بالراء، والباء من الربا في المال، فإنه منهي عنه كالزنا ؛ فإن كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمُّد فهو ملوم على ذلك. وأما التضاد والتنافي فغير موجود في كتاب الله » [2].

---

[1] التحرير والتنوير: ج1 ص: 54.

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 25.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠] ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ من قرأ بتاء الخطاب احتمل أن تكون " أم" منقطعة بمعنى استئناف استفهام آخر أي: بل أتقولون والهمزة للإنكار كما في: " أتحاجوننا" واحتمل أن تكون متصلة بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء إنكاراً عليهم واستجهالاً لهم بما كان منهم. وعن الزجاج: بأي الحجتين تتعلقون في أمرنا، أبالتوحيد فنحن موحدون، أم باتّباع دين الأنبياء فنحن مُتبِعُون؟ ومن قرأ بياء الغيبة فلا تكون إلا منقطعة لانقطاع الاستفهام الأول بسبب الالتفات » [1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿ وَلَوْ يَرَى ﴾ قرئ بالياء والتاء و"أنّ" و"إنّ" بالفتح والكسر فهنا أربعة تقديرات: الأول: لو يعلم الذين ظلموا أنفسهم باتخاذ الأنداد إذا عاينوا العذاب يوم القيامة أن القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم، وأنّ عذاب الله للظالمين شديد، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم. وحذف جواب "لو" دليل على فخامة شأن المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب ويقدر من الفظاعة ما لا يكتنه كنهه، كقولهم: " لو رأيت فلاناً والسياط تأخذه" بخلاف ما وقع التعبير عنه بلفظ معين.

الثاني:"ولو ترى" – يا محمد أو يا من يتأتى منه الرؤية – هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم وقت معاينتهم العذاب بمعاينتهم أنّ القدرة كلها لله، وأنه شديد العذاب، لرأيت أمراً عظيماً. فعلى هذا " أنّ" و "إنّ" مع معمولهما بدل من العذاب... أو المعنى لقيل: إنّ القوة لله » [2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وأما من قرأ "وكتابه" على الوحدة؛ فإمّا أن يراد به القرآن، ثم الإيمان به يتضمن الإيمان بمجموع الكتب والرسل. وإما أن يراد به جنس الكتب السماوية؛ فإن اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقال: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ ﴾ [البقرة: ١٨٧] وهذا الإحلال شائع في جميع الصيام ...ومن قرأ: ﴿ لَا نُفَرِّقُ ﴾ بالنون فلا بد من إضمار أي يقولون

(1) المصدر السابق: مج 1 ص: 416.

(2) المصدر نفسه: مج1 ص: 462-463.

لا نفرق. ومن قرأ بالياء على أن الفعل لِكل فلا حاجة إلى الإضمار، ثم إن الجملة خبر أو حال واحد في معنى الجمع. أي بين كل منهم وبين آخر منهم، فإن النكرة في سياق النفي تعم، ولذلك صلحت لدخول"بين" عليها » [1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦١] ومعنى الآية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين: ما كان لنبي أن يخون، أي: ما صح وما ينبغي له ذلك؛ لِأنّ النبوة تُنافي الغلو؛ لِأنها أعلى المراتب الإنسانية، فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الآخرة، كيف وإنه أمين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات، أفلا يكون أميناً في الأرض؟ هيهات. وقيل: اللام منقولة والتقدير: "وما كان نبي ليغل" كقوله:﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ [مريم: ٣٥] أي: ما كان الله ليتخذ ولداً. ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان: أحدهما: يُخان أي يؤخذ من غنيمته. وفي تخصيصه بهذه الحرمة والخيانة محرمة على الإطلاق فوائد منها: أن المجني عليه كُلما كان أجل منصباً كانت الخيانة في حقه أفحش. ومنها أنه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي، فكان مع عذاب الآخرة فضيحة لادنيا. ومنها: أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في غاية الفقر، فكانت تلك الخيانة وقتئذٍ أقبح. وثانيهما يخوّن أي: ينسب إلى الخيانة فيكون من الإغلال » [2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِّلُوا ﴾ من قرأ بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم.وقيل: أي قُطّعوا. ومن قرأ: ﴿ قُتِلُوا وقَاتَلُوا﴾ فإما لِأنّ الواو لا تفيد الترتيب والترتيب الطبيعي: قاتلوا حتى قتلوا. وإما من قولهم: قُتلنا ورب الكعبة إذا ظهرت أمارات القتل، وإذا قُتل قومه وعشيرته. وإما بإضمار " قد" أي: قُتلوا وقد قاتلوا » [3]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] والمعنى إنه أمين على الكتب التي قبله، لِأنه لا ينسخ ألبتة ولا يُحرّف لقوله: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ومن هنا قُرئ: ﴿ وَمُهَيْمَناً عَلَيْهِ﴾ فتح الميم، أي: هو من عليه بأن حوفظ من

[1] المصدر نفسه: مج2 ص: 88.

[2] المصدر السابق: مج2 ص: 299-300.

[3] المصدر نفسه: مج2 ص: 334.

التغيير والتبديل، والذي هيمن عليه عز وجل كما قلنا، أو الحفاظ في كل بلد والقراء المشهود لهم بالإجادة »[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [المائدة: ١١٢]

﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ من قرأ بالتاء وبالنصب فظاهر، والمراد هل تستطيع سؤال ربك، أي: هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ؟ ومن قرأ بالياء وبالرفع فمشكل، لِأنّه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا آمنا فكيف يتصور مع الإيمان شك في اقتدار اللّه تعالى؟ وأجيب بوجوه منها: أن حكاية الإيمان عنهم لا يوجب كمالهم وإخلاصهم في ذلك ولهذا قال لهم عيسى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ومنها أنهم طلبوا مزيد الإيقان والطمأنينة ولهذا قالوا: ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ [المائدة: ١١٣] ... ومنها أن المراد بالاستفهام التقرير كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول: هل يقدر السلطان على إشباع هذا ؟ يريد أن ذلك أمر جلي لا يجوز للعاقل أن يشك فيه »[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣]... ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ فمن قرأ بالتخفيف نظر إلى أن القوم كانوا يعتقدون أن محمداً ﷺ ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج، بل تخيل صحة ذلك وأنه نبي، إلاّ أنّ تخيّله باطل. ثم إنّ ظاهر الآية يقتضي أنهم لا يُكذّبون محمداً ﷺ ولكنهم يجحدون بآيات الله، وفي الجمع بين الأمرين وجوه: الأول: أنّ القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القرآن ونبوته.... الثاني: في تأويل الآية أنهم لا يقولون: إنك كذّاب؛ لأنهم جرّبُوك الدهر الطويل، وما وجدوا منك كذباً وسَمّوك الصادق الأمين؛ فلا يقولون بعد إنك كاذب، ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك، إمّا لأنهم اعتقدوا أن محمداً عرض له نوع خبر ونقصان فلأجل ذلك تخيل أنه رسول لا أنه كذب في نفسه، أو لأنهم زعموا أنه أمين في كل الأمور إلا في هذا الواحد. الثالث: أنه لما ظهرت المعجزات على يده، ثم إنّ القوم أصروا على التكذيب، قال له إن القوم ما كذبوك وإنما كذبوني، ونحوه قول السيد لغلامه إذا أهانه بعض الناس: إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني، ومثله قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠] فكأنه قيل له: إلْهَ عن حزنك لنفسك،

---

[1] المصدر السابق: مج2 ص: 600.

[2] المصدر نفسه: مج3 ص: 37.

وليشغلك عن ذلك ما هو أهم، وهو استعظامك لجحود آيات الله، والاستهانة بكتابه. الرابع: قيل في التفسير الكبير: أي لا يخصونك بهذا التكذيب، بل ينكرون دلالة المعجزة على الصدق مطلقاً، ويُكذّبون جميع الأنبياء والرسل » [1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [الأعراف: ١٠٥] من قرأ بالتشديد في: "عليّ " و حقيق: إما بمعنى فاعل أي واجب عليّ ترك القول على الله إلا بالحق، أو بمعنى مفعول أي حق عليّ ذلك. تقول العرب إني لمحقوق علي أن أفعل خيراً. وأما قراءة العامة: ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ ﴾ مرسلة الياء ففيه وجوه أحدها: أن يكون "على" بمعنى "الباء" كقولهم: "جئت على حال حسنة وبحال حسنة"... وهذا كما قال: ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ ﴾ [الأعراف: ٨٦] أي: "على كل صراط" ويؤكد هذا الوجه قراءة أُبيّ: "حقيق بأن لا أقول" أي أنا خليق بذلك: وثانيها: أن الحق هو الدائم الثابت الحقيق مبالغة فيه، وكل ما لزمك فقد لزمته، فكأن المعنى أنا ثابت مستمر على أن لا أقول إلا الحق. ثالثها: أن يضمن حقيق معنى حريص. ورابعها: أن يكون من القلب الذي يشجع عليه أمن الإلباس فيؤول المعنى إلى قراءة نافع. وخامسها: أن يكون إغراقاً في الوصف ومبالغة بالصدق والمراد أنا حقيق على قول الحق أي واجب عليّ أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به، وسادسها: أن يكون "على" هذه هي التي تقرن بالأوصاف اللازمة الأصلية كقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] ويقال: جاءني فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته وتحققته على كذا وكذا من الصفات؛ فمعنى الآية: لم أتحقق إلاّ على قول الحق » [2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة: ٦١] بالإضافة كقولهم: رجلُ صدقٍ يريدون الجودة والصلاح. ومجوز الإضافة هو الملابسة؛ كأنه قيل: نعم هو " أُذُنٌ" ولكن نعم الأذن، إذ أريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعة وقبوله وليس بأذن في غير ذلك، ويؤيده قراءة حمزة: "رحمةٍ" بالجر عطفاً عليه عطف الخاص على العام، أي: هو أذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما. ثم بين كونه أذن خير بأنه: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ أي يقرّ به، ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الأدلة ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه

---

[1] المصدر السابق: مج3 ص: 70-71.

[2] المصدر نفسه: مج3 ص: 296.

بإخلاصهم لا لكونه من أهل الغرة والبله. و هو ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ باللسان دون الجنان لأنه يجري أمركم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم؛ فإنّ الله هو الذي يتولي السرائر ولهذا ختم الآية بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وأما من قرأ: أُذنٌ خَيْرٌ بالرفع فيهما، فعلى أنّ الأذن خبر مبتدأ محذوف، و خيرٌ: كذلك. أي: هو أذنٌ هو خيرٌ. والمعنى: هو أُذنٌ موصوف بالخيرية في حقكم لأنه يقبل معاذيركم ويتغافل عن جهالاتكم؛ فتحفظ بذلك دماؤكم وأموالكم. وقيل: التقدير: قل أُذنٌ واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد » [1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] فيه وجوه لقراءتي التخفيف والتشديد، ولإمكان عود الضمير في الفعلين إلى الرسل أو إلى المرسل إليهم الدال عليهم ذكر الرسل أو السابق ذكرهم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [يوسف: ١٠٩] وأما وجوه التخفيف فمنها: وظنّ الرسل أنهم قد كُذِبوا أي: كذّبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم يُنصرون، أو كذب رجاؤهم لقولهم: رجاء صادق وكاذب. والمراد أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت وتمادت حتى توهموا أن لا نصر لهم في الدنيا. قال ابن عباس: ظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر. قال: وكانوا بشراً ألا ترى إلى قوله: ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ [البقرة: ٢١٤] والعلماء حملوا قول ابن عباس على ما يخطر بالبال شبه الوسواس وحديث النفس من عالم البشرية. وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فلا، لِأنّ الرسل أعرف الناس بالله، وبأن ميعاده مبرأ عن وصمة الإخلاف. ومنها: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كَذَبوا فيما وعدوا من النصر والظفر. ومنها: وظن المرسل إليهم أنهم قد كُذِّبوا من جهة الرسل أي: كذّبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم و لم يصدقوهم فيه. وأما قراءة التشديد فإن كان الظن بمعنى اليقين فمعناه: أيقن الرسل أن الأمم كذّبوهم تكذيباً لا يصدر عنهم الإيمان بعد؛ فحينئذ دعوا عليهم؛ فهناك نزل عذاب الاستئصال، أو كذّبوهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم. وإن كان بمعنى الحسبان فالمعنى: توهم الرسل أن الذين آمنوا بهم كذّبوهم » [2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [البقرة: ٩] وقراءة من قرأ: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩] أي: وما يعاملون تلك المعاملة المضاهية لمعاملة المخادعين إلا أنفسهم، لأن مكرها يحيق بهم ودائرتها تدور عليهم؛ لِأنّ الله تعالى يدفع ضرر الخداع

---

[1] المصدر السابق: مج3 ص: 495-496.

[2] المصدر السابق: مج4 ص: 132-133.

عن المؤمنين، ويصرفه إليهم كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ويحتمل أن يراد حقيقة المخادعة، لِأَنهم يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل، وأنفسهم أيضاً تمنيهم وتحدثهم بالأكاذيب. وأن يراد ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة »[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة: ١٠] والمراد بكذبهم قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [البقرة: ٨] ... وقراءة من قرأ: ﴿يُكذِّبون﴾ بالتشديد إما من كذبه الذي هو نقيض صُدقه، وإما من كذَب الذي هو مبالغة في كذّب كما بولغ في صدق فقيل: "صدق" نحو: بان الشيء وبين الشيء ومنه قوله: قد بين الصبح لذي عينين، أو بمعنى الكثرة نحو: "مُوِّتت البهائم" ، أو من قولهم: "كذب الوحشي" إذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه؛ لِأَنّ المنافق متوقف متردد في أمره مذبذب بين ذلك »[2]

وقال ابن تيمية: فِي ﴿يَكْذِبُونَ﴾ قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فَإِنَّهُمْ كَذَّبُوا فِي قَوْلِهِمْ: آمَنَّا بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكَذَّبُوا الرَّسُولَ فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ صَدَّقُوهُ فِي الظَّاهِرِ »[3]

وقال ابن كثير: وقرئ: ﴿يُكْذِّبُونَ﴾، وقد كانوا مُتّصفين بهذا وهذا، فإنهم كانوا كذبة يكذبون بالحق يجمعون بين هذا وهذا »[4]

وحاصل القراءتين أنّ المنافقين سيعذبون عذاباً أليمًا وذلك بسبب كذبهم وتكذيبهم؛ ففي القراءتين تنوع في المعنى إذ بيّنت إحدى القراءتين أنّهم كاذبون في أخبارهم، وبيّنت القراءة الأخرى أنّهم يُكذّبون النّبي وكل ما جاء من عند الله تعالى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ٢١٩﴾ [البقرة: ٢١٩] ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ أي إنهما من الكبائر. ومن قرأ بالثاء فمعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار

---

(1) المصدر نفسه : مج1 ص: 164.

(2) المصدر نفسه: مج1 ص: 165.

(3) مجموع الفتاوى: ج7 ص: 182.

(4) تفسير ابن كثير: ج1 ص: 179.

يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة. أما في الخمر: فلأنها عدوّ العقل الذي هو عقال الطبع وأشرف خصائص الإنسان ومقابل الأشرف يكون أخس الأشياء » (1).

قال أبو حيان الأندلسي: « ووصف الإثم بالكثرة إما باعتبار الآثمين، فكأنه قيل: فيه للناس آثام، أي: لكل واحد من متعاطيها إثم، أو باعتبار ما يترتب على شربها من توالي العقاب وتضعيفه، فناسب أن ينعت بالكثرة، أو باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرمة، أو باعتبار من زوالها من لدن كانت إلى أن بيعت وشريت، فقد لعن **رسول الله**ﷺ الخمر، ولعن معها عشرة: بائعها، ومبتاعها، والمشتراة له، وعاصرها، ومعتصرها، والمعصورة له وساقيها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة له، وآكل ثمنها. فناسب وصف الإثم بالكثرة بهذا الاعتبار. وقرأ الباقون: كبير، بالباء، وذلك ظاهر، لِأنّ شرب الخمر، والقمار ذنبهما من الكبائر » (2) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا ﴾ بالراء المهملة أي كيف نحييها. وقرئ: ﴿ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾. من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم. ويحتمل أن يكون من النشر ضد الطي فإن الحياة تكون بالانبساط. وقد وصف الله العظام بالإحياء في قوله: ﴿ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩] ومن قرأ بالزاي: فمعناه نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب. والنشز ما ارتفع من الأرض، ومنه نشوز المرأة؛ لأنها ترتفع عن حدّ رضا الزوج » (3)

وحاصل القراءتين أنّ الله – عز وجل- بيّن كيفية إحياء الموتى، وذلك بإحياء العظام وبعثها، وهذا ما دلت عليه قراءة الراء، وبينت القراءة بالزاي كيفية إحياء العظام ورفع بعضها إلى بعض. والحاصل أنّ « المراد بهما هي العظام وذلك أن الله أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين » (4).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ ﴾ [التكوير: ٢٤] وما هو على الغيب بضنين، ومن قرأ بالظاء الذي مخرجه من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا كالذال والثاء؛ فهو من الظِّنّة: التهمة، أي: ليس بمتهم بل هو ثقة فيما يؤدي عن الله بواسطة جبرائيل. ومن قرأ بالضاد الذي مخرجه من أصل حافة

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج1 ص: 604.

(2) البحر المحيط: ج2 ص: 405

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: مج2 ص: 27.

(4) النشر في القراءات العشر: ج1 ص: 66.

اللسان وما بينهما من الأضراس ومن يمين اللسان أو يساره وإخراجه من الجانب الأيسر الأسهل، وقد يسهل على بعض الناس كلاهما، فمعناه أنه لا يضن بالوحي أي لا يبخل به من الضن وهو البخل » [1]

والضِّنة وَالضِّنُّ والمِضنّة، كلّ ذلك من الإمساك والبُخلُ، تقول: رجلٌ ضَنِينٌ. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التكوير: ٢٤] » [2]

والظَّنِينُ المعادِي، والظَّنِينُ المتَّهم الذي تُظَن به التهمة، ومصدرُه الظِّنَّة بالتشديد، والظَّنون الرجلُ السيئ الظَّنِّ بكل أحد، والظَّنُون الرجلُ القليل الخيرِ... وقول الله جلّ وعزّ: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ معناه ما هو على ما ينبئ عن الله من علم الغيب بمُتَّهمٍ » [3]

وتقول: ما هو على الغيب بظنين: بضعيف، يقول: هو محتمل له، والعرب تقول للرجل الضعيف أو الشيء القليل: هو ظنون » [4]

وهكذا تتعاضد القراءتان في تبرئة النبي ﷺ ؛ فهو لم يبخل بأداء ما تتطلبه الرسالة، وغير متهم بأن يأتي بشيءٍ من عند نفسه، وليس بضعيف القوة عن التبليغ، وقد صحب هذا النفي تأكيد له بالباء الزائدة في خبر "ما" لتقوى دلالة النفي عن التعبير عن المقصود » [5] .

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان:مج6 ص: 456.

[2] تهذيب اللغة: ج11 ص: 320. وينظر معجم مقاييس اللغة: ج3 ص: 357.

[3] تهذيب اللغة: ج14 ص: 260.

[4] معاني القرآن: للفرّاء: ج3 ص: 243.

[5] الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة: أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة- 1426هـ ص:96.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لطريقة اشتغال اللغة في تفسير النيسابوري يمكن قول ما يلي:

- مهما أوتي المرء من دقّة في الفهم، ومعرفة باللغة وأسرارها، فلن يستطيع سبر أغوار القرآن جميعًا، ولا كشف أبعاده كشفًا مُميّزًا، نظرًا لِرُقي الكتاب نظمًا وتأليفًا. واتساع العنصر اللغوي في التفسير ليس المصدر الوحيد الذي يمكن لِمن أحكمه أن يُفسّر القرآن.

- التفسير اللغوي في مراحله الأولى من سِماته الدّقة والاختصار، وأنّه شرحٌ معجميّ، يقوم على الترادف التقريبي، ولكنّه كان مُناسبًا لِفهم العرب ومعرفتهم باللغة، وأساليب الخطاب.

- تمنع التسوية بين الألفاظ كمفردات ترد في معاجم اللغة، وكجمل وعبارات تنتظم في سياق النّص القرآني؛ فالنّص القرآني لهُ مُعجمه الخاص، ولا يُمكن أن يُتعامل معه على أنّ دلالاتِه تابعة لقواميس اللغة التي وضعها البشر، وأنّ قواعد صياغته تابعةٌ لقواعد النّحو التي وضعها البشر؛ فالقرآن حُجّة على غيره، وليس لِغيره أن يكون حُجّةً عليه.

- بعد أن وُظِّفت اللغة في مراحلها الأولى مُتجرِّدة من أيّ مسؤوليّة مذهبيةٍ؛ تحوّلت فيما بعد إلى سِلاحٍ مُحمّلٍ بهواجس المبدأ والعقيدة. وقضية المجاز والنّظرية البلاغية لم تكن لو لم تقضِ بها عوامل العقيدة، حتى بدا لنا في كثيرٍ من الأحيان أنّ القاعدة البلاغية لم تنشأ إلاّ قصد فك الإشكال العقدي. لِأنّ أهل الكلام لا يوردون تلك التأويلات دون سندٍ لغوي أو دعمٍ من النّصوص والأمثلة، بل كانوا يحرصون دائمًا على الرجوع إلى لغة العرب، والشعر القديم للاستشهاد به فيما يسوقون من وجوه التأويل، وكانوا يشعرون باستمرار أنّ تأويلاتهم المجازية لا يمكن أن تُقنع، أو تكتسب صفة الشرعية، ما لم تستند إلى أساس لغوي متين.

- المنهج البياني في فهم النّص القرآني هو توظيف لِكل آليات اللغة وطاقاتها، قصد الوقوف عند طرائقِ نظمهِ، ووجوه تراكيبه، ونسق حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ثم نسق هذه الجمل، وهو وجه الكمال اللغوي. وليس المنهج البياني مُجرّد مبحثٍ متضائلٍ من مباحث البلاغة – كما عُرِف عند المُتأخرين.

- إنّ لِمسائل اللغة حُضورٌ واسعٌ، واعتبارٌ كبير، وخصوبة في طرح قضاياها، ما يدعو إلى الالتفات إليها والبحث في أهميتها عند أهل التفسير، لِأنّ ذلك يُمثل البلاغة التحليلية في أعلى صُورِها.

ملخص البحث

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أمّا بعد:

فهذه رسالة بعنوان: تفسير النّيسَابُوري "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" جاء فيها ما يلي:

مدخل تطرقت فيه إلى التعريف بالإمام النيسابوري وتفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان، وقفنا عند ملامح المنهج البياني في هذه المدونة من خلال وجوه ثلاثة:

وقسمت البحث إلى ثلاثة فصول جاء **الفصل الأوّل** بعنوان: **اللغة أداة للتفسير**. ضمّنته مبحثين، جاء في المبحث الأوّل جانبٌ من تطور الدرس اللغوي، وبيان خصائصه في كل مرحلة، وتضمّن المبحث الثاني تجلّيات الاتّجاه اللغوي في تفسير النيسابوري، وقفنا فيه عند طريقة المفسر في تخريج أساليب القرآن على طرائق العرب في الخطاب، ثم بيان التعدد الدلالي للكلمة القرآنية، وفيه بيان لخصوصية المفردة القرآنية، وقدرتها على استيعاب وجوه دلالية متعدّدة في السياق الواحد، وبعدها عرض لكيفية تعامل المُفسّر مع بعض قضايا النّحو.

وجاء **الفصل الثاني** بعنوان: **اللغة أداة للتّأويل**، تضمّن مبحثين، تجلّى من خلاله التعامل مع اللغة وكيفية اشتغالها عند المتكلّمين، وما نتج عن ذلك من قضايا مثل: قضيتي المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، ثُم ارتباط اللغة بمسائل العقيدة في تفسير النيسابوري من خلال تطويع الأساليب البلاغية وحملها على ما يناسب المعتقد، وكذا تخريج دلالات الصيغ وفق الأصول المذهبية، وتوجيه دلالات الحروف لخدمة المبدأ والعقيدة.

أما **الفصل الثالث**: فهو بعنوان **اللغة أداة للإعجاز**، وفيه ثلاثة مباحث؛ تمثل الأوّل في عناية المفسر بتوجيه المتشابه اللفظي، والثاني: عرض للتناسب بين الكلمات والآيات ثم السُّور، وفي المبحث الثالث: بيانٌ لكيفية التوجيه البياني للقراءات القرآنية عند النيسابوري.

وبعد العرض الموجز لطريقة اشتغال اللغة في تفسير النيسابوري توصلنا إلى نتائج تمثلت فيما يلي:

- مهما أوتي المرء من دقّة في الفهم، ومعرفة باللغة وأسرارها فلن يستطيع سبر أغوار القرآن جميعًا، ولا كشف أبعاده كشفًا مُميّزًا، نظرًا لِرُقي الكتاب نظمًا وتأليفًا. واتساع العنصر اللغوي في التفسير ليس المصدر الوحيد الذي يمكن لِمن أحكمه أن يُفسّر القرآن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص البحث

– التفسير اللغوي في مراحله الأولى من سِماته الدّقة والاختصار، وأنّه شرحٌ معجميٌّ يقوم على الترادف التقريبي، ولكنّه كان مُناسبًا لِفهم العرب ومعرفتهم باللغة. وأساليب الخطاب.

– النّص القرآني لهُ مُعجمه الخاص، ولا يُمكن أن يُتعامل معه على أنّ دلالاتِه تابعة لقواميس اللغة التي وضعها البشر، وأنّ قواعد صياغته تابعةٌ لقواعد النّحو التي وضعها البشر؛ فالقرآن حُجّة على غيره، وليس لِغيره أن يكون حُجّةً عليه.

– بعد أن وُظِّفت اللغة في مراحلها الأولى مُتجرِّدة من أيّ مسؤوليّة مذهبيةٍ؛ تحوّلت فيما بعد إلى سِلاحٍ مُحمّلٍ بهواجس المبدأ والعقيدة.

– إنّ قضية المجاز والنّظرية البلاغية لم تكن لو لم تقضِ بها عوامل العقيدة، حتى بدا لنا في كثيرٍ من الأحيان أنّ القاعدة البلاغية لم تنشأ إلاّ قصد فك الإشكال العقدي.

– المنهج البياني في فهم النّص القرآني هو توظيف لِكل آليات اللغة وطاقاتها قصد الوقوف عند طرائقِ نظمهِ، ووجوه تراكيبه، ونسق حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ثم نسق هذه الجمل، وهو وجه الكمال اللغوي. وليس المنهج البياني مُجرّد مبحثٍ من مباحث البلاغة – كما عُرِف عند المُتأخرين.

– إنّ لِمسائل اللغة حُضورٌ واسعٌ، واعتبارٌ كبيرٌ، وتفنُّن في استثمارها، وخصوبة في طرح قضاياها ما يدعو إلى الالتفات إليها والبحث في أهميتها عند أهل التفسير. لِأنّ ذلك يُمثل البلاغة في أعلى صُورِها.

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السورة	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	7-1	128
البقرة		
﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	3	128
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ		
﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾	5	128
﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	7-6	92
﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	7	116
﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾	8	141-52
﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾	9	141
﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	10	141
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾	16	78
﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾	25	93
﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾	26	103-41
﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾	46	111
﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾	48	41
﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾	49	20
﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا ﴾		
﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾	59-58	105
﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾	61	106
﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	68	32
﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾	91	34
﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ ﴾	102	34

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ﴾	120	107
﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾	124	06
﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾	125	107
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	126	107
﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾	128	51
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾	140	135
﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ﴾	143	37-24
﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾	165	136
﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	175	33
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	177	52
﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ ﴾	178	58
﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾	184	14
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾	185	59-44
﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	187	136 -58- 25
﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾	195	34
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾	219	214
﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	221	14
﴿ بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾	222	85-84
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	210	42
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ ﴾		
﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	228	87
﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾	237	46
﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾		
﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾	245	47

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	249	94-19
	253	100-99
	255	142 - 47
	259	44
	280	123
	284	136 -127
آل عمران		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	07	94-66
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾	08	93
﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾	21	106
﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	52	60
﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾	55	90-44
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾	61	107-47
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	77	85
﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾	83	112
﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	108	123
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	110	123-38
﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾	112	108
﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ﴾	117	48
﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾	138	73
﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾	148	53
﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾	158	53
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾	161	137
﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾	195	137
﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ﴾	193	109
النساء		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ اتقوا ربكم الذي خلقكم ﴾	01	129
﴿ وماذا عليهم لو آمنوا ﴾	39	95
﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات ﴾	58	05
﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾	59	06
﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله ﴾	79	95
﴿ ويقولون طاعة ﴾	81	45
﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾	82	132-19
﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾	142	141
﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ﴾	155	108
﴿ يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾	176	103
المائدة		
﴿ يريدون أن يخرجوا من النار ﴾	37	53
﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا ﴾	48	137
﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾	54	59
﴿ إنما وليكم الله ﴾	55	5-4
﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾	64	88 - 87
﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾	109	40
﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم ﴾	112	138
﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ﴾	116	63
﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ﴾	117	54
﴿ لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ﴾	120	55

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأنعام		
﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	14	32
﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾	23	40
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾	30	86
﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾	31	57
﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾	32	115
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾	33	138
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾	82	25
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾	101	83
﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾	102	108
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	103	99-72 -70
﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾	105	102 -14
﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾	125	28
﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	137	61
﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾	151	18
الأنفال		
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	4 -2	120
﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾	42	134

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾	12	108
﴿ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	14	109
﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾		
﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾	15	109
﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾	16	109
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾	18	109
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾		
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾	53	102 -66
﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾	68 -59	110
﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ ﴾	64	54
﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ ﴾	85	43
﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾	86	139
﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ﴾		
﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾	88	97
﴿ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ﴾	89	96
﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	92	38
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾		
﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾	105	139
﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾	111	111
﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ ﴾	129	39
﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾	130	38
﴿ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾	143	102-90-84
﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾	159	106
	162-161	105
	185	84

جمعية أمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	188 198	112 101
التوبة		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾	13	55
﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾	40	57
﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾	43	43-41
﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡ ﴾	55	112
﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ ﴾	61	139
﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾	81	40
﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡ ﴾	85	112
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ ﴾	111	120
﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ ﴾	122	122-121
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ ﴾	125-124	97
﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾	128	129
يونس		
﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾	2	129
﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾	26	91
﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾	33	76
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ﴾	73	110
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ ﴾	90	117-99
﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾	94	48
﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ ﴾	99	95
هود		
﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾	37	89
﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾	112	124
﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾	120	124
يوسف		

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	02	21
﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	12	63
﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾	18	78
﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾	23	121-59
﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾	101	96
﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ﴾	111	14
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾	110	-133140
الرعد		
﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾	26	112
﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾	37	107
إبراهيم		
﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾	10	55
﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾	22	61
﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُ﴾	34	62136 -
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ﴾	35	107-96
﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾	46	133
الحجر		
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	9	14
﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾	26	48-46
﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾	32	108
﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾	39	109
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾	87	122
النحل		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ ﴾	07	62
﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ ﴾	26	84
﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	49	113
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾	50	72
﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ﴾	70	93
﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾	89	14
﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾	93	98
﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ ﴾	103	49-22
الإسراء		
﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾	23	49
﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾	24	41
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾	32	135
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ ﴾	36	16
﴿ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	55	125
﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ ﴾	62	49
﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡ ﴾	71	45
﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ﴾	97	18
الكهف		
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	01	129
﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ ﴾	17	112
﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾	24	128
﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾	28	92
﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾	29	70
﴿ جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾	77	79

مريم		
﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾	35	137
طـــه		
﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾	05	93-72
﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾	39	89
﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴾	74	100
﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا ﴾	75	101
﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾	81	62
﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾	97	32
﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾	99	125
﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾	105	1932-
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾	113	125-21
﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾	114	125
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ ﴾	116-115	125
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾	124	113
﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾	128	113
الأنبياء		
﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾	01	130
﴿ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾	19	89
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾	34	93
﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾	83	114
﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾	84	114
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾	105	125
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	107	19
الـــحج		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾	01	129
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾	18	113
﴿ وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾	36	27
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾	62	114
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾	64	114
المومنون		
﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾	67-66	57
الـــنور		
﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	1	130
﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾	25	54
الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾	01	125
﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾	53	112
الشعراء		
﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾	6-5	126
﴿ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾	24	111
﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ ﴾	35	111
﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾	50	111
﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾	61	99
﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾	62	56
﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي ﴾	82	54
﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾	195	73-22
النمل		
﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ ﴾	12	115
﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾		

الآية	رقمها	الصفحة
	14-13	115
القصص		
﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾	32	-63114
﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾	85	130
﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾	87	130
﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	88	89
العنكبوت		
﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾	2-1	130
﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾	15	115
﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾	24	115
﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾	33	56
﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾	64	116-115
الروم		
﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾	30	139
لقمان		
﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	13	25
﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	20	88
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾	30	114
السجدة		
﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	16	112
﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾	26	113
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾	22	113
سبأ		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾	19	43
﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي﴾	45	54
فاطر		
﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾	30	91
يس		
﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾	71	88
﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾	79–78	143
الصافات		
﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾	99	90
ص		
﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾	24	60
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾	29	104-16
﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾	43	114
﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾	45	87
﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾	75	108-88-87
﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ﴾	82	109
الزمر		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾	53	55
﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾	56	91
﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	67	88-86-85
غافر		
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾	03	98
﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾	32	45
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾	62	108
فصلت		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	03	21
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾	11	93
﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾	44	22
الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾	11	72
الزخرف		
﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	73	114
الجاثية		
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾	23	116
محمد		
﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	01	131
﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾	21	78
﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟﴾	38	131
الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾	2-1	131
﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	10	139-92-88
الحجرات		
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾	09	121
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾	17	92
الذاريات		
﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾	47	88
﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾	59	33
الطور		
﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	48	89
القمر		
﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾	1	131-130

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾	02	50
﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾	21	131
﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾	39	131
﴿ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾	48	89
الرحمن		
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾	2 -1	131
﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾		
الواقعة		
﴿ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴾	06	19
﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴾	55	50
﴿ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴾	73-57	126
الحديد		
﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾	13	102
الصّف		
﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾	12	55
الجمعة		
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ ﴾	6	126
الملك		
﴿ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾	03	32
القلم		
﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ ﴾	42	90
الحاقة		
﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾	19	45
نوح		
﴿ رَّبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴾	5	111
الجن		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾	18	71
المزمّل		
﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ﴾	20	54
المدثر		
﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾	04	27
﴿ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾	46-40	101
القيامة		
﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾	19	14
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	23-22	101-86-72-70
النازعات		
﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	17	17116-
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾	42	18
عبس		
﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾	37-34	46
التكوير		
﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾	24	143
المطففين		
﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴾	01 15 29	71 87 101
الإنشقاق		
﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾	03	19
الطارق		
﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾	17	56
الفجر		
﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	22	83

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الليل		
﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	20	89
الضحى		
﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾	04	56
الشرح		
﴿ ورفعنا لك ذِكۡرَكَ ﴾	04	19
العاديات		
﴿ أفلا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾	09	56
الماعون		
﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾	7–1	132
الكوثر		
﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾	3-1	132-122
الكافرون		
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ	6-1	116
المسد		
﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾	5-4	33
الإخلاص		
﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾	03	99

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

نص الحديث	الصفحة
اللّهُم فَقّههُ في الدّين وعلِّمهُ التّأويل...	16
لاَ يحلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلاّ لإحدى ثلاث...	16
إنّ السّاعة تهيجُ بالنّاسِ...	17
إنّ الذي أمشاهُم علَى أقدامِهم...	17
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: الوسط: العدل	24
تفسيره الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنّه بياض النّهار وسواد الليل	24
لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله...	24

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأشعار

البيت	الصفحة
وإنّي بحمد الله لا ثوب فاجرٍ لبستُ ولا مِن غَدْرةٍ أتقنّعُ	27
لَمالُ المرءِ يُصلِحه فَيبقى مُعاقِرَهُ أَعَفّ مِن القُنُوعِ	27
لَمالُ المرءِ يُصلِحُهُ فيُغني مَفَاقِرَهُ، أعفُّ من القُنوع	27
زنيمٌ ليس يُعرفُ مَن أبوهُ بغِيُّ الأُمِّ ذو حسَبٍ لئيمِ	27
زنيم تداعاه الرِّجال زيادةً كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكارِعُ	27
إنّا إذا نازَعَنا شَريبٌ لَنا ذَنوبٌ ولهُ ذَنوبٌ	32
لنا ذَنوبٌ ولكم ذَنوب فإن أَبيتُم فَلنا القَليبُ	32
هُمو وسطٌ يرضى الأنام بحُكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم	37
كَأن لَمْ يَكُنْ بَينَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا أنيسٌ و لم يَسمر بمكة سامرٌ	37
ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بِهِنّ فُلول من قراع الكتائب	37
دعاني مِن نجد فإنّ سِنينَهُ لَعِبنَ بنا شيبًا وشيّبننا مُرْدًا	38
ذهب الذين يُعاش في أكنافِهم وبقيتُ في خلْفٍ كجلدِ الأجرب	38
يا دار ميّة بالعلياء فالسّنَد	40
فما أدري أغيّرهم تناءَ وطول العهد أم مالٌ أصابوا ؟	40
إذ أصبحت بيد الشّمال زِمَامُها	40
ألم ترَ أنّ الله أعطاك سورة ترى كلّ مَلكٍ دونها يتذبذب	42
وقامت الحرب بنا على ساق	90
إنّ السّماحةَ والمروءةَ وَالنّدَى في قُبّةٍ ضُرِبتْ على ابنِ الحشرج	91

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبّان بن تغلب الجريري 29
ـــ ابن الزبير الغرناطي: 103
ـــ ابن قيم الجوزية 45، 77، 99
ـــ ابن كثير الدمشقي: 14، 142
ـــ ابن مسعود رضي الله عنه 87،24
ـــ ابن منظور = محمد بن مكرم بن علي 66
ـــ ابن هشام = عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف 56
ـــ أبو إسحاق الشّاطبي 21
ـــ أبو إسحاق أحمد بن محسن الثعلبي 12
ـــ أبو الحسن الأشعري: 98
ـــ أبو الحسن الرماني: 84، 99
ـــ أبو الحسن الواحدي 97،11
ـــ أبو الحسن مسلم 12
ـــ أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب 31
ـــ أبو العباس محمد بن يزيد= المبرّد 31
ـــ أبو القاسم الرافعي القزويني 12
ـــ أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي = الكعبي المعتزلي 12
ـــ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري= جار الله 9،87،83،59،54،50،35، 92 99،103
ـــ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي 12
ـــ أبو بكر الأنباري 26
ـــ أبو بكر النيسابوري 119
ـــ أبو جعفر بن جرير الطبري 12، 66
ـــ أبو حامد الغزالي 68

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

ـــ أبو حيان الأندلسي 59، 142

ـــ أبو زكريا الفرّاء 32،31،30،27، 33 34 ،37، 39، 47

ـــ أبو زيد= محمد بن أبي الخطاب القرشية 37

ـــ أبو عبد الله مالك بن أنس 12

ـــ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي 12

ـــ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري 12

ـــ أبو محمد عبد الله بن مسلم= ابن قتيبة 30، 32،68،80،98

ـــ أبو محمد يحي بن المبارك اليزيدي 30

ـــ أبو مسلم= محمد بن بحر الأصفهاني 95

ـــ أبوالحسن سعيد بن مسعدة= الأخفش 30، 38،43

ـــ أبوعبيدة معمر بن المثنّى 30،31،32، 39،78

ـــ أبي الصّلت الثّقفي 28

ـــ أبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي 30

ـــ أحمد بن حنبل 78

ـــ أحمد بن فارس 27،44، 46،76

ـــ إسماعيل بن حماد الجوهري 11،36،38

ـــ الأصم= عبد الرحمن بن كيسان 94

ـــ الأصمعي 47

ـــ البلقيني= عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني 84

ـــ الجاحظ 71

ـــ الجبائي= عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب 94،96،97،103

ـــ الخطيب الإسكافي: 102،103

ـــ الزجاج = عبد الرحمن بن إسحاق 39،43،45

ـــ النضر بن شميل 30

ـــ أنس بن مالك 22

ـــ برهان الدين الزركشي 14

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

ـــ تقي الدين بن تيمية 13،14،66،75،77،141
ـــ جلال الدين السيوطي 1،26،69،79،،119
ـــ سعيد بن جُبير 27
ـــ سيبويه 39،47
ـــ عبد الجبار المعتزلي 72،89،90،94،103
ـــ عبد الرحمان بن خلدون 23،85
ـــ عبد العظيم الزرقاني 134
ـــ عبد العظيم الزرقاني 14
ـــ عبد القاهر الجرجاني50، 79،81،82
ـــ عبد الله بن عباس 28،29،27،26،16
ـــ عبيد الله بن الحسن 68
ـــ عثمان بن جني 83،55،22
ـــ عثمان بن عفان رضي الله عنه 6
ـــ عكرمة 27
ـــ علي بن أبي طالب 4،5 رضي الله عنه 6
ـــ علي بن حمزة الكسائي 29
ـــ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه 26،28،33،35،81
ـــ فخر الدين الرازي 5،9 – 50،74،90،119
ـــ مجاهد بن جبر 22
ـــ محمد الأمين الشنقيطي 14
ـــ محمد الطاهر بن عاشور 38،44،61
ـــ محمد بن الحسن الرّؤاسي 29
ـــ محمد بن الحسن بن علي الطوسي= نصير الدين 3،4،8
ـــ محمد بن الحسين 3
ـــ محمد بن المستنير= قطرب 30
ـــ محمد بن طيفور الغزنوي السجاوندي 11

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

ـــ محمد حسين الذهبي 7،14
ـــ محمد رجب البَيُّومي 35،36
ـــ محمد رشيد رضا 74
ـــ محمود بن حمزة الكرماني: 102،103
ـــ مؤرج بن عمرو السدوسي 30
ـــ نافع بن الأزرق 26
ـــ نجم الدين داية 12
ـــ يونس بن حبيب 29

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

- المصحف الشريف: رواية ورش عن نافع.
- أسئلة بيانية في القرآن الكريم: صالح فاضل السامرائي، مكتبة الصحابة- الشارقة-الإمارات: ط1: 2008م.
- أساس التقديس: فخر الدين الرازي، ت: أحمد حجازي السّقا، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة- 1986م
- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي-القاهرة- ط1: 1991م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1: 1462هـ.
- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار- عمان- ط1: 2000 م.
- أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، ت:شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة.
- إكمال الأعلام بتثليث الكلام: محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني ، ت: سعد بن حمدان الغامدي ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – المملكة السعودية: 1984م.
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ت : فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت ، 2004م.
- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، ت: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 1404هـ
- الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة: أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة- 1426هـ.
- الأعلام: الزركلي: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني: دار إحياء العلوم – بيروت الطبعة الرابعة: 1998م
- البحر المحيط :أبو حيان الأندلسي: : صدقي محمد جميل دار الفكر ــ بيروت: 1420 هـ.
- البرهان في توجيه متشابه القرآن لِما فيه من الحجة والبيان: محمود بن حمزة الكرماني، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة.
- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري: رابح دوب، دار الفجر للنشر والتوزيع – القاهرة- ط2: 1999م.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط1: 2000م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1: 1405هـ

- التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط1: 1981م.

- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط1: 1422هـ.

- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، مكبة وهبة، القاهرة، ط7: 2000 م.

- الجامع لأحكام القرآن: شمس الدين القرطبي ت: سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ت ط 2003 م.

- الحيوان: الجاحظ، ت:عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - 1996م: لبنان- بيروت.

- الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار عالم الكتب - بيروت.

- الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي، ت :أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.

- الفهرست: ابن النديم، دار المعرفة- بيروت- 1978م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: جار الله الزمخشرى، دار الكتاب العربي ــ بيروت: 1407 هـ.

- الكشف والبيان: للثعلبي، ت: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط1: 2002م.

- اللآلئ الحسان في علوم القرآن: موسى شاهين لاشين، دار االشروق، القاهرة، ط1: 2002م.

- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم: محمد حسين علي الصّغير، المؤسسة الجامعية للدِّراسات، بيروت ، لبنان، ط1 : 1983م.

- المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت: 2000م.

- المخصص: لابن سيده الأندلسي، ت: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط1: 1996م

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1: 1998م.

- المستصفى في علم الأصول: أبو حامد الغزالي، ت: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1: 1997م.

- المعتمد: لأبي الحسين البصري، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1 ، 1403هـ

- المعجزة الكبرى: عدنان الرفاعي، دار الخير – دمشق- ط1: 2006م.

- الموافقات: الشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1: 1997م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الفكر-بيروت.
- النكت في إعجاز القرآن:الرماني، مكتبة الجامعة المليّة الإسلاميّة-دهلى-1934م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة : جمال الدين القفطي ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط1 1986م.
- بدائع الفوائد: ابن القيم الجوزية، ت: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة ط1: 1996م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر. بيروت. ،ط2: 1979م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي ، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تأويل مختلف الحديث: عبدا لله بن مسلم بن قتيبة، ت: محمد زهري النجار: دار الجيل –بيروت: 1972م.
- تأويل مشكل القرآن: ابن قُتيبة، ت: أحمد صقر، مكتبة دار التراث : القاهرة ، ط2 : 1973م.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2: 1999م.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة **ط**1: 2000 م.
- خطوات التفسير البياني:محمد رجب البيومي، الشركة المصرية للطباعة والنّشر، 1971م.
- دار الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام- ط2: 1994م.
- دراسات لِأسلوب القرآن: محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث – القاهرة.
- درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي، ت: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى: مكة المكرمة: 2001م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي، ت: على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية ــ بيروت:1415 هــ.
- شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار المعتزلي، ت: عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان: 1978م.
- صحيح البخاري: مكتبة الصفا، القاهرة-ط1: 2003م.
- صحيح مسلم: مكتبة الصفا، القاهرة- ط1: 2004م

- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي، ت: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ط2: 1413هـ.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين النيسابوري، ت: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان– ط1: 1996م.
- فصول في أصول التفسير: مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الرياض، ط3 :1999م.
- قضايا اللغة في كتب التفسير. الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي للنشر والتّوزيع، صفاقس، تونس، ط1: 1998م.
- كتاب العين: الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ت ط: 1982م.
- كشف المعانى فى المتشابه من المثانى: بدر الدين بن جماعة، ت: عبد الجواد خلف، دار الوفاء ـ المنصورة، ط1: 1990 م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: دار صادر – بيروت، ط1.
- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: محمد لطفي الصباغ، المكتب الاسلامي: بيروت، ط 3 :1990م.
- مباحث في علوم القرآ ن: مناع القطّان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7.
- مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، ت : محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت.
- مجموع الفتاوى: ابن تيمية، :ت: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء ، ط3: 2005م.
- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، ت: محمود خاطر، مكتبة ناشرون – بيروت- 1995م.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر: دار ابن القيم – الدمام، ط1: 1990 م
- معاني القرآن: أبو زكريا الفراء، ت: أحمد يوسف نجاتي / محمد علي نجار / عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة– مصر.
- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، ت: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1990م.
- معجم المفسرين: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط3: 1988م
- النيسابوري ومنهجه في التفسير: ماجد زكي الجلاد، دار الفكر، عمان، ط1: 2000 م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس ، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر ، 1979م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر – بيروت. ط6: 1985م .
- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2: 1427هـ.
- مقدمة ابن خلدون: دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان- 2005م.
- مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الفجر، الجزائر، ط1 :2001م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: ابن الزبير الغرناطي، ت: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي-بيروت- ط2: 2007م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، ت: فوزي أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 1995م.
- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي، الرياض، ط2: 1983م.
- نظرية السياق القرآني: المثنّى عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر – عمان –الأردن: ط1: 2008م.
- نظرية النحو القرآني: أحمد مكي الأنصاري، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط1: 1405هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:برهان الدين البقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت- 1995 م.
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين:إسماعيل باشا البغدادي .دار إحياء التراث العربي .بيروت:1951م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان،ت: : إحسان عباس الناشر : دار صادر – بيروت.
- التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى القرن السادس الهجري: وليد قصّاب، دار الثقافة- الدوحة- 1985م،

تفسير القرآن الحكيم " تفسير المنار": محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط1: 2000م.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: محمد باقر الخوانساري. الدار الإسلامية. بيروت،ط1: 1991م.

الرسائل والمجلات:

- البحث الدلالي عند المعتزلة: رسالة ماجستير – علي حاتم الحسن، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، 1999م .

- التفسير اللغوي: سامي الكناني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد السادس، 1999م.

- النحويون والقراءات القرآنية: زهير غازي زاهد، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 15: 1998م.

- النّص القرآني ومشكل التأويل: مصطفى تاج الدين، مجلة إسلامية المعرفة، العدد14: السنة: 4.

-معالم الاستنباط في التفسير: نايف بن سعد الزهراني، مجلّة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنيّة، العدد الرابع، 1428هـــ.

- بذور الدراسة الدلالية لِألفاظ القرآن: سعد الكردي، مجلة التراث العربي، العدد66، 1997م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة..أ–هـ

مدخل: التعريف بالنيسابوري وكتابه: غرائب القرآن ورغائب الفرقان

أولاً: التعريف بـ "نظام الدين النيسابوري".

1– حياته ووفاته.. 1

2– مذهبه العقدي.. 3

3– آثاره العلمية.. 7

ثانيا: التعريف بكتاب: "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"

1– عنوان الكتاب ومقدماته...8

2– مناسبة تأليفه.. 10

3– مصادر المؤلف في العلوم المختلفة.................................. 11

4– جمعه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي 12

الفصل الأول: اللغة أداة للتفسير

المبحث الأول: التفسير اللغوي: مفهومه، نشأته وتطوره.

المطلب الأول: مفهوم التّفسير اللّغوي...21

المطلب الثاني: التّفسير اللّغوي في مراحلِه الأولى...25

المطلب الثالث: التّفسير اللّغوي في القرن الثّاني الهجري.......................................30

المطلب الرابع: خصائص التّفسير اللّغوي في هذه المرحلة.......................................32

المبحث الثاني: الاتجاه اللغوي في تفسير النّيسابوري.

المطلب الأول: القرآن و أساليب الخطاب العربي... 36

المطلب الثاني: التّعدد الدّلالي للكلمة القرآنية...43

المطلب الثالث: قضايا النحو في تفسير النيسابوري 50

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: اللغة أداة للتأويل.

المبحث الأول: اللغة ومجالات التأويل عند المتكلمين.

المطلب الأول: مفهوم التأويل 64

المطلب الثاني: قضية المحكم والمتشابه...67

المطلب الثالث: قضية الحقيقة والمجاز...74

المبحث الثاني: اللغة ومسائل العقيدة في تفسير النيسابوري.

المطلب الأول: تطويع الأساليب البلاغية لخدمة المعتقد..................................80

المطلب الثاني: حمل ألفاظ العربية على ما يناسب المعتقد..................................85

المطلب الثالث: تخريج دلالات الصيغ وفق أصول المعتقد 89

المطلب الرابع: توجيه دلالات الحروف لخدمة المعتقد.................................... 97

الفصل الثالث: اللغة أداة للإعجاز

المبحث الأول: المتشابه اللفظي.. 103

المبحث الثاني: التناسب بين الكلمات و الآيات والسور...............................117

المبحث الثالث: التوجيه البياني للقراءات القرآنية......................................131

خاتمــة..142

ملخص البحث.. 143

فهرس الآيات القرآنية 145

فهرس الأحاديث..164

فهرس الأشعار..165

فهرس الأعلام 166

قائمة المصادر والمراجع.. 170

فهرس الموضوعات...176

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية